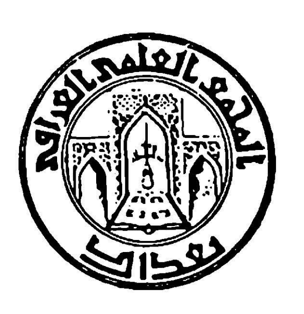
الجزء الأول　　　　　　　　　　المجلد السابع والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي



جمادى الآخرة ١٤٠٦ هـ
آذار ١٩٨٦ م

مجلة المجمع العلمي العراقي



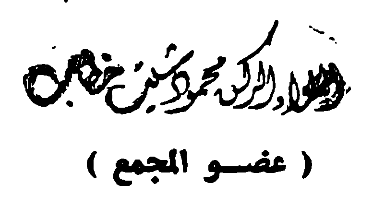


جمادى الآخرة ١٤٠٦ هـ
آذار ١٩٨٦ م

أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيّ

الصَّحابيّ السَّفير القائد

« سيد الفوارس أبو موسى »
محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم



(عضــو المجمع)

نسبـــه :

أبو موسى الأَشْعَرِيّ هو : عبدالله بن قَيْس بن سُلَيْم بن حَضَّار(١) ابن حَرْب بن عامِر بن غَنْم بن بكر بن عامِر بن عَدِيّ (٢) بن وائل بن ناجِيَة بن الجُماهِر بن الأشْعَر ، وهو نَبْت بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب ابن عَرِيب بن زَيْد بن كَهْلاَن بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان (٣) .

أمّه : ظَبْيَة بنت وَهْب ، من عَكّ (٤) ، وقد كانت أسلمت وماتت بالمدينة (٥) .

---

(١) طبقات ابن سعد (٤/١٠٥) والاستيعاب (٣/٩٧٩) ، أما في جمهرة أنساب العرب (٣٩٧) فورد : هصار .

(٢) جمهرة أنساب العرب (٣٩٧) ، أما في : طبقات ابن سعد (٤/١٠٥) ، فورد : عذر .

(٣) طبقات ابن سعد (٤/١٠٥) ، وانظر أنساب الاشراف (١/٢٠١) وجمهرة أنساب العرب (٣٩٧) .

(٤) بنو عك بن الديث بن عدنان ، انظر : جمهرة أنساب العرب (٣٢٨) .

(٥) طبقات ابن سعد (٤/١٠٥) والاستيعاب (٣/٩٧٩) ، وفي المعارف (٢٦٦) : أن اسم امه : طفية ، وهو تصحيف من ظبية .

وكان لأبي موسى إخوة ، منهم : أبو عامر بن قيس ، وأبو بُرْدَة بن قيس ، وأبو رُهْم بن قيس (٦)،وإبراهيم بن قيس ، ومَجْرِيّ(٧) ، ونعود إلى ذكر لمحات من سيرتهم في الحديث على : « أبي موسى إنساناً » في هذا البحث بعد قليل .

وأبو موسى من الأشْعَرِيّين ، من اليمن (٨) ، وُلد بـ (زَبِيد) (٩) باليمن . ولا نعرف شيئاً عن أيّامه الاولى ، ولا علم لنا بتفاصيل حياته قبل إسلامه، وقد بدأت تلك التفاصيل في الظهور بعد إسلامه لا قبل ذلك ، فسجّل له المؤرخون والمحدّثون والفقهاء وكتاب السِّيرة كثيراً من الأحداث والحوادث قاضياً وسفيراً ، ووالياً وقائداً ، ومحدّثاً وفقيها ، وفاتحاً ومجاهدا ، فهو بحق ابن الاسلام ، عُرِف بالاسلام ، ولم يُعرف قبل اعتناقه .

مع النبي صلى الله عليه وسلم

١ - المهاجر المجاهد :

قدم أبو موسى الأشعريّ مكّة مع إخوته في جماعة من الأشعريين، فحالف سعيد بن العاص بن أُمَيَّة أبا أُحَيْحَة (١٠) ، ثم أسلم بمكة (١١)

---

(٦) المعارف (٢٦٦) .

(٧) في جمهرة انساب العرب (٣٩٧) ذكر اخوته : ابورهم ، وابراهيم ، وعامر وابو بردة ، ومجرى ، وذكر المحقق في الهامش (٢) مجدى صوابه بالراء وان رسم خطأ بالدال ايضا في الاصابة (٧٧٢٣) .

(٨) المعارف (٢٦٦) .

(٩) زبيد : اسم واد به مدينة غلب عليها اسم الوادي فلا تعرف الا به ، وهي مدينة باليمن مشهورة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٥/٤) .

(١٠) سعيد بن العاص بن امية : من اشراف قريش ، وهو جد سعيد بن العاص ابن سعيد بن العاص الذي ورد ذكره في الاصابة (٩٨/٣) وأسد الغابة (٣٠٩/٢) والاستيعاب (٦٢١/٢) ، وانظر نسب ابي احيحة في : جمهرة انساب العرب (٨٠) .

=

وأسلم إخوته معه (١٢) ، وهاجر إلى أرض الحبشة (١٣) ، وقيل : بل رجع إلى بلاده وقومه ولم يُهاجر إلى أرض الحبشة (١٤) . والصّحيح أنّ أبا موسى انصرف إلى قومه بعد إسلامه ، فأقام بها ، ثمّ قدم مع إخوته وبعض الأشعريين من قومه في نحو خمسين رجلاً في سفينة ، فألقتهم الرِّيح إلى النَّجاشيّ بأرض الحبشة ، فوافقوا خروج جعفر بن أبي طالب منها عائدين الى المدينة المنورة ، فأتوا معهم . وقدمت السفينتان معاً : سفينة جعفر وأصحابه ، وسفينة أبي موسى وأصحابه الأشْعَرِيين ، على النبيّ صلى الله عليه وسلّم ، حين فتح خَيْبر (١٥) . ولما علم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بقدوم أبي موسى وجماعته من الأشعريين ، بشّر أصحابه بمقدمهم قائلاً : « يقدم عليكم أقوام هم أرق منكم قلوباً » ، فقدم الأشعريّون فيهم أبو موسى . ولما دنوا من المدينة المنورة ، جعلوا يرتجزون :

اليومَ نَلْقَى الأَحِبَّهْ مُحَمَّداً وصَحْبَهْ (١٦)

ولما نزلت الآية الكريمة : (فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ ، يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّوْنَهُ) (١٧) قال الرسول صلّى الله عليه وسلّم : « هم قوم هذا » ، يعني : أبا موسى الأشْعَرِيّ (١٨) .

---

(١١) طبقات ابن سعد (٦/١٦) وأسد الغابة (٢/٢٤٥) والاصابة (٤/١١٩) والاستيعاب (٢/٩٧٩) .
(١٢) المعارف (٢٦٦) .
(١٣) سيرة ابن هشام (٣/٤١٦) وجوامع السيرة (٥٨) .
(١٤) أسد الغابة (٣/٢٤٥) والاصابة (٤/١١٩) والاستيعاب (٣/٩٨٠) .
(١٥) طبقات ابن سعد (٤/١٠٦) وأسد الغابة (٣/٢٤٥) والاصابة (٤/١١٩) والاستيعاب (٣/٩٨٠) .
(١٦) طبقات ابن سعد (٤/١٠٦) .
(١٧) الآية الكريمة من سورة المائدة (٥ : ٥٤) .
(١٨) طبقات ابن سعد (٤/١٠٧) .

وكانت خَيْبَر أوّل مشاهد أبي موسى (١٩) ، وكانت غزوة خيبر في شهر محرّم من السّنَة السّابعة الهجريّة (٢٠) ، ولما فتح المسلمون خَيْبَر ، كلّم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اصحابه أن يُشْركوا جعفراً وأصحابه بالغنيمة ، ففعلوا (٢١) .

نستطيع أن نتبيّن مما سَبَقَ ، أنّ إسلام أبي موسى الأشعري وإخوته كان قديما ، فقد قدموا مكّة للتكسُّب ، وكانت مكّة مركزاً تجارياً ، يجد يجد فيها مَنْ لا يجد في بلده وسيلة للعيش وعملاً يعينه على كسب قوته وقوت مَنْ يعول ، وكان أهل اليمن منذ القِدَم حتى اليوم يقصدون مكّة للتكسّب بوسيلة أو بأُخرى . وكان لابُدّ لمن يلجأ إلى مكّة من موطنه ، أن يُحالف أحد سادات قُريش ليعيش في كنفه آمناً مطمئنا ، فحالف أبو موسى سعيد بن العاص أبا أحَيْحَة ، فلما علم بأخبار النبيّ صلّى الله عليه وسلّم التي شاعت بين الناس في مكّة وما حولها ومَنْ حولها ، أسلم وأسلم إخوته الذين كانوا معه . ولم تقف قريش مكتوفة الأيدي تُجاه الاسلام والمسلمين بعد تفشّي الاسلام في مكّة ، فقاومت الاسلام والمسلمين مقاومة لا هوادة فيها ولا رحمة ، فهاجر مَنْ هاجر من المسلمين إلى الحبشة وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب ، وعاد أبو موسى أدراجه إلى بلده اليمن وإلى قومه ، ليعيش بين ظهرانيهم آمناً مطمئنا ، بعد أن انكشف اعتناقه للاسلام ، وتعرّضه للأذى والتّعذيب والاهانة بسبب إسلامه ، فكان أمام مسلكين لا ثالث لهما :

---

(١٩) طبقات ابن سعد (٦/١٦) .

(٢٠) سيرة ابن هشام (٣/٣٨٧) وجوامع السيرة (٢١١) ، وفي طبقات ابن سعد (٢/١٠٦) ، انها كانت في شهر جمادى الاولى من سنة سبع الهجرية ، أما في انساب الاشراف (١/٣٥٢) ، فانها كانت في شهر صفر من سنة سبع الهجرية .

(٢١) طبقات ابن سعد (٢/١٠٨) .

إما الهجرة الى أرض الحبشة مع المسلمين الآخرين الذين اختاروها داراً لهم لأنّهم طوردوا في دارهم مكّة وطُردوا منها ، فأصبحوا بلا دار ، وإما العودة إلى بلده وقومه ، حيث داره وأهله ، فاختار الدار والأهل على الغُربة والتَّغَرُّب ، وعاد إلى مستقرّه الأوّل واو إلى حين .

ولما علم أبو موسى بهجرة المسلمين إلى المدينة المنورة ، واستدعاء المسلمين إليها لاكمال حشدهم في قاعدتهم الرئيسة ، توجّه أبو موسى وإخوته والأشعرون وهم خمسون رجلاً ومعهم رجلان من بني عَكّ إلى المدينة المنوّرة ، وقدموا في سفن في البحر ، وكانت السّفن شراعيّة ، فجرفتها الرِّياح إلى أرض الحبشة ، حيث عاد أبو موسى وصحبه مع جعفر بن أبي طالب وصحبه . ولما وصلوا إلى المدينة ، وجدوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في سفره بخَيْبَرَ . ثمّ لقوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فبايعوا وأسلموا ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « الأَشْعَرون في النّاس ، كَصُرَّة فيها مِسْك » (٢٢) .

وقد ذكر ذلك أبو بُرْدَة الأشعري أخو أبي موسى الأشعري ، فقال : « خرجنا من اليمن في بضع وخمسين رجلاً من قومنا ، ونحن ثلاثة إخوة : أبو موسى ، وأبو رُهْم ، وأبو بُرْدَة ، فأخرجتنا سفينتنا إلى النَّجاشِيّ بأرض الحبشة وعنده جعفر بن أبي طالب وأصحابه ، فأقبلنا جميعاً في سفينتنا إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم حين افتتح خَيْبَر » (٢٣) .

وقال أبو موسى : « بَلَغَنا مخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين أنا وأخوان لي أنا أصغرهما ، أحدهما أبو بُرْدَة ، والآخر أبو رُهْم ، وثلاثة وخمسون من قومي ، فركبنا السفينة فألقتنا إلى

(٢٢) طبقات ابن سعد (١/٩٨ ــ ٤٩) .
(٢٣) اسد الغابة (٥/١٤٥ ــ ١٤٦) .

النّجاشيّ بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده ، فقال جعفر : إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعثنا ها هنا ، وأمرنا بالاقامة ، فأقيموا . فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً ، فوافقنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين افتتح خيبر ، فأسهم لنا ، وما قسم لأحدٍ غاب عن خَيْبَر منها شيئاً إلاّ لمن شهد معه ، إلاّ أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه » ، وهذا حديث صحيح (٢٤) ، وقال : « هاجرتم مرتين : هاجرتم إلى النّجاشيّ ، وهاجرتم إليّ » (٢٥) .

لقد أسلم أبو موسى وإخوته قديماً بمكة ، ثم رجعوا إلى بلاد قومهم ، فلم يزالوا بها حتى قدموا هم وناس من الأشعريين على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (٢٦) ، فاسلام أبي موسى وإخوته قديم ، والذين قدموا معهم مسلمون أيضاً ، وإلاّ لما رافقوهم في رحلتهم إلى الاسلام ، لذلك كان إسلامهم من جديد في خَيْبَر تجديداً للاسلام الذي اعتنقوه من قبل ، ولم يكن إسلاماً جديداً ، بل كان تجديداً للاسلام .

وبعد فتح مكة الذي كان في شهر رمضان من السّنة الثّامنة الهجريّة ، (٢٧) خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمون في شهر شوّال إلى غزوة (حُنَيْن) (٢٨) ، وبعد انهزام المشركين أرسل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم السرايا لمطاردة المشركين المنهزمين ، وكان ممن أرسلهم أبو عامِر الأشعري(٢٩)

---

(٢٤) أسد الغابة (٣٠٩/٥) وانظر طبقات ابن سعد (١٠٥/٤ ــ ١٠٦) .

(٢٥) طبقات ابن سعد (١٠٦/٤) .

(٢٦) أسد الغابة (٣٠٨/٥) .

(٢٧) طبقات ابن سعد (١٣٤/٢) وجوامع السيرة (٢٢٦) .

(٢٨) طبقات ابن سعد (١٤٩/٢) .

(٢٩) أبو عامر الاشعري : انظر سيرته المفصلة في : أسد الغابة (٢٣٨/٥) والاصابة (١٢٠/٧) والاستيعاب (١٧٠٤/٤) .

في آثار مَنْ توَجّه إلى وادي أَوْطاس – بين مكّة والطّائف – وعقد له لواءً ، فكان معه في سريته سَلَمَة بن الأَكْوَع (٣٠) ، فكان يُحدّث قائلاً : « لما انهزمت هَوازِن ، عسكروا بأوْطَاس عسكراً عظيماً ، تَفرّق منهم مَنْ تفرّق ، وقُتِلَ مَنْ قُتل ، وأُسِر مَنْ أُسِر ؛ فانتهينا إلى عسكرهم فاذا هم ممتنعون ، فبرز رجل فقال : مَنْ يُبارز ؟ فبرز له أبو عامِر فقال : اللّهم اشهدْ ! فقتله أبو عامر ، حتى قتل تسعة كذلك . فلما كان التّاسع ، برز له فارس مُعْلِمٌ يَنْحُبُ (٣١) للقتال ، فبرز له أبو عامِر وقتله . فلما كان العاشر ، برز رجل مُعْلِمٌ بعمامةٍ صفراء ، فقال أبو عامر : اللّهم اشهد ! فقال صاحب العمامة الصَّفراء : اللّهم لا تشهد ! فضرب أبا عامر ، فأثبته ، فاحتملناه وبه رَمَق ، واستخلف أبا موسى الأشعري ، وأخبر أبو عامر أبا موسى أنّ قاتله صاحب العمامة الصّفراء » . وأوصى أبو عامر إلى أبي موسى ، ودفع إليه الراية وقال : « ادفع فرسي وسلاحي للنبي صلّى الله عليه وسلّم » . وقاتلهم أبو موسى ، حتى فتح الله عليه ، وقتل قاتل أبي عامر . وجاء بفرسه وتَرِكَتِه إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وقال : « إنّ أبا عامر أمرني بذلك ، وقال : قُلْ لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم يستغفر لي » ، فقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فصلّى ركعتين ، ثمّ قال : « اللّهمّ اغفر لأبي عامر ، واجعله من أعلى أمّتي في الجنّة » ، وأمر بتَرِكَةِ أبي عامر ، فدُفعت إلى ابنه . فقال أبو موسى : « إني أَعلم أنّ الله قد غفر لأبي عامر يا رسول

---

(٣٠) سلمة بن الأكوع : انظر سيرته المفصلة في : اسد الغابة (٣٣٣/٢) والاصابة (١١٨/٣) والاستيعاب (٦٣٩/٢ – ٦٤٠) وطبقات ابن سعد (٣٠٥/٤ – ٣٠٨) وانساب الاشراف (٣٥١/١) .

(٣١) نحب : اجهد السير ، انظر الصحاح (٢٢٢) .

الله ، قُتل شهيداً ، فادْعُ اللهَ لي » ، فقال : « اللّهم اغفر لأبى موسى ، واجعله في أعلى أمتّي » (٣٢) ، وقيل : إنّ أبا موسى قتل يومئذ تسعة إخوة من المشركين : يدعو كل واحد إلى الاسلام ، ثم يحمل عليه فيقتله(٣٣) ، فدعا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم له قائلاً : « اللهم اغفر لعبدالله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً » (٣٤) .

ولما أراد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم العودة إلى المدينة المنوّرة ، استعمل عتَّاب بن أَسِيْد (٣٥) على مكّة ، وخلّف مُعَاذ بن جبَل (٣٦) وأبا موسى الأشعري يعلّمان الناسَ القرآن والفِقْه في الدِّين . وقال عليه الصّلاة والسّلام لِعتَّاب : « أتدري على مَنْ استعملتك ؟ » ، قال : « الله ورسوله أعلم ! » ، قال : « استعملتك على أهل الله ! بلِّغْ عني أربعاً : لا يَصْلُح شَرْطانِ في بَيْعٍ ، ولا بَيْعٌ وسَلَفٌ ، ولا بَيْعٌ ما لم يُضْمَن ، ولا تَأْكُلْ رِبْحَ ما ليس عندك » (٣٧) .

٢ ــ السـفير النبوي :

كتب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى ملوك اليمن من أبناء عبد كُلال من حِمْيَر ، يدعوهم إلى الاسلام ، وكان نص الكتاب النبويّ إليهم :

---

(٣٢) مغازي الواقدي (٩١٥/٣ ـ ٩١٦) وانظر فتح الباري بشرح البخاري (٣٥/٨) حول دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأبي موسى .

(٣٣) جوامع السيرة (٢٤١) .

(٣٤) فتح الباري بشرح البخاري (٣٥/٨) .

(٣٥) عتاب بن أسيد : انظر سيرته المفصلة في : أسد الغابة (٢٥٨/٣ ـ ٢٥٩) والاصابة (٢١١/٤ ـ ٢١٢) والاستيعاب (١٠٢٣/٣ ـ ١٠٢٤) والمعارف (٢٨٣) .

(٣٦) انظر سيرته المفصلة في كتاب : سفراء النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣٧) مغازي الواقدي (٩٥٩/٣) .

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى : الحارث ومسروح (٣٨) (الصّواب شُرَحْبِيْل) ونُعَيْم بن عبد كُلال. سِلْمٌ أَنتم ما آمَنْتُم بالله ورسوله ، وأنّ الله وحده لا شريك له ، بعث موسى بآياته ، وخلق عيسى بكلماته وقالت اليهود : عُزَيْرٌ ابن الله ، وقالت النّصارى : الله ثالث ثلاثة ، عيسى ابن الله » (٣٩) .

الله

علامة الختم : رسول

محمد

وقد حمل هذا الكتاب النبوي إلى هؤلاء الملوك اليمنيين من أبناء عبد كُلال المهاجر بن أُمَيَّة المخزوميّ (٤٠) ، وقد أُرسل الكتاب بعد فتح مكّة لا قبل الفتح ، لأنّ مكّة كانت قبل فتحها بيد المشركين ، وكانت الحاجز بين المنطقة الاسلامية التي مقرها المدينة ، وبين المنطقة غير الاسلاميّة التي مقرّها مكّة ، وتمتد إلى الجنوب عمقاً لتشمل اليمن وجنوبيّ الجزيرة العربية .

وقد كاتب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أهل اليمن سنة تسع الهجرية (٤١) ، لا قبلها .

وفي شهر رمضان من السنة التاسعة الهجرية ، قدم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كتاب ملوك حِمْيَرَ مقدمه من غزوة تَبوك ، وحمل كتاب

---

(٣٨) ليس لمسروح ذكر في المصادر المعتمدة ، ولا اخ لأبناء عبد كلال بهذا الاسم ، والاخ المعروف لابناء عبد كلال هو : شرحبيل ، ويمكن ان يكون هذا التغيير من خطأ النساخ .

(٣٩) طبقات ابن سعد (١/٢٨٢ – ٢٨٣) .

(٤٠) انظر سيرته المفصلة في كتاب : سفراء النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤١) اسد الغابة (٣/٣٦٨) .

ملوك حمير باسلامهم : مالك بن مُرارة الرَّهاوِيّ ، وهـؤلاء الملوك هم : الحارث بن عبد كُلال ، ونُعَيْم بن عبد كُلال ، والنُّعمان قَيْل (٤٢) ذي رُعَيْن (٤٣) ، وهَمْدَان (٤٤) ، وَمَعَافِر (٤٥) . كما بعث زُرْعَة ذو يَزَن إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مع مالك بن مُرارة الرَّهاوي أيضاً باسلامه وإسلام ملوك اليمن من أبناء عبد كُلال ومفارقتهم الشِّرك وأهله(٤٦) .

وقد كتب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى أهل اليمن كتاباً يُخبرهم فيه بشرائع الاسلام وفرائض الصَّدقة والمواشي والأموال ، ويوصيهم بأصحابه ورسله خيرا ، وكان رسوله إليهم مُعاذ بن جَبَل ومالك بن مُرارة (٤٧) .

---

(٤٢) القيل : يقال هو الملك ، ويقال هو دون الملك الأعلى ، وهذا هو الاكثر ، وسمي بذلك لانه ذو القول ، أي الذي اذا قال لم يرد أحد قوله .

(٤٣) رعين : مخلاف (محافظة) من مخاليف اليمن ، سمى بالقبيلة اليمنية باسم : ذي رعين ، واسـمه يرين بيـاءين ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٦٣/٤) .

(٤٤) همدان : قبيلة يمنية مشهورة ، النسبة اليها همداني ، انظر التفاصيل في جمهرة أنساب العرب (٣٩٣ ــ ٣٩٥) و (٤٧٥ ــ ٤٧٦) .

(٤٥) معافر : مخلاف (محافظة) باليمن ، تنسب اليها الثياب المعافريـة ، سمي بالقبيلة اليمنية : معافر بن يعفر بن مالك بن الحـارث بن مرة ، ويمتد نسبهالى سبأ ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٩٢/٨) .

(٤٦) طبقات ابن سعد (٣٥٦/١) وسيرة ابن هشـام (٢٥٨/٤) والطبري (١٢٠/٣) واعلام السائلين لابن طولون (١٥) واليعقوبي (٨٧/٢) وامتاع الاسماع للمقريزي (٤٩٥/١) .

(٤٧) انظر نص الكتاب في : الطبري (١٢١/٣ ــ ١٢٢) وسيرة ابن هشـام (٢٥٩/٤ ــ ٢٦٠) واليعقوبي (٨٧/٢ ــ ٨٩) واسد الغابة (٢٠٣/٢) والاصابة (٢٩٣/٤) والقسطلاني (٢٧٩/١) ، وقد اخرجه ابو داود وابن حبان والدارمي ، انظر الاصابة (٢٩٣/٤) ، وانظر النص في : كنز العمال (٤٩٤/٢ ــ ٤٩٦) على هامش مسند الامام أحمد بن حنبل ، وانظر تفاصيل المصادر والمراجع في : مجموعة الوثـائق السياسـية (١٤٤ ـــ ١٤٨) .

وقد حمل مُعاذ ومالك هذا الكتاب النبوي إلى اليمن بعد شهر رمضان من السنة التّاسعة الهجريّة : في شهر شوّال أو شهر ذي القعدة من السنّة التّاسعة الهجرية ، فهذا هو الوقت المناسب لارسال هذا الكتاب النبوي الجوابيّ على رسالة ملوك اليمن التي حملت نبأ إسلامهم .

وفي سنة عشر الهجريّة ، أسلم باذان عامل كسرى على اليمن وبعث إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم باسلامه (٤٨) ، وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد جمع لباذان الفارسيّ حين أسلم وأسلمت اليمن عَمَل اليمن كلها ، وأمَّره على جميع مخاليفها ، فلم يزل عامل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أيّام حياته ، فلم يعزله عنها ولا عن شيء منها ، ولا أشرك معه شريكاً حتى مات باذان . فلما مات فرّق عَمَل اليمن بين جماعة من أصحابه وكان ذلك سنة عشر الهجريّة بعد حجّة الوداع ، فكان من عماله عليه الصّلاة والسّلام أبو موسى الأشعري (٤٩) ، وبهذا أصبح أبو موسى عاملاً من عمال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم (٥٠) .

ولكنّ أبا موسى الأشعري ، قبل أن يصبح عاملاً من عُمّال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وكان رسولاً من رسله إلى ملوك زمانه ، أو ما نطلق عليه في المصطلحات السياسية الحديثة : سفيراً من سفراء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقد « أرسل أبا موسى الأشعري ومُعاذ بن جَبَل إلى جملة اليمن داعيين إلى الاسلام ،فأسلم عامّة أهل اليمن : ملوكهم ، وسوقتهم » (٥١) ،

(٤٨) الطبري (١٥٨/٣) ، وباذان = باذام ، وانظر ما جاء على باذان في : اسد الغابة (١٦٣/١) .

(٤٩) الطبري (٢٢٧/٣ ـ ٢٢٨) .

(٥٠) انظر أسماء عماله عليه الصلاة والسلام في : انساب الاشراف (٥٢٩/١) .

(٥١) تهذيب الاسماء واللغات (٣٠/١) .

نستدلّ من ذلك ، أنّ أبا موسى كان في اليمن حين تُوفيّ باذان الفارسي ، ففرّق النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عُمّاله على مخاليف اليمن ، فالتحق أبو موسى بمنصبه الجديد عاملاً بالاضافة إلى واجبه الأصلي سفيراً وقاضياً ومرشداً وداعياً إلى الاسلام ، يُعلّم الناس القرآن وشرائع الاسلام ، ويقبض الصّدقة ، ويوزّعها على مستحقيها من أهل مخاليفه ، ويرسل ما تبقّى منها إلى عامل العُمّال مُعاذ بن جبَل (٥٢) .

فمتى بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أبا موسى سفيراً إلى اليمن ؟

لا نصّ لدينا يشير إلى ذلك ، وأرجّح أنّه بعثه مع مُعاذ بن جبَل ، الذي قصد اليمن في شهر شوّال أو شهر ذي القعدة من السنة التّاسعة الهجرية ، فقد رأينا أنّ أبا موسى كان مع مُعاذ في مكّة بعد فتحها يُعلّمان النّاس القرآن والفِقْه في الدين (٥٣) ، وأنّه أرسلهما معاً إلى جملة اليمن داعين إلى الاسلام ، كما ذكرنا ذلك قبل قليل ، فمن المرجّح أنهما قصدا اليمن في وقت واحد ، ليتعاونا في تأدية واجبهما في الدّعوة إلى الله .

وكان الكتاب النبويّ الذي حمله مُعَاذ بن جبَل إلى أهل اليمن يخبرهم فيه بشرائع الاسلام وفرائض الصّدقة والمواشي والأموال ، ويوصيهم بأصحابه ورسله خيرا(*)، هو الذي طبّق في اليمن كلّها لا في منطقة من مناطقها حسب ، وهو الذي أصبح سُنّة نبويّة لاتزال تُطبّق حتى اليوم ، وقد نفذ ما جاء فيه نصّاً وروحاً جميع سفراء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعُمّاله ، ولم يقتصر على مُعَاذ ومَنْ جاء ذكرهم في ذلك الكتاب .

---

(٥٢) انساب الاشراف (٥٢٩/١) .
(٥٣) مغازي الواقدي (٩٥٩/٣) .
(*) انظر نص الكتاب في الطبري (١٢١/٣ ـ ١٢٢) وسيرة ابن هشام (٢٥٩/٤ ـ ٢٦٠) واليعقوبي (٨٧/٢ ـ ٨٩) .

ولعلّ الدليل العملي على نجاح أبي موسى سفيراً في اليمن ، هو إقراره على واجبه ، وتكليفه بواجب إضافيّ جديد ، هو أن يُصبح عاملاً من عُمّال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على منطقة شاسعة من مناطق اليمن ، ولو لم ينجح في مهمّته سفيراً لما أُقِرّ على عمله ، وأُضيف إليه عَمَلٌ جديد .

٣ ـ الثقــة :

كان أبو موسى موضع ثقة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم به ، فقد كان أحد اثنين أذِنا عليه (٥٤) : الأوّل رَبَاح الأسود مولاه (٥٥) ، والثاني أبو موسى الأشعري ، وهذا دليل على مبلغ ثقة النبيّ صلّى الله به وبعقله وحسن تصرّفه وأمانته وصدقه .

ولما وُلد لأبي موسى غلام ، أتى به النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فسمّاه : إبراهيم ، وحنّكهُ بتمرة (٥٦) ، وهذا دليل على مبلغ حبّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لأبي موسى ، ومبلغ تقديره له .

ولما تُوفي باذان سنة عشر الهجريّة ، وزّع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عَمَل اليمن على قسم من أصحابه ، وكان ذلك بعد حجّة الوَداع ، فكان أبو موسى أحد عمّاله ، فولاّه زَبِيد (٥٧) وعَدَن (٥٨) ورِمَع (٥٩)

---

(٥٤) جوامع السيرة (٢٧) .

(٥٥) رباح الأسود : انظر سيرته في أسد الغابة (٢/١٩٠) والاصابة (٢/١٩٣) والاستيعاب (٢/٤٨٧) .

(٥٦) طبقات ابن سعد (٤/١٠٧) .

(٥٧) زبيد : اسم واد به مدينة يقال لها : الحصيب ، ثم غلب عليها اسم الوادي ، فلا تعرف الا به ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٣٧٥ ـ ٣٧٦) ، وهي مدينة يمنية على واد مشهور في اليمن .

(٥٨) عدن : مدينة مشهورة على ساحل بحر العرب من ناحية اليمن رديئة لا ماء بها ولا مرعى ، وعدن مرفأ مراكب الهند وغيرها والتجار يجتمعون

والسَّاحِل (٦٠) ، فكان في هذه المنطقة الواسعة والياً وقاضياً ومعلماً ومُرشداً وداعياً ، وهي موطنه الأصلي وبين قومه الذين استجابوا له وعاونوه على تحمّل أعباء واجباته وتعاونوا معه في معالجة ما صادفه من معضلات ومشاكل، وأعانوه على حلّها بسهولة ويُسر .

ولم يُعزل أبو موسى عن عمله في اليمن ، كما لم يُعزل غيره من عمّالها في حياة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم (٦١) ، حتى ظهر الأَسْوَد العَنْسِيّ في اليمن ، وارتدّ مَن ارتدّ معه ، فانحاز أبو موسى مقتحماً حضرموت (٦٢) حتى نزل السكاسِك (٦٣) حيث بدأ العمل مع إخوانه للقضاء على المرتدين (٦٤) .

كلّ ذلك يدلّ دلالة واضحة على أنّ أبا موسى كان موضع ثقة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الكاملة به ، فقرّبه واعتمد عليه في كثير من الأعمال .

= اليه ، فانها بلدة تجارة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٢٦/٦ - ١٢٨) .

(٥٩) رمع : قرية أبي موسى ببلاد الاشعريين ، قرب غسان وزبيد ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٨٥/٤) .

(٦٠) الساحل : موضع من أرض العرب بعينه ، انظر معجم البلدان (٧/٥) ، ويطلق على : ساحل المندب ، انظر معجم البلدان (٣٧٦/٤) ، وانظر تولية أبي موسى في : الاصابة (١١٩/٤) وجوامع السيرة (٢٣) والطبري (٢٢٨/٣) وان الاثير (٣٣٦/٢) وانساب الاشراف (٥٢٩/١) وتاريخ خليفة بن خياط (٦٢/١) .

(٦١) الطبري (٢٢٩/٣) .

(٦٢) حضرموت : بلاد واسعة شرقي عدن بقرب البحر ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٩٢/٣ - ٢٩٥) .

(٦٣) بنو السكاسك بن أشرس بن كندة بن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، انظر التفاصيل في جمهرة أنساب العرب (٤١٨ - ٤٣١) .

(٦٤) انظر التفاصيل في الطبري (٢٢٧/٣ - ٢٣٠) .

لقد نال أبو موسى ، شرف الصّحبة ، وشرف الجهاد تحت لواء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وتحت ألوية الاسلام ، وشرف العمل في الادارة والقضاء والدعوة والارشاد لخدمة الاسلام والمسلمين .

جهـــاده

١ ـ في حرب الردة :

أ . اسم الأســود العَنْسِيّ : عَيْهَلة بن كعب بن عَوْف العَنْسِيّ وعَنْس بطن من مَذْحِج ، وكان يُلَقّب : ذا الخِمار ، لأنّه كان مُعْتَماً مُتَخَمّراً أبداً .

وكان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قد جمع لباذان حين أسلم وأسلم أهل اليمن عمل اليمن جميعه وأمّره على جميع مخاليفه ، فلم يزل عاملاً عليه حتى مات . فلما مات باذان فرّق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أُمراءه ، في اليمن (٦٥) ، ومنهم كما ذكرنا ، أبوموسى وكان مُعَاذ بن جَبَل يتنقّل في عمالة كلّ عامل باليمن وحَضْرَمَوْت .

ولمـا عاد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من حجّة الوداع ، وتمرّض من السَّفر غير مرضـه الأخير ، بلغ الأسود ذلك ، فادّعى النبوّة ، وكـان مُشَعْبِذاً يريهم الأعاجيب ، فاتّبعته مَذْحِج ، وكانت رِدَّة الأسود أوّل ردّة في الاسلام ، على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (٦٦) ، وغزا الأسود نَجْران ، فأخرج عنهـا مَنْ قاومه من المسلميـن ، وسار عن نجران إلى صَنْعَاء ، فانحاز مُعاذ بن جبل إلى أبي موسى ، فلحقا بحضرموت .

---

(٦٥) انظر أسماء أمراء النبي صلى الله عليه وسلم في اليمن وحضرموت في : الطبري (٣/٢٢٨ ـ ٢٢٩) وابن الاثير (٢/٣٣٦) .

(٦٦) السكون بن أشرس بن كندة بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، انظر التفاصيل في جمهرة انساب العرب (٤١٨ ـ ٤٩٢) .

واستتـب الأمر للأسود في اليمن ، ولحق أمـراء اليمن بجبال عَكّ وجبال صنعاء ، وغلب الأسود على ما بين مفازة حضرموت إلى الطّائف إلى البحرين والأحساء وعدن ، واستطار أمره كالحريق واستغلظ .

وكان الأسود قد تزوّج امرأة شهر بن باذان بعد قتله ، وخاف مَنْ بحضرموت من المسلمين أن يبعث إليهم جيشاً أو يظهر بها كذّاب آخر ، فتزوّج معاذ إلى السَّكُون ، فعطفوا عليه .

وجاء إليهم وإلى مَنْ باليمن من المسلمين ، كتُب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، يأمرهم بقتال الأسود ، فقام مُعاذ بن جَبَل في ذلك ، وقويت نفوس المسلمين ، وعاونه أمراء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم والمسلمون في اليمن ، فقتل فيروزُ (٦٧) الأسودَ في بيت زوجته التي كانت امرأة شهر بن باذان وتزوجها الأسود من بعده ، وهي ابنة عمّ فيروز ، وتراجع المسلمون إلى أعمالهم ، وعاد أبو موسى إلى عمله ، وكتبوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بخبره ، وذلك في حياته الكريمة . ولكن رُسُل أهل اليمن قدمت المدينة ، وقد تُوفي رسول الله صلّى الله عليه وسـلّم ، وكان أوّل أمر العَنْسِيّ إلى آخره ثلاثة أشهر ، وقيل : قريب من أربعة أشهر ، وكان قدوم البشير بقتله في آخر ربيع الأول من سنة إحدى عشرة الهجرية بعد موت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فكان أوّل بشارة أتت أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه وهو بالمدينة (٦٨) .

وهكذا انتهت فتنة الأسود العَنْسِيّ بالاخفاق الذّريع ، وعادت الأمور في اليمن إلى مجراها الطبيعيّ .

---

(٦٧) انظر سيرته في : أسد الغابة (١٨٦/٤) .

(٦٨) انظر التفاصيل : في الطبري (٢٢٧/٣ ـ ٢٤٠) وابن الاثير (٣٣٦/٢ ـ ٣٤١) .

ب . ولما هلك الأسود العَنْسِيّ ، بقي طائفة من أصحابه يتردّدون بين صنعاء ونَجْران ، لا يأوون إلى أحد . ومات النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فصاولهم مَنْ ثبت على الاسلام من عَكّ وانتصروا عليهم .

وأما أهل نَجْران ، فلما بلغهم موت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، أرسلوا وفداً ليجددوا عهدهم مع أبي بكر ، فكتب بذلك كتاباً .

وأما بَجِيْلة ، فانّ أبا بكر ردّ جرير بن عبدالله البَجَلِيّ ، وأمره أن يستنفر من قومه مَنْ ثبت على الاسلام ، ويقاتل بهم مَنْ ارتدّ عن الاسلام ؛ فخرج جرير وفعل ما أمره به أبو بكر ، فلم يقم له أحد إلاّ نفر يسير ، فقتلهم وتتبعّهم .

وكان مصير مَنْ ارتدّ من أهل اليمن ، مصير مَنْ ارتدّ من بَجْيلة وعَك والأشعريين ، فعاد المرتدون إلى الاسلام بعد أن تكبّدوا خسائر فادحة بالأرواح والأموال (٦٩) ، وكان ذلك سنة إحدى عشرة الهجريّة . وكان لثبات أبي موسى وأمراء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الآخرين مع مَنْ ثبت على الاسلام (٧٠) ، أثر كبير في انتصار المسلمين على أهل الرِدّة من أهل اليمن و عودتهم إلى الاسلام .

وبقي أبو موسى على زَبِيْد ورِمَع وعَدَن والسَّاحل طيلة أيام أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه .

٢ ـ في الفتوح

أ . آثر أبو موسى بعد وفاة أبي بكر الصدِّيق ، أن يصبح غازياً على أن يبقى واليا ، فحقّق له عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أراد .

---

(٦٩) انظر التفاصيل في : الطبري (٣/٣١٨ ـ ٣٤٢) وابن الاثير (٢/٣٧٤ ـ ٣٨٣) .

(٧٠) الطبري (٣/٤٢٧) وابن الاثير (٢/٤٢١) .

وكان ميدان جهاد أبى موسى ، هو ميدان العراق ، بقيادة سعد بن أبي وقاص ، وفي سنة سَبع عشرة الهجريّة ، كتب عمر إلى سعد : « إذا فتح الله الشَّام والعراق ، فابعث جنداً إلى الجزيرة ، وأمِّر عليه خالد بن عُرْفُطَة أو هاشم بن عُتْبَة أو عِياض بن غَنْم (٧١) ، فقال سعد : « ما أخَّر أمير المؤمنين عِيَاضاً إلاّ لأنّ له فيه هوىً ، وأنا مولِّيه » ، فبعثه وبعث معه جيشاً فيه أبو موسى الأشعري .

وسار عياض ونزل بجنده على الرُّهَاء (٧٢) ، فصالحه أهله على مثل صلح حَرَّان (٧٣) ، وبعث أبا موسى إلى نَصِيْبِيْن (٧٤) فافتتحها (٧٥) .

ولا نعلم بالضّبط ، متى سمح عمر بن الخطّاب لأبى موسى بالتّخلي عن ولايته في اليمن والاقبال على الجهاد في ساحاته ، فقد تُوفى أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه ، وأبو موسى أحد عمّاله في اليمن ، وكانت وفاة أبى بكر في شهر ذي القعدة من سنة ثلاث عشرة الهجريّة (٧٦) ، ولم يُذكر أبو موسى في سُوْح الجهاد إلاّ في سنة سبع عشرة ، فهل بقى في اليمن هذه المدة ، أم غادرها دون أن يذكر المؤرخون عن تاريخ مغادرته شيئاً ؟

(٧١) انظر سيرة خالد بن عرفطة وهاشم بن عتبة وعياض بن غنم في : قادة فتح العراق والجزيرة .

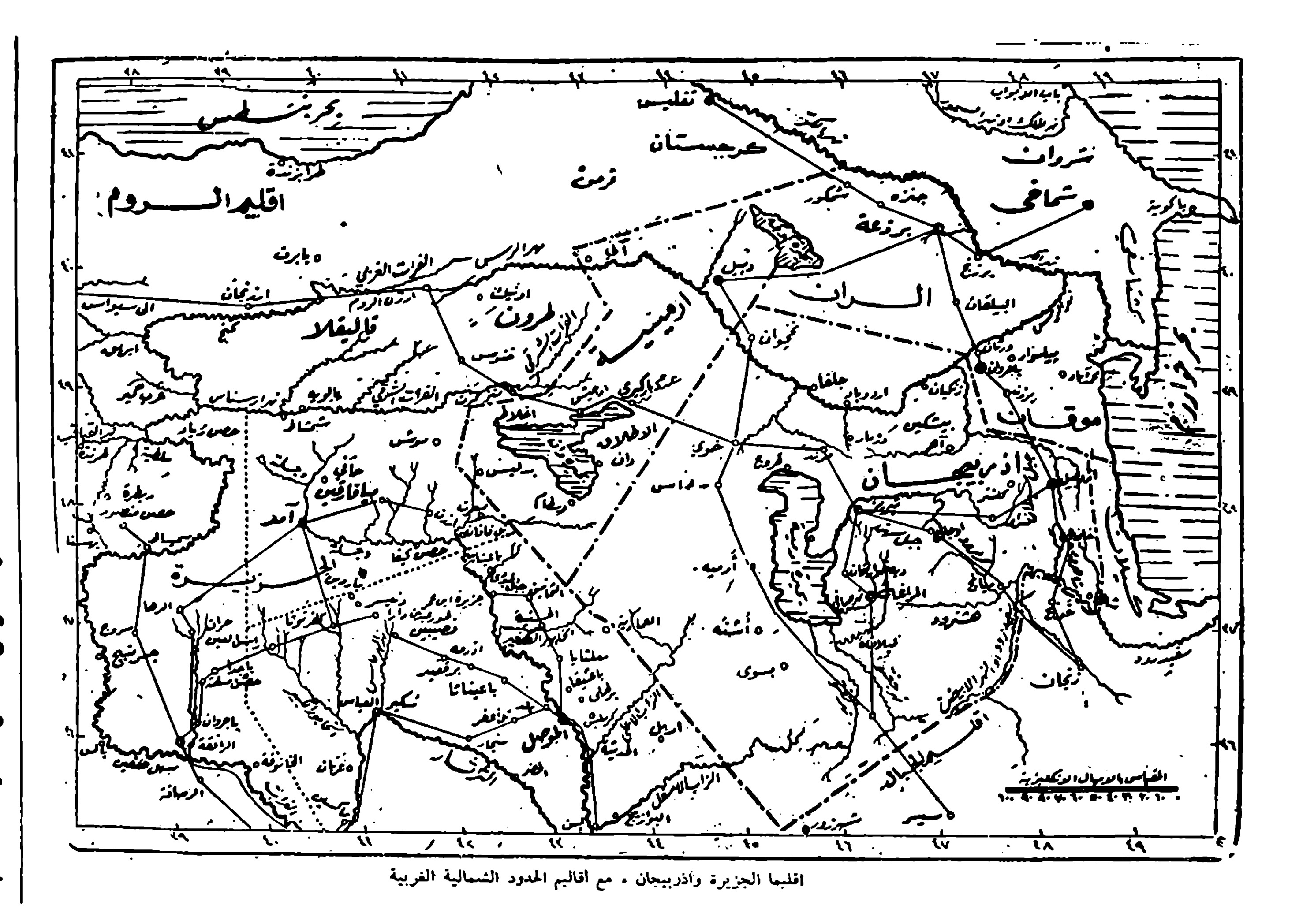
(٧٢) الرهاء : مدينة تقع على احدى روافد نهر البليخ ، وكانت مدينة محصنة .

(٧٣) حران : تقع شرقي الفرات ، منبع نهر البليخ ، وهي مدينة الصابئين ، وهي مدينة نزهة عليها حصن من حجارة حسن البناء ، وسورها مبني بالحجارة . بينها وبين الرهاء يوم ، وبين الرقة وبينها يومان .

(٧٤) نصيبين : مدينة عامرة من بلاد الجزيرة ، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ ، وبينها وبين الموصل ستة أيام ، تقع على نهر الهرماس .

(٧٥) ابن الاثير (٢/٥٣٣) ، وانظر الطبري (٤/٥٣) .

(٧٦) العبر (١/١٦) .



اقليما الجزيرة وأذربيجان ، مع أقاليم الحدود الشمالية الغربية

كما أنّ أبا موسى لم يفتح نَصيبين ، ولم يكن مع عياض بن غَنْم فاتح الجزيرة ، وقد ذكرنا ذلك لاحقاق الحق ، وفَتْحُ الجزيرة مبسوط في كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة .

ولم يلتحق أبو موسى بأبي عبَيْدة بن الجرّاح بأرض الشّام بعد فتح الجزيرة ، فشهد بعض فتوحات الشّام تحت لواء أبي عُبَيْدَة (٧٧) ، كما لم يكن مع ابي عبيدة حين مات بالطاعون (٧٨) ، لأنّه كان سنة سبع عشرة الهجرية وثماني عشرة الهجرية والياً على البصرة وفي الفتوح في مناطق شرق العراق كما سنذكر ذلك وشيكا ، إذ كان أبو موسى حينذاك في البصرة ولم يكن في الشّام ، وقد ذكرنا ما ذكرنا لِنُنَبِّه عليه (٧٩) .

ب . ولما عزل عمر بن الخطّاب المُغيرَة بن شُعْبَة (٨٠) عن البصرة ، استعمل أبا موسى الأشعري عليها ، وذلك سنة سبع عشرة الهجريّة (٨١) ، وكانت البصرة حينذاك من أكبر القواعد الاسلامية في المشرق الاسلاميّ ، منها تُسَيَّر الجيوش لفتوح المشرق .

وكتب كسرى يَزْدَجِرد إلى أهل فارس ، وهو يومئذٍ بـ (مَرْوُ) (٨٢) يذكّرهم الأحقاد ويؤنّبهم : « أنْ قد رضيتُم يا أهلَ فارس ، أن قد

(٧٧) الاصابة (٤/١٢٠) .
(٧٨) الطبري (٤/٦١) واسد الغابة (٣/٢٤٦) .
(٧٩) ابن الاثير (٢/٥٦٠) .
(٨٠) انظر سيرته المفصلة في كتاب : قادة فتـح العراق والجزيرة (٤٣١ — ٤٥٥) .
(٨١) الطبري (٤/٦٩) وابن الاثير (٢/٥٤٠) ، وانظر طبقـات ابن سـعد (٤/١٠٩) والاصابة (٤/١١٩) .
(٨٢) مرو : أشهر مدن خراسان وقصبتها ، وهي مرو الشاهجان وهي مرو العظمى ، ومرو الروذ وهي قريبة من الاولى ، انظر التفاصيل في : معجم البلدان (٨/٣٢ — ٣٨) .

غلبتكم العرب على السّواد وما والاه ، والأهواز ، ثم لم يرضوا بذلك حتى توردّوكم في بلادكم وعُقْرِ داركم !! » ، فتحركوا وتعاهدوا وتواثقوا على النصر .

وجاءت الأخبار إلى عمربن الخطّاب والمسلمين في كلّ مكان ، فكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص في الكوفة : « أنْ ابعث إلى الأهواز بعثاً كثيفاً مع النُّعمان بن مُقَرِّن (٨٣) ، وعجِّلْ . وابعث سُوَيْد بن مُقَرِّن (٨٤) ، وعبدالرحمن بن ذي السَّهمين (٨٥) ، وجرير بن عبدالله الحِمْيَرِي (٨٦) ، وجرير بن عبدالله البَجَلِيّ (٨٧) ، فلينزلوا بإزاء الهُرْمُزان (٨٨) حتى يتَبَيَّنوا أمره » .

وكتب إلى أبي موسى في البصرة: « أنْ ابعث إلى الأهواز جنداً كثيفاً ، وأمِّر عليهم سَهْل بن عَدِيّ (٨٩) – أخا سُهَيْل بن عَدِيّ (٩٠) –

---

(٨٣) انظر سيرته المفصلة في : قادة فتح بلاد فارس (٩٧ – ١٠٧) .

(٨٤) انظر سيرته المفصلة في : قادة فتح بلاد فارس (١٩٥ – ٢٠١) .

(٨٥) عبدالرحمن بن ذي السهمين : من ابناء معاوية ذي السهمين بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، انظر جمهرة انساب العرب (٢٨١) .

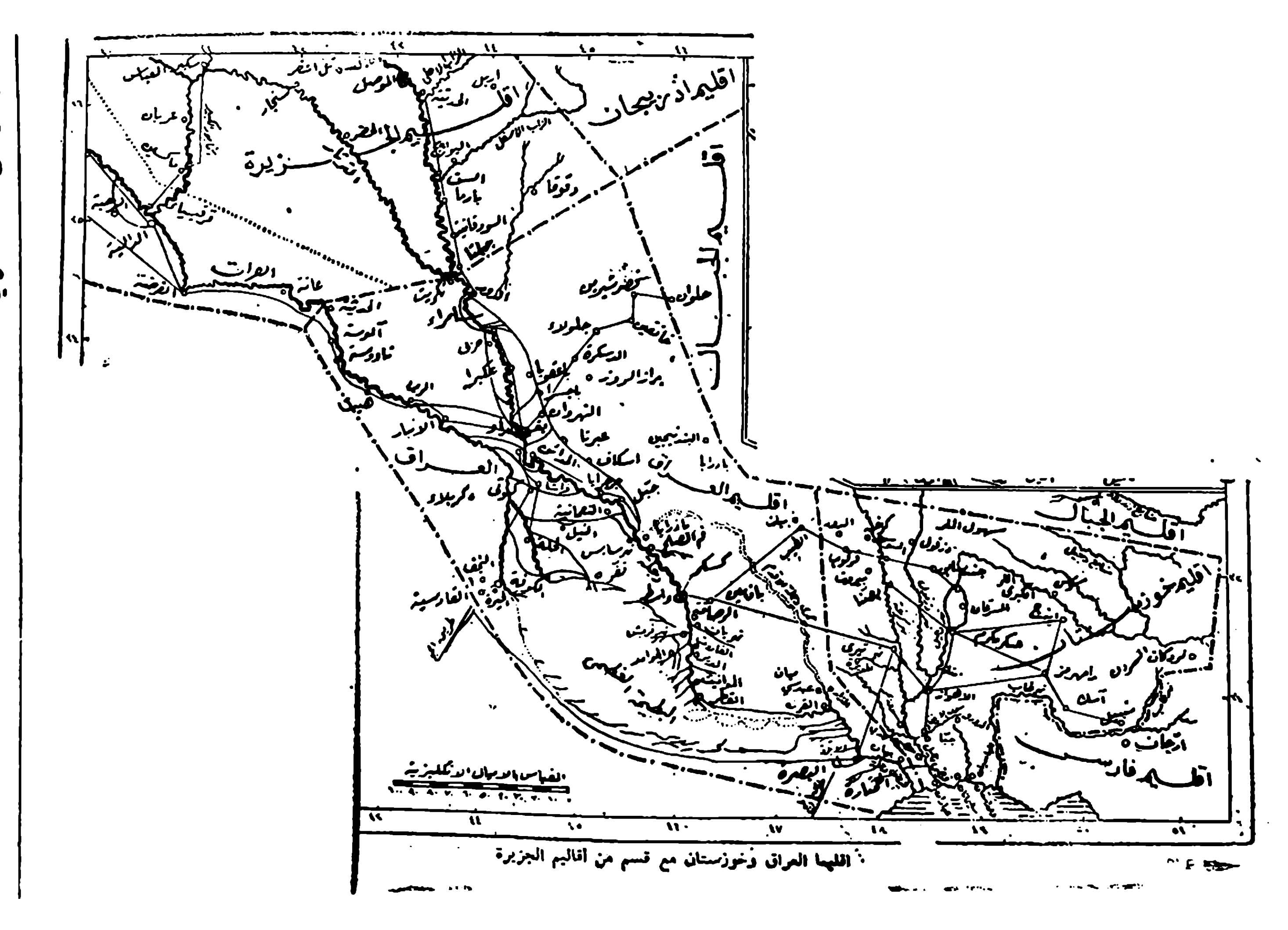
(٨٦) جرير بن عبدالله الحميري : انظر سيرته في أسد الغابة (١/٢٧٩) والاصابة (١/٢٤٣) .

(٨٧) جرير بن عبدالله البجلي : انظر سيرته في : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٥٦ – ٣٧١) .

(٨٨) الهرمزان : قائد من قادة الفرس ، أسر ، وعاش بالمدينة واتهم بقتل عمر بن الخطاب ، فقتله عبيدالله بن عمر بن الخطاب .

(٨٩) سهل بن عدي : انظر سيرته في أسد الغابة (٢/٣٦٨) والاصابة (٣/١٤١) .

(٩٠) سهيل بن عدي الانصاري الخزرجي : انظر سيرته المفصلة في : قادة فتح العراق والجزيرة .



اقليما العراق وخوزستان مع قسم من أقاليم الجزيرة

وابعث معه البَرَاء بن مالك (٩١) ، وعاصم بن عمرو (٩٢) ، ومَجْزَأَة ابن ثور (٩٣) ، وكَعْب بن سُوْر (٩٤) ، وعَرْفَجَة بن هَرْثَمَة (٩٥) ، وحُذَيفة بن مِحْصَن (٩٦) ، وعبدالرّحمن بن سهل (٩٧) ، والحُصَيْن ابن معبد (٩٨) ، وعلى أهل الكوفة وأهل البصرة جميعاً أبو سَبْرَة بن أبي رُهْم (٩٩) ، وكُلّ مَنْ أتاه فَمَدَدٌ له (١٠٠) .

وخَرَج النُّعمان بن مُقَرِّن في أهل الكوفة ، فأخذ وسط السَّواد حتى قطع دِجْلَة بحيال مَيْسَان (١٠١) ، ثمّ أخذ البَرّ إلى الأهواز على البغال

---

(٩١) البراء بن مالك : انظر سيرته في أسد الغابة (١٧٢/١) والاصابة (١/ ١٤٧) والاستيعاب (١٥٣/١) .

(٩٢) عاصم بن عمرو التميمي : انظر سيرته المفصلة في : قادة فتح فارس (٢٧٩ ـ ٢٨٩) .

(٩٣) مجزاة بن ثور السدوسي : انظر سيرته في أسد الغابة (٣٠٢/٤) (٤٤/٦) .

(٩٤) كعب بن سور الازدي : انظر سيرته في أسد الغابة (٣٤٣/٤) والاصابة (٣٢٢/٥) .

(٩٥) عرفجة ن هرثمة البارقي : انظر سيرته المفصلة في : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٨٧ ـ ٣٩٤) .

(٩٦) حذيفة بن محصن البارقي : انظر سيرته في أسد الغابة (٣٨٩/١) .

(٩٧) عبدالرحمن بن سهل الانصاري : انظر سيرته في أسد الغابة (٢٩٩/٣) والاصابة (١٦٢/٣ ـ ١٦٣) .

(٩٨) الحصين بن معبد بن النعمان : قتل في معركة الجمل مع علي ن ابي طالب رضي الله عنه سنة ست وثلاثين الهجرية ، انظر الطبري (٥١٥/٤) ، وانظر اخباره في الطبري (٥٠٣/٣) و (٨٤/٤ و ٥١٥) ، وهو من اهل الكوفة .

(٩٩) ابو سبرة بن ابي رهم القرشي العامري : انظر سيرته المفصلة في : قادة فتح بلاد فارس (١٥٥ ـ ١٦٠) .

(١٠٠) الطبري (٨٣/٤ ـ ٨٤) .

(١٠١) ميسان : كورة واسعة كثيرة القرى والنخيل ، تقع بين البصرة ومدينة واسط ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٢٤/٨) .

يجنبون (١٠٢) الخيل ، وسار قُدماً نحو الهُرمزان – والهُرمزان يومئذٍ برامُهرمُز (١٠٣) – فلما سمع الهرمزان بمسير النُّعمان إليه ، بادره بالهجوم عليه ، ورجا أن يهزمه ، وطمع في نصر أهل فارس ، وقد أقبلوا نحوه ، ونزلت أوائل امداداتهم قريباً منه . والتقى النُّعمان والهُرمزان بـ (أَرْبُك) (١٠٤) ، فانتصر النُّعمان على الهرمزان ، وأخلى رامَهرْمز وتركها ، ولحق بـ (تُستَر) (١٠٥) . وسار النُّعمان من أَرْبُك حتى نزل برامَهُرْمز ، ثم صعد لـ (إيْذَج) (١٠٦) ، فصالحه قائدها عليها ، فقبل منه وتركه ورجع إلى رامَهُرْمز وأقام بها .

ولما سار النُّعمان في أهل الكوفة وسبق سهلَ بن عَدِيّ في أهل البصرة ، قصد سهل ومَنْ معه تُسْتَر للقضاء على قوّات الهرمزان فيها ، ومال النّعمان إلى تُسْتَر أيضاً ، ونزلوا جميعاً : أهل البصرة ، وأهل الكوفة ، على تُسْتَر ، وقصدها معهم المسلمون الذين كانوا في الأهواز ، وبها الهُرْمزان وجنوده من أهل فارس وأهل الجبال والأهواز في الخنادق .

---

(١٠٢) يقال : جنب الدابة ، اذا قادها الى جنبه .

(١٠٣) رامهرمز : ومعنى رام بالفارسية ، المراد والمقصود، وهرمز احد الاكاسرة، فكأن هذه اللفظة مركبة معناها : مقصود هرمز او مراد هرمز ، وهي مدينة مشهورة بنواحي خوزستان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٢١) والمسالك والممالك (٦٤) .

(١٠٤) أربك : بلد وناحية ذات قرى ومزارع من نواحي الاهواز ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/١٧٢) .

(١٠٥) تستر : اعظم مدينة في الاهواز ، وهي شوشتر ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٨٦) .

(١٠٦) ايذج : كورة وبلد ، بين خوزستان واصبهان ، وهي اجل مدن هـذه الكورة ، تقع وسط الجبال ، انظر التفاصيل في معجم البلـدان (١/ ٣٨٥) .

وكتب المسلمون بذلك إلى عمر بن الخطّاب ، واستمدّه أبو سَبْرَة ، فأمدّهم بأبي موسى .

وكان على أهل الكوفة النُّعمان ، وعلى أهل البصرة أبو موسى ، وعلى الفريقين أبو سَبْرَة ، فحاصروهم أشهراً ، وأكثروا فيهم القتل . وزاحفهم الفُرس في أيام تُسْتَر ثمانين زَحْفاً في حصارهم : يكون عليهم مرّة ، ولهم أُخرى . وأخيراً هزمهم المسلمون حتى أدخلوهم خنادقهم ، ثم اقتحموها عليهم ، وطوّقوا مدينتهم تطويقاً كاملاً ، حتى فتحوا المدينة وأسروا الهُرْمُزان .

وخرج أبو سَبْرَة في أثر المنهزمين من الفرُس من تُسْتَر يطاردهم ، وكانت فلول الفرُس قد قصدت السُّوس (١٠٧) ، وخرج بالنُّعمان وأبي موسى ومعهما الهُرْمُزان ، حتى طوّقوا السُّوس ، وكتبوا بذلك إلى عمر ، فكتب عمر إلى أبي موسى فردّه إلى البصرة ، فانصرف أبو موسى إلى البصرة (١٠٨) .

وبعد فتح أصبهان ، فتح أبو موسى قُمّ (١٠٩) وقَاشَان (١١٠) قبل عودته إلى البصرة (١١١) ، وفي سنة اثنتين وعشرين عاد أبو موسى إلى

(١٠٧) السوس : بلد بالاهواز ، وهي تعريب الشوش ، ومعناها : الحسن والنزه والطيب ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٧١/٥) والمسالك والممالك (٦٤) .
(١٠٨) انظر التفاصيل في الطبري (٨٣/٤ - ٨٩) وابن الاثير (٥٤٥/٢ - ٥٥٠) .
(١٠٩) قم : مدينة تذكر مع قاشان ، وهي مدينة مستحدثة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٥٩/٧) وآثار البلاد وأخبار العباد (٤٤٢) .
(١١٠) قاشان : مدينة قرب أصبهان تذكر مع قم ، بينها وبين قم اثنا عشر فرسخا ، انظر معجم البلدان (١٣/٧) وآثار البلاد وأخبار العباد (٤٣٢) .
(١١١) ابن الاثير (٢٠/٣) والبلاذري (٤٣٦) .

البصرة بأمر عمر بن الخطّاب (١١٢) ، ولكن عمر بن الخطّاب أمّره على الكوفة بطلب من أهلها بعد عمّار بن ياسر (١١٣) ، فأقام على الــكوفة سنة واحدة ، ثم عزله عمر وصرفه إلى البصرة (١١٤) من جديد في سنة اثنتين وعشرين الهجريّة (١١٥) ، مما يدلّ على أنه بقي على الكوفة أقل من سنة كاملة ، وليس سنة كاملة كما ذكروا .

وفي سنة ثلاث وعشرين الهجريّة ، فتح أبو موسى وعثمان بن أبي العاص الثقفي (١١٦) مدينة شيْراز (١١٧) وأرَّجان (١١٨) وفتحا — سِينِيزْ (١١٩) على الجزية والخراج (١٢٠) .

وكان عثمان بن أبي العاص الثقفي قد فتح مدينة سابور (١٢١) سنة ثلاث وعشرين الهجريّة ، إلاّ أنّها انتقضت وغدرت ، فاستعاد أبو موسى

---

(١١٢) ابن الاثير (٣/٢٨) .

(١١٣) عمار بن ياسر : انظر سيرته في : طبقات ابن سعد (٣/٢٤٦) واسد الغابة (٤/٤٣) والاصابة (٤/٢٧٣) .

(١١٤) ابن الاثير (٣/٣٢) .

(١١٥) ابن الاثير (٣/٣٨) .

(١١٦) عثمان بن أبي العاص الثقفي : انظر سيرته المفصلة في : قادة فتح بلاد فارس (٢٦٢ — ٢٦٩) .

(١١٧) شيراز : مدينة في سط بلاد فارس ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٣٢٠) .

(١١٨) أرجان : مدينة كبيرة بينها وبين البحر مرحلة ، وبيتها وبين شيراز ستون فرسخا ، انظر معجم البلدان (١/١٧٩) .

(١١٩) سينيز : بلد على ساحل الخليج العربي اقرب الى البصرة من سيراف ، انظر معجم البلدان (٥/٢٠١) .

(١٢٠) ابن الاثير (٣/٤٠) والبلاذري (٥٤٦ — ٥٤٧) .

(١٢١) سابور : كورة واسعة ، مدينتها سابور ، وهي كورة مشــهورة بأرض فارس ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٤) .

فتحها عَنْوَة سنة ست وعشرين الهجرية ، وكان على مقدمته عثمان بن أبي العاص الثّقفي (١٢٢) .

لقد أبلى أبو موسى بلاء حسناً في جهاده جندياً وقائداً ، وكانت غايته الجهاد ، ولا يعتبر المنصب إلاّ وسيلة لتحقيق غايته ، فلم يكن يكترث أن أن يجاهد جندياً أو قائداً ، ورئيساً أو مرؤوساً ، ما دام يحقّق غايته في الجهاد من موقعه قائداً أو مقودا ، لذلك أثمر جهاده ثمرات يانعة في ساحة بلاد فارس بخاصة ، وحسبنا أن نذكر له ، أنّه فاتح الأهواز والسُّوس وأَصْبَهان والدِيْنَوَر وماسَبَذَان وقُمّ وقاشان ، واستعاد فتح سابور من جديد ، هذا بالاضافة إلى المعارك الكثيرة التي شهدها بقيادة غيره ، مثل معركة فتح الفتوح في نِهاوند ، وبالاضافة إلى المناطق الشاسعة الكثيرة التي وجّه إليها قادته لفتحها أو وجّه إليها رجاله من أهل البصرة لفتحها أو المعاونة على فتحها .

لقد كان جهاد أبي موسى بحق عظيما .

د . ولما انصرف أبو موسى من نهاوند ، مرّ بالدّيْنَوَر (١٢٣) فأقام عليها خمسة أيام ، فصالحه أهلها على الجزية .

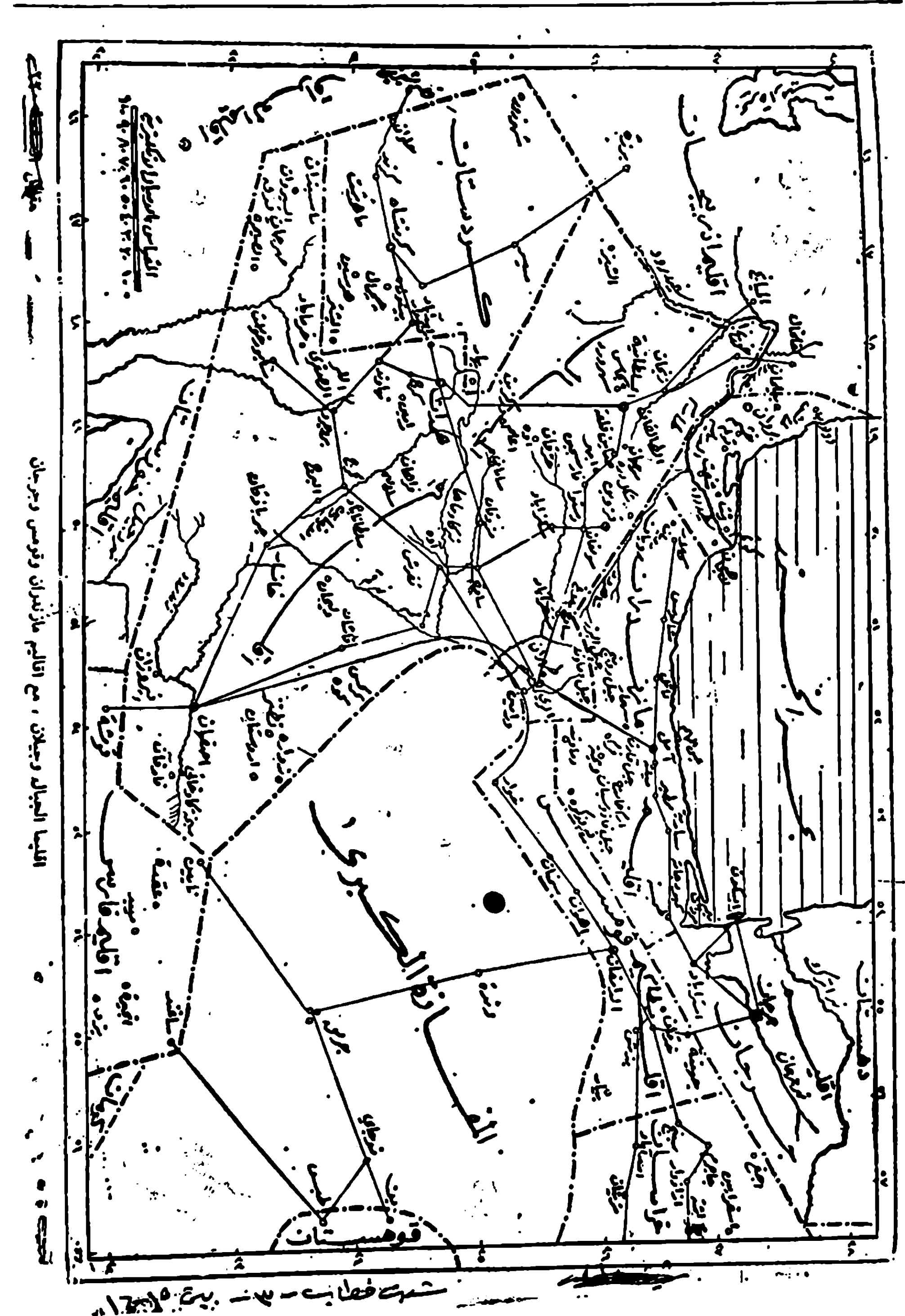
ومضى في طريقه ، فصالحه أهل سِيْرَوَان (١٢٤) على مثل صلح

---

(١٢٢) البلاذري (٥٤٧) .

(١٢٣) الدينور : مدينة من اعمال الجبل ، قرب قرميسين ، بين همذان والدينور نيف وعشرون فرسخا ، ومن الدينور الى شهرزور أربع مراحل ، والدينور بمقدار ثلثي همذان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٨٨/٤) والمسالك والممالك (١١٧) .

(١٢٤) سيروان : بلد بالجبل ، وهي كورة ماسبذان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٩٦/٥) .



اقليم الجبال وجيلان ، مع اقاليم مازندران وقومس وجرجان

الدِينَوَر . وبعث السَّائب بن الأقرع الثَّقَفي (١٢٥) إلى الصَّيْمَرة (١٢٦) مدينة مِهْرِجان قَذَق(١٢٧) ، ففتحها صلحاً . وقيل : إنّه وجَّه السّائب من الأَهواز (١٢٨) ، ففتح ولاية مِهْرِجَان قَذَق (١٢٩) .

وأُرجِّح الرواية الأولى ، لأنّ ولاية مِهرِجان قَذَق في طريق عودته من نهاوند إلى البصرة .

وكان ذلك سنة إحدى وعشرين الهجريّة .

هـ . وفي هذه السنة أيضاً ، أي سنة إحدى وعشرين الهجريّة بعث عمر بن الخطّاب رضي الله عنه عبدالله بن عبدالله بن عِتْبَان الأنصاري(١٣٠) ، وكان شجاعاً من أشراف الصَّحابة ومن وجود الأنصار ، وأمدّه بأبي موسى ، فساروا إلى نِهاوند ، ثم سار منها عبدالله فيمن معه ومَن تبعه من جند النُّعمان بن مُقَرِّن المُزَنيّ بنِهاوند نحو أَصْبَهَان (١٣١) . وكانت مقدمة

(١٢٥) السائب بن الاقرع الثقفي : انظر سيرته المفصلة في : قادة فتح بلاد فارس (١١٨ ـ ١٢٢) .

(١٢٦) الصيمرة : مدينة بمهرجان قذق ، وهي بلد بين ديار الجبل وديار الاهواز ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٤٠٦) .

(١٢٧) مهرجان قذق : كورة حسنة واسعة ذات مدن وقرى قرب الصيمرة من نواحي الجبال عن يمين القاصد من حلوان العراق الى همذان في تلك الجبال ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٢٠٩) .

(١٢٨) الاهواز : منطقة واسعة مؤلفة من سبع كور بين البصرة وفارس ، لكل كورة منها اسم ، ويجمعهن اسم الاهواز ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٣٨٠) ، ويقال لها : خوزستان ، انظر : آثار البلاد وأخبار العباد (١٥٢) .

(١٢٩) ابن الاثير (٣/١٦ والبلاذري (٤٣٠ ـ ٤٣١) .

(١٣٠) انظر سيرته المفصلة في : قادة فتح العراق والجزيرة (٤٨٦ ـ ٤٩٢) .

(١٣١) اصبهان : أو أصفهان ، مدينة عظيمة كانت عاصمة من عواصم العراق العجمي يطلق عليها اسمها ، انظر معجم البلدان (١/٢٦٩) .

أهل فارس برستاق لأصبهان ، فهاجمها المسلمون وأجبروها على الهزيمة ، وفتحوا الرستاق الذي كانت فيه مقدمة قوّات الفرس ، فكان أوّل رستاق أُخذ من أصبهان .

وسار المسلمون إلى أصبهان ، وحاصروها وقاتلوا المدافعين عنها ، فصالحهم قائدها على أصبهان ، وأنّ على مَنْ أقام فيها الجزية ، وأن يُجرَى مَنْ أُخذت أرضه عَنْوَة مجرى من يدفع الجزية ، ومن أبى وذهب كان للمسلمين أرضه .

وقدم أبو موسى على عبدالله بن عبدالله من ناحية الأهواز وقد صالح ، فدخل عبدالله وأبو موسى أصبهان فاتحين ، وكتبوا بذلك إلى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه (١٣٢) .

وقبل فتح تُسْتَر ، كان قد قدم وفد من وجوه أهل فارس إلى أبى موسى لمفاوضته ، فقال رئيس الوفد لأبى موسى : « إنّا قد رغبنا في دينكم فنُسْلِم على أن نقاتل معكم العجم ، ولا نقاتل معكم العرب ، وإن قاتَلَنا أحد من العرب منعتمونا منه ، وننزل حيث شئنا ، ونكون فيمن شئنا منكم ، وتلحقونا بأشراف العطاء ، ويعقد لنا الأمير الذي فوقك بذلك » ، فقال أبو موسى : « بل لكم ما لنا ، وعليكم ما علينا ! » ، قالوا : لا نرضى !» . وكتب أبو موسى بذلك إلى عمر ، فكتب عمر إلى أبى موسى : « أعْطِهِم ما سألوك » ، فكتب أبو موسى لهم ، فأسلموا وشهدوا معه ومع المسلمين الآخرين حصار تُسْتَر ، فألحقهم أبو موسى على قَدْر البلاء في أفضل العطاء ، وأكثر شئ أخذه أحد من العرب ، ففرض لمائة منهـم في ألفين ألفين ، وستة منهم في ألفين ، وخمسمائة لقسم منهم ، فقال الشاعر :

---

(١٣٢) انظر التفاصيل في : الطبري (١٣٩/٤ ـ ١٤٣) وابن الاثير (١٨/٣ ـ ٢٠) .

ولمّا رأى الفاروقُ حُسْنَ بلائِهِمْ وكـان بمـا يأتي من الأمر أبْصَرا
فَسَنَّ لهم ألفَيْنِ فَرْضاً وقد رأى ثلاثَمِئينَ فرْضَ عَكٍّ وحِمْيَرا(١٣٣)

وهذا يدلّ على أنّ الذين يُسلمون من العجم ، ويقاتلون مع المسلمين ، يمكن أن ينالوا أوفر العطاء ، وأن يحتلّوا أرفع المراكز .

وكان ذلك سنة سبع عشرة الهجريّة .

ج . وفي سنة إحدى وعشرين الهجريّة شهد أبو موسى معركة نِهَاوَنْد (١٣٤) الحاسمة تحت لواء النُّعمان بن مُقَرِّن المُزَنِيّ ، فلما انتصر المسلمون وفتحوا نِهَاوَنْد ، بدأ أبو موسى مسيرته الظافرة الموفّقة بالفتوح .

وكان المسلمون يسمّون فتح نَهاوَنْد : فتح الفتوح ، لأنّه لم يكن للفرس بعده اجتماع ، وملكَ المسلمون بلادهم .

وهذه المعركة الحاسمة التي حشد لها الفُرس خير جيوشهم وأبرز قادتهم ، قُوبلت من المسلمين بحملة شديدة قادها النُّعمان بن مُقَرِّن من الأمام ، فكان في مقدّمة المهاجمين على الفُرس ، وانقضّت رايته انقضاض العقاب عليهم فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يسمع السّامعون بوقعة كانت أشدّ منها ، فما كان يُسمع إلاّ وقع الحديد . وصبر لهم المسلمون صبراً عظيماً ، وانهزم الأعاجم ، وقُتل منهم ما بين الزّوال والإعتام ما طبّق أرض المعركة دماً يُزلق النّاس والدّواب .

وزاق بالنُّعمان فرسه ، فصُرع ، وقيل : بل رمي بسهم في خاصرته

(١٣٣) الطبري (٤/٩٠ – ٩١) .

(١٣٤) نهاوند : مدينة عظيمة قبلة همذان ، بينهما ثلاثة ايام ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣٢٩ والمسالك والممالك (١١٨) وآثار البلاد واخبار العباد (٤٧١) .

فقتله . وسجّاه أخوه نُعَيْم بثوب ، وأخذ الراية وناولها حُذَيفة بن اليَمَان (١٣٥) .

وقتل من العجم ثمانون ألفاً بالمطاردة وثلاثون ألفاً بالمعركة ، وتكبدوا خسائر فادحة بالأموال ، وانهارت معنوياتهم وارتفعت معنويات المسلمين ، وكان فتح نِهاوند فتحاً مبيناً حقاً (١٣٦) .

الانسـان

١ ـ العـالم :

١ . كان أبو موسى يُفْتِي بالمدينة ، ويُقْتَدَى به ، من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وبعد ذلك (١٣٧) ، وقد سمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قراءة أبي موسى فقال : « لقد أُوتي هذا من مزامير آل داود » (١٣٨) .

وقام أبو موسى ليلةً يُصلّي ، فسمع أزواج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم صوته، وكان حلو الصّوْت ، فقُمْنَ يَسْتَمِعْنَ ، فلما أصبح قيل له : « إنّ النِّساء كنّ يَسْتَمِعْنَ » ، فقال : « لو علمتُ لحبرّتُكنّ تحبيراً ولشوّقتكنّ تشويقا » (١٣٩) .

ووصف أحد الصَّحابة صوت أبي موسى بالقرآن ، فقال : « لم أَسمع

---

(١٣٥) انظر سيرته المفصلة في : قادة فتح بلاد فارس (١٠٨ ـ ١١٧) .

(١٣٦) انظر التفاصيل في : الطبري (٤/١١٤ ـ ١٣٧) وابن الاثير (٣/٥ ـ ١٦) .

(١٣٧) انظر اسماءهم في طبقات ابن سعد (٢/٣٣٤ ـ ٣٥٤) ، وانظر اصحاب الفتيا لابن حزم ـ ملحق بجوامع السيرة (٣٢٠) .

(١٣٨) طبقات ابن سعد (٢/٣٤٤) ، وانظر تفاصيل روايته في طبقات ابن سعد (٤/١٠٧ ـ ١٠٨) .

(١٣٩) طبقات ابن سعد (٢/٣٤٥) و (٤/١٠٨) .

صوتَ صَنْجٍ قطّ ، ولا بَرْبَط (١٤٠) قط ، كان أحسن منه » ، يصف صوته بقراءة القرآن الجهريّة في الصّلاة (١٤١) .

وبالطّبع فانّ استقطاب الآراء وإجماعها على الاعجاب بصوت أبي موسى بالقرآن ، لا لأنّه جميل الصّوت حسب ، بل لاتقانه تجويد القرآن وحفظه والتأثير به في النفوس والعقول معاً . لذلك خلّف النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أبا موسى ومُعَاذ بن جبَل في مكّة بعد فتحها وانقضاء غزوتي حُنَيْن والطّائف يُعَلِّمان النّاسَ القرآن والفِقْه في الدِّين (١٤٢) ، وأرسلهما إلى جملة اليمن داعيين إلى الاسلام ، فأسلم عامَّة أهل اليمن : ملوكهم ، وسوقتهم (١٤٣) .

وكان عمر بن الخطّاب إذا رأى أبا موسى قال : « ذكِّرنا يا أبا موسى » ، فيقرأ عنده (١٤٤) ، القرآن ، وقال عمر لأبي موسى : « شوِّقنا إلى ربنا » ، فقرأ القرآن ، فقالوا : « الصّلاة ! » ، فقال عمر : « أوَلَسْنا في صلاة ! » (١٤٥) وقال عمر لأبي موسى : « ذكِّرْنا ربَّنا » ، فقرأ عليه أبو موسى ، وكان حسن الصّوت بالقرآن (١٤٦) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « بعثني الأشعريّ إلى عمر — حين كان على البصرة ، فقال : كيف تركت الأشعري ؟ فقلت له : تركته يعلِّم الناس القرآن . فقال : أما إنّه كيِّس ، ولا تُسْمِعْها إيّاه (١٤٧) .

(١٤٠) بربط : العود (من الآلات الموسيقية) ، ومعناه صدر البط . (ج) برابط .
(١٤١) طبقات ابن سعد (١٠٨/٤) .
(١٤٢) مغازي الواقدي (٩٥٩/٣) .
(١٤٣) تهذيب الاسماء واللغات (٣٠/١) .
(١٤٤) طبقات ابن سعد (١٠٩/٤) .
(١٤٥) طبقات ابن سعد (١٠٩/٤) .
(١٤٦) طبقات ابن سعد (١٠٩/٤) .
(١٤٧) طبقات ابن سعد (٣٤٥/٢) .

وقال الامام الشّعْبيّ : « انتهى العلم إلى ستّة » ، وذكر أبا موسى فيهم .
وقال الحسن البصري : ما أتاها – يريد البصرة – راكب خير منه » ، يعني أبا موسى (١٤٨) .

وكان دقيقاً غاية الدقّة في تحري العلم : في نقله بصدق ، وفي تعليمه بأمانة ، وهو القائل : « مَنْ علّمه الله علماً ، فليعلّمه ، ولا يقولنّ ما ليس له به علم ، فيكون من المتكلّفين ويمرق من الدّين » (١٤٩) .

وحين ولاه عمر بن الخطّاب البصرة ، قال لأهل البصرة : « إنّ أمير المؤمنين عمر بعثني إليكم أعلّمكم كتاب ربّكم عزّوجلّ ، وسُنّة نبيّكم صلّى الله عليه وسلّم ، وأنظّف لكم طرقكم (١٥٠) ، وكان أبو موسى هو الذي فقّه أهل البصرة وأقرأهم ١٥١) القرآن الكريم ، وسكن الكوفة وتفقّه به أهلها (١٥٢) .

وجمع أبو موسى القُرّاء في البصرة يوماً ، وقال : « لا تُدخلوا عليّ إلاّ مَنْ جمع القرآن » ، فدخل عليه زهاء ثلاثمائة ، فعظّم القرآن وقال : إنّ هذا القرآن كائن لكم أجرا ، وكائن عليكم وزرا ، فاتّبعوا القرآن ولا يتبعنّكم القرآن ، فانّه مَنْ اتّبع القرآن هبط به على رياض الجنّة ، ومَنْ تبعه القرآنُ زُجّ في قفاه فقذفه في النار » (١٥٣) .

وكان أبو رَجَاء العُطَارِديّ يقول : « كان أبو موسى الأشعري يطوف علينا في هذا المسجد ، مسجد البصرة ، يعقد حَلَقاً ، فكأني انظر إليه بين

(١٤٨) الاصابة (٤/١٢٠) .
(١٤٩) طبقات ابن سعد (٤/١٠٩) .
(١٥٠) حلية الاولياء (١/٢٥٧) .
(١٥١) الاصابة (٤/١٢٠) .
(١٥٢) الاصابة (٤/١٢٠) .
(١٥٣) صفوة الصفوة (١/٢٢٦) وانظر حلية الاولياء (١/٢٥٧) .

بُرْدَين أبيضين يُقرئني القرآن ، ومنه أخذت هذه السورة : (إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ) (١٥٤) ، فكانت أوّل سورة أُنزلت على محمّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم » (١٥٥) .

ووصفوا حديثه الحاسم الجازم في العلم ، فقالوا : « ماكُنّا نشبِّه كلام أبي موسى إلاّ بالجَزّار الذي لا يُخطئُ المِفْصَل » (١٥٦) .

وكان عبدالله بن مَسْعود (١٥٧) يقرأ القرآن ، فجاء حُذَيْفَة بن اليَمان فقال : « قراءة ابن أمّ عَبْد، وقراءة أبي موسى الأشعري ، والله إن بقيت حتى آتي أمير المؤمنين – يعني عثمان – لأمرته بجعلها قراءة واحدة . وقال حذيفة : « يقول أهل الكوفة : قراءة عبدالله – يعني عبدالله بن مسعود – ، ويقول أهل البصرة : قراءة أبي موسى ، والله لئن قدمت على أمير المؤمنين لأمرته أن يغرقها » (١٥٨) ، يريد : أن يضع حداً للاختلاف في القرآءات وذلك بجمع القرآن، وفعل حُذَيفة ما وعد به ، وجمع عثمان القرآن . (١٥٩).

لقد بلغ أبو موسى في القرآن وفي علومه مبلغاً جعله موضع ثقة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم والخلفاء الراشدين من بعده في تولي واجب الداعية المختار والمعلّم الأول في ركب تعليم القرآن وعلومه ، حتى أصبحت له مدرسة تُعرف باسمه في البصرة والكوفة بخاصة والمشرق الاسلامي كلّه بعامة .

---

(١٥٤) الآية الكريمة من سورة العلق (٩٦ : ١) .

(١٥٥) حلية الاولياء (١/٢٥٦ – ٢٥٧) وانظر انساب الاشراف (١/١١٠) .

(١٥٦) طبقات ابن سعد (٤/١١١) .

(١٧٥) عبدالله بن مسعود : انظر سيرته في طبقات ابن سعد (٢/٣٤٢) و (٣/١٥٠) واسد الغابة (٣/٢٥٦) والاصابة (٤/١٢٩) والاستيعاب (٣/٩٨٧) وانساب الاشراف (١/٢٠٤) وتهذيب الاسماء واللغات (١/٢٨٨) .

(١٥٨) كتاب المصاحف (١٣) .

ب . حَفظ أبو موسى كثيراً من أحاديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقد روى ابنه أبو بُرْدَة قال : « كان لأبي موسى تابع ، فقال لي : يُوشك أبو موسى أن يذهب ولا يُحفَظ حديثه فاكتب عنه . قلت : نِعْمَ ما رأيتَ ، فجعلت أكتب حديثه ، فحدَّث حديثاً فذهبتُ أكتبه كما كنت أكتب ، فارتاب بي ، وقال : لعلّك تكتب حديثي ؟ قلت : نَعَم ! قال : فَأْتِني بكل شيءٍ كتبتَه ! فأتيتُه به ، فمحاه ثم قال : احفظ كما حفظتُ » (١٦٠) ، فقد كان ألمعيّ الذّكاء ، يحفظ ما يسمعه بسرعة ويُسرٍ وإتقان .

ولأبي موسى ثلاثمائة وستون حديثاً (١٦١) ، اتّفق البخاري ومُسْلِم على خمسين حديثاً ، وانفرد البخاري بأربعة أحاديث ، ومسلم بخمسة وعشرين حديثاً (١٦٢) . روي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، وعن عبدالله بن عبّاس وأُبَيّ بن كَعْب وَعَمّار بن ياسِر ومُعَاذ بن جَبَل رضى الله عنهم . وروى عنه أولاده : إبراهيم وأبو بكر وأبو بُرْدَة وموسى ، وامرأته أمّ عبدالله ، وأنس بن مالك وأبو سعيد الخُدْرِيّ وطارق بن شِهاب . ومن كبار التّابعين فمن بعدهم زيد بن وَهْب وأبو عبدالرحمن السُّلَمِيّ وعُبَيْد بن عُمَيْر وقيس ابن أبى حازم وأبو الأسود الدؤلي وسعيد بن المُسَيَّب وزرّ بن حُبَيْش وأبو عثمان النَّهْدي وأبو رافع الصَّائغ وأبو عُبَيْدَة بن عبدالله بن مَسْعود

(١٥٩) كتاب المصاحف (١٤ ـ ١٦) والرياض النضرة (١٣٥/٢ ـ ١٣٦) .

(١٦٠) طبقات ابن سعد (١١٢/٤) .

(١٦١) أسماء الصحابة الرواة لابن حزم ـ ملحق بجوامع السيرة (٢٧٦) وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال (٣١٠) .

(١٦٢) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال (٣١٠) ، وفي تهذيب الاسماء واللغات (٢٦٩/٢) : أن البخاري انفرد بخمسة عشر ومسلم بخمسة عشر .

ومَسْروق بن أَوْس الحَنْظَلِيّ وغيرهم كثيرون (١٦٣).

هكذا كان أبو موسى، يسّر له ذكاؤه وحرصه وحبّه لهذا الدّين، أن يصبح عالماً بالكتاب وعلومه، محدّثاً يروي حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعن أبرز أصحابه، ويروي عنه الصحابة والتابعون ومَنْ تبعهم باحسان حتى لحق بالله، فقضى أيامه معلّماً ومتعلّماً، ومسترشداً ومرشداً، ولم يبخل على أحد بعلمه، وكان يعتبر العلم عبادة من أجلّ العبادات، يسهر على تعلّمه كما يسهر على تعليمه، لذلك تخرّج في مدرسته طلاّب كثيرون، لا ينفكون يفخرون بعلمه الذي لم يرد به إلاّ وجه الله، ولم يرد به سمعة ولا مالا، فبقي علمه ينتفع به الناس ويمكث في الأرض، ومضى محبو السّمعة والمال وما حرصوا عليه من سمعة ومال، فاذا بالعلم وحده هو الباقي، وإذا بالسّمعة والمال سراب.

٢ ـ القاضي:

قضاة الأُمّة أربعة: عمر، وعليّ، وأبو موسى، وزيد بن ثابت (١٦٤)، رضي الله عنهم، ومن أقواله في القضاء: «لا ينبغي للقاضي أن يقضيَ حتى يتبين اللّيل من النّهار»، فبلغ قوله عمر بن الخطّاب فقال: «صدق أبو موسى» (١٦٥).

وقال يوماً وهو يخطب في البصرة: «إنّ باهِلَة كانت كُراعاً فجعلناها ذراعا»، فقام رجل فقال: «ألا أُنبئكَ بألأمَ منهم؟»، قال: «مَنْ؟!»، قال: «عَكّ والأشعريّون»، قال: «أولئك وأبيك آبائي! ياسَابّ أميره، تعال»، فضرب عليه فسطاطاً، فراحت عليه قصعةٌ، وغدت عليه

---

(١٦٣) الاصابة (٤/١٢٠) وتهذيب التهذيب (٥/٣٦٢).
(١٦٤) الاصابة (٤/١٢٠).
(١٦٥) طبقات ابن سعد (٢/٣٤٥) و (٤/١١٣).

أخرى ، فكان ذلك سِجْنَه (١٦٦) . وكان آباؤه من الأشعريين ، وكانت أمّه من عكّ ، وكان أميراً على البصرة ، ولكنّه لم يظلم الذي سبّه علناً ، فعامله بالحسنى لتأديبه لا للانتقام منه ، معاملة القاضي العادل لا الحاكم المستبد الغاشم .

وهذا هو كتاب عمر بن الخطّاب إلى أبي موسى ، وهو الكتاب المشهور بكتاب سياسة القضاء وتدبير الحكم :

بسم الله الرحمن الرحيم

من : عبدالله عمر امير المؤمنين .

الى : عبدالله بن قيس (يعني ايا موسى الأشعري) .

سلام عليك ، أما بعد ، فانّ القضاء فريضة محكمة وسُنَّة متَّبَعَة ، فافهم إذا أُدلي إليك ، فانّه لا ينفع تكلّم بحقّ لانفاذ له . آسِ بين الناس الناس في مجلسك ووجهك ، حتى لا يطمع شريف في حَيفك (١٦٧) ، ولا ييأس ضعيف من عدلك . البيّنَة على مَنْ ادّعى ، واليمين على مَنْ أنكر ، والصُّلح جائز بين الناس ، إلاّ صلحاً أحلّ حراماً أو حرّم حلالا . ولا يمنعنّك قضاء قضيتَه بالأمس ، فراجعتَ فيه نفسك ، وهُديت لرشدك أن ترجع إلى الحق ، فانّ الحق لا يُبطله شيْ ، واعلم أنّ مراجعة الحقّ خير من التّمادي في الباطل . الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك ممّا ليس فيه قرآن ولا سُنّة . واعرف الأشباه والأمثال ، ثمّ قس الأمـور بعد ذلك ، ثمّ اعمد لأحَبِّها إلى الله وأشبهها بالحقّ فيما ترى . اجعل لمن ادّعى حقاً

(١٦٦) طبقات ابن سعد (١١٣/٤) .

(١٦٧) حاف عليه ــ حيفا : جار وظلم ، وفي التنزيل العزيز : (ام يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) . ولا يطمع شريف في حيفك : في جورك وظلمك .

حقاً غائباً أمداً ينتهي إليه ، فان أحضر بيّنة أخذ بحقّه ، وإلاّ استحللت عليه القضاء . والمسلمون عُدول في الشّهادة ، إلاّ مجلوداً بحدّ ، أو مجرّباً عليه شهادة زور ، أو ظنيناً في ولاء أو قرابة . إنّ الله تولّى منكم السّرائر ، ودرأ عنكم بالبيّنات . وإياك والقاق والضجر والتأذي بالخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ويُحسن الذخر ، فانّه مَنْ صلحت سريرته فيما بينه وبين الله ، أصلح ما بينه وبين الناس ، ومَنْ تزيّن للدنيا بغير ما يعلم الله منه شَانَهُ اللهُ ، والسلام (١٦٨) .

وهذا الكتاب العمري يفيد كل قاضٍ وكلّ إداريّ في كلّ زمان ومكان ، وهو واضح لا يحتاج إلى شرح .

وهذا نص كتاب عمري آخر ، إلى أبي موسى ، يفيد كلّ قاضٍ ، وكلّ إداريّ أيضا :

أما بعد : فانّ للناس نفرة من سلطانهم ، فاللهَ اللهَ أن تُدركني وإيّاك عمياء مجهولة وضغائن محمولة ، أقِمْ الحدود ولو ساعةً من نهار .

وإذا عرض لك أمران ،أحدهما لله ، والآخر للدنيا ، فآثر نصيبك من الله ، فانّ الدنيا تنفد ، والآخرة تبقى .

وأخيفوا الفُسَّاق واجعلوهم يداً يداً ورجلاً رجلاً ، وعُدْ مرضى المسلمين ، واشهد جنائزهم ، وافتح لهم بابك ، وباشِر أمورك بنفسك ، فانّما أنت رجلٌ منهم ، غير أنّ الله جعلك أثقلهم حملا .

---

(١٦٨) عيون الاخبار (١/٦٦) والبيان والتبيين (١/٦٩) والكامل للمبرد (٩) والاحكام السلطانية للماوردي (١١٩ ــ ١٢١) ومقدمة ابن خلدون (١/١٨٤) والعقد الفريد (١/٣٣) واعلام الموقعين لابن القيم ، والمبسوط للسرخسي (١٦/٦٠ ــ ٦٥) وفيه المتن وشرحه ، والسنن الكبرى للبيهقي =

وقد بلغني أنّه قد فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ، للمسلمين مثلهـا ، فإيّاك يا عبدالله أن تكـون بمنزلة البهيمة ، مرّت بوادٍ ليس خَصيب ، فلم يكن لها هم إلا السمن ، وانما حتفها في السمن .

واعلم أنّ العامل إذا زاغ زاغت رعيّته ، وأشقى الناس مَنْ شقي الناس به ، والسلام (١٦٩) .

وما ذكره عمر بن الخطّاب في كتابه إلى أبي موسى حول ما طرأ عليه وعلى أهل بيته من بوادر النِّعمة التي لم تكن لديهم من قبل ، يذكره عمر في كتبه لكلّ عمّاله بدون استثناء ، حتى لو علم إنّ تلك النِّعمة الطّارئة لا وجودلها ، فقدكان أسلوب عمر أن يخوِّف من الانحراف قبل وقوعه ، خوفاً من وقوع العامل فيه فلا ينفع التّخويف والتّحذير ، فقد كان أبو موسى أسـوةً حسنةً لأهله ومَنْ حـوله ومَنْ يحكم باستقامته المطلقـة وتقشّفه وأمانته ، ومع ذلك فالتّحذير العمري في كتابه لا يخلو من فائدة خاصة وعامة ، إذا لم تقتصر على أبي موسى ، فقد تشمل غيره ممن معه في السلطة والرعيّة .

لقدكان أبوموسى من قضاة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فقد وجّهه إلى اليمن أميراً وقاضيا . كما وجّه مُعَاذ بن جبل أميراً وقاضياً (١٧٠) ، وكان من واجب الأمير في حينه أن يقضي بين الناس أيضاً إضافة إلى واجباته الأخرى ، وقد روى الامام أحمد بن حَنْبَل ، أنّ النبيّ صلّى الله عليه

(١٠/١٨٤) وانظر تفاصيل المصادر والمراجع في : مجموعة الوثـائق السياسية (٣١٦ ـ ٣١٩) الوثيقة الرقم (٣٢٧) ، وانظر : اخبـار القضاة لوكيع (١/٢٨٣ ـ ٢٨٤) .

(١٦٩) عيون الاخبار (١/١١) ، وانظر : مجموعة الوثائق السياسية (٣١٩ ـ ٣٢٠) ، الوثيقة الرقم (٣٢٨) .

(١٧٠) اخبار القضاة (١/١٠٠) .

وسلّم بعث مُعَاذاً وأبا موسى إلى اليمن ، فقال : « بَشِّروا ولا تُنَفِّروا ، ويسِّروا ولا تُعَسِّروا ، وتطاوعا ولا تختلفا » (١٧١) .

وقد بقي على القضاء في اليمن إلى زمن عمر بن الخطّاب (١٧٢) ، ثم نُقِل إلى منصب القضاء لعمر (١٧٣) بالمدينة .

ولما تولى أبو موسى البصرة من قِبَل عمر بن الخطّاب ، كان معه قاضٍ في البصرة ، فلما تولى عثمان بن عفّان أقرّ أبا موسى على صلاة البصرة وأحداثها وعزل قاضيها عن القضاء وولى أبا موسى القضاء(*) أيضا .

لقد كان أبو موسى من قضاة المسلمين الأولين الذين أصبحت أقضيتهم أسوة حسنة لقضاة المسلمين والقضاء المثالي العادل ، وحسبه أن يعمل في القضاء على عهد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وخلفائه : أبي بكر وعمر وعثمان ، فلما تولى عليّ تولّى في عهده أعظم مهمّة قضائية في حينه ، هي مهمّة : التّحكيم ، وهي مهمّة قضائية في جوهرها بلا مراء .

٣ ـ الحكم :

بدأت معركة صِفِّين (١٧٤) بين قوّات عليّ بن أبي طالب من جهة وقوّات معاوية بن أبي سُفْيان من جهة ثانية في اليوم الأول من شهر صَفَر من سنة سبع وثلاثين الهجرية (١٧٥) ، واستمر القتال بين الطرفين عنيفاً

(١٧١) اخبار القضاة (١٠١/١) .
(١٧٢) اخبار القضاة (١٠٢/١) .
(١٧٣) المعارف (٥٩٠) .
(*) اخبار القضاة (٢٨٣/١) .
(١٧٤) صفين : موضع بقرب الرقة ، على شاطىء الفرات ، من الجانب الغربي ، بين الرقة وبالس ، انظر معجم البلدان (٣٧٠/٥) .
(١٧٥) الطبري (١٢/٥) وابن الاثير (٢٩٤/٣) .

تساقط خلاله القتلى والجرحى من الطرفين ، فقُتل في الحرب بينهما سبعون ألفاً ، منهم من أصحاب عليّ خمسة وعشرون ألفاً ، ومن أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً ، وقُتل مع عليّ خمسة وعشرون صحابياً بدريّاً ؛ وكان مدّة المقام بصفّين مائة يوم وعشرة أيام ، وكانت الوقائع تسعين وقعة (١٧٦) .

ولما رأى عمرو بن العاص أنّ أمر العراق قد اشتدّ ، وأنّ كفّة أصحاب عليّ في القتال هي الرّاجحة قال لمعاوية : « هل لك في أمرٍ أعرضه عليك لا يزيدنا إلاّ اجتماعاً ولا يزيدهم إلاّ فُرقة ؟ » ، قال : « نَعم » ، قال : « نرفع المصاحف ثمّ نقول لما فيها : هذا حكم بيننا وبينكم ، فأن أبىّ بعضهم أن يقبلها وجدتَ فيهم مَنْ يقول : ينبغي لنا أن نقبل ، فتكون فرقة بينهم ، وإن قبلوا ما فيها رفعنا القتال عنّا إلى أجل » (١٧٧) .

وحين وافق أصحاب عليّ على التّحكيم ، اختلفوا على الحَكَم الذي يمثّلهم ، وكان أبو موسى مرشّح الأكثرية ، فنزل عليّ على رأيهم واختار أبا موسى حَكَماً (١٧٨) ، كما اختار معاويةُ عمرو بن العاص عن أهل الشّام حَكَماً (١٧٩) .

وكان نصّ وثيقة التحكيم :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما تقاضى عليه عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، قاضى

---

(١٧٦) معجم البلدان (٥/٣٧٠) والتنبيه والاشراف للمسعودي (٢٥٦) ومروج الذهب (٢/٣٥٢) .

(١٧٧) انظر التفاصيل في الطبري (٥/٤٨ ــ ٦٣) وابن الاثير (٣/٣١٦ ــ ٣٢٦) .

(١٧٨) الطبري (٥/٥١) وابن الاثير (٣/٣١٩) .

(١٧٩) الطبري (٥/٥٢) وابن الاثير (٣/٣١٨) .

عليّ على أهل الكوفة ومَنْ معهم ، وقاضى معاوية مع أهل الشّام ومَنْ معهم ، إنّنا ننزل عند حكم الله وكتابه ، وأن لا يجمع بيننا غيره ، وأنّ كتاب الله بيننا من فاتحته إلى خاتمته نُحيي ما أحياو نُميت ما أمات ، فما وجد الحكمان في كتاب الله ، وهما أبو موسى عبدالله بن قيس وعمرو بن العاص ، عَمِلا به ، وما لم يجداه في كتاب الله فالسُنَّة العادلة الجامعة غير المفرِّقة . وأخذ الحكمان من عليّ ومعاوية ومن الجندين من العهود والمواثيق أنّهما آمنان على أنفسهما وأهليهما ، والأُمّةُ لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه . وعلى عبدالله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأُمّة،لا يردّاها في حربٍ ولا فُرقة حتى يُعصيا ، وأجلُ القضاء إلى رمضان إن أحبّا أنيؤخِّرا ذلك أخرّاه ، وإنّ مكان قضيتهما مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام » (١٨٠) .

ولما جاء وقت اجتماع الحكمين : أرسل عليّ مع أبي موسى أربعمائة رجل ، وأرسل معهم عبدالله بن عبّاس ليصلّي بالناس ويلي أمورهم .

وأرسل معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة من أهلالشّام، حتى توافوا من دُومَةالجَنْدَل (١٨١) بأَذْرُح (١٨٢) .

واجتمع الحكمان ، فقال عمرو لأبي موسى : « ألستَ تعلم أنّ معاوية وآل معاوية أولياء عثمان ؟ » ، قال : « بَلَى » ، قال : « فما يمنعك منه،

(١٨٠) الطبري (٥/٥٣ ــ ٥٤) وابن الاثير (٣/٣٢٠) ، وانظر الاخبار الطوال للدينوري (١٩٦ ــ ١٩٩) .

(١٨١) دومة الجندل : حصن وقرى بين الشام والمدينة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/١٠٦ ــ ١٠٩) .

(١٨٢) اذرح : اسم بلد بأطراف الشام من أعمال الشراة ثم من نواحي البلقاء ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/١٦١ ــ ١٦٢) .

وبيته في قريش كما قد علمتَ ؟ فان خفتَ أن يقول الناس : ليست له سابقة ، فقل : وجدته وليّ عثمان الخليفة المظلوم والطّالب بدمه ، الحسن السياسة والتدبير ، وهو أخو أمّ حَبِيْبَة زوج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكاتبه ، وقد صحبه » ، وعَرَّض لأبى موسى بسلطان .

وقال أبو موسى : « يا عمرو ! اتَّقِ الله ! فأما ما ذكرتَ من شرف معاوية ، فان هــذا ليس على الشّرف تولاّه أهله ، ولو كان على الشّرف لكان لآل أبْرَهَة بن الصبّاح (١٨٣) ، وإنما هو لابن الدّين والفضل ، مع أني لو كنتُ معطيه أفضل قريش شرفاً أعطيته عليّ بن أبي طالب . وأما قولك : إنّ معاوية وليّ دم عثمان فولّهِ هذا الأمر ، فلم أكن لأوليّه وأدع المهاجرين الأولين . وأما تعريضك لي بالسلطان ، فو الله لو خرج لي معاوية من سلطانه كلّه لما ولّيتُه ، وما كنتُ لأرتشيّ في حكم الله ! ولكنّك إن شئت أحيينا اسم عمر بن الخطّاب رحمه الله » .

فقال له عمرو : « فما يمنعك من ابني ، وأنت تعلم فضله وصلاحه ؟» ، فقال : « إنّ ابنك رجل صدق ، ولكنّك قد غمسته في هذه الفتنة » .

وجرت المناقشة على هذا المنوال ، ممّا لا مجال لذكره هنا ، وقد ذكرت ما ذكرت لأُبرز اتّجاه أبى موسى في حرصه على المصلحة العليا للمسلمين ، وخلوّه من كل اتّجاه آخر .

وكان عمرو ، قد عوّد أبا موسى أن يقدّمه في الكلام ، يقول له : « أنت صاحب رسول الله صلّى الله عايه وسلّم ، وأسنّ مني ، فتكلّمْ » ، وتعوّد ذلك أبو موسى ، وأراد عمرو بذلك كلّه أن يقدّمه في خلع علي .

ولما أراده عمرو على ابنه وعلى معاوية ، فأبى ، وأراد أبو موسى ابنَ

---

(١٨٣) انظر نسبه في جمهرة انساب العرب (٤٣٥) ، وهو من حمير بن سبأ .

عمر ، فأبىَ عمرو ، قال له عمرو : « خبِّرْني ما رأيك ؟ » ، قال : « أرى أن نخلع هذين الرّجلين ، ونجعل الأمر شورى ، فيختار المسلمون لأنفسهم مَنْ أحبّوا » ، فقال عمرو : « الرأي ما رأيت » .

وأقبلا إلى النّاس وهم مجتمعون ، فقال عمرو : « يا أبا موسى ! أعلمهم أنّ رأينا قد اتّفق » .

وتكلّم أبو موسى فقال : « إنّ رأينا قد اتّفق على أمر نرجو أن يُصلح الله به أمر هذه الأمّة » ، فقال عمرو : « صدقَ وبَرّ ، تقدّمْ يا أبا موسى فتكلّم » .

وتقدّم أبو موسى ، فقال : « أيّها الناس إنّا قد نظرنا في أمر هذه الأُمَّة ، فلم نرَ أصلح لأمرها ولا ألَمّ لشعَثِها من أمرٍ قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه ، وهو أن نخلع عليّاً ومعاوية ويولي الناس أمرهم من أحبّوا ، وإني قد خلعتُ عليّاً ومعاوية ، فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم مَنْ رأيتموه أهلا » ، ثم تنَحّى .

وأقبل عمرو ، فقام وقال : « إنّ هذا قد قال ما سمعتموه وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأُثبِّتُ صاحبي معاوية ، فانّه وليّ ابن عفّان ، والطّالب بدمه ، وأحقّ الناس بمقامه » .

والتمس أهل الشّام أبا موسى ، فهرب إلى مكّة ، ثم انصرف عمرو وأهل الشّام إلى معاوية ، فسلّموا عليه بالخلافة .

ورجع ابن عبّاس ومَنْ معه من أهل العراق إلى عليّ في الكوفة (١٨٤) .

(١٨٤) انظر التفاصيل في الطبري (٦٧/٥ — ٧١) وابن الاثير (٣٢٩/٣ — ٣٣٤) .

وقد غمز أبا موسى كثيرون ، ولكي ننصفه بالحكم له أو عليه ، لا بد من معرفة ظروفه التي أحاطت به ، وموقفه منها .

لقد بقي أبو موسى والياً على البصرة حتى مقتل عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فأمّره عثمان عليها ثمّ صرفه (١٨٥) ، ثمّ عادفولاّه الكوفة نزولاً عند رغبة أهلها (١٨٦) .

وعندما أثار الشّغب على عثمان قسم من أهل الكوفة ، قام أبو موسى فيهم خطيباً فقال : «لا تنفروا في مثل هذا،ولا تعودوا لمثله . الزموا جماعتكم والطّاعة ، وإياكم والعجلة » ، فقال الذين شغبوا على عثمان : « فصَلّ بنا » ، فقال : « لا ! إلاّ على السّمع والطّاعة لعثمان بن عفّان » ، فقالوا : « السّمع والطّاعة لعثمان » . (١٨٧) .

وهكذا ضرب أبو موسى مثلاً رائعاً رفيعاً في العدل للمصلحة العامّة الاسلاميّة ونكران الذّات ، إذ لم يُفكرّ لحظة واحدة في الشّغب على عثمان انتقاماً منه على عزله من البصرة دون مسوّغ لهذا العزل ، وبذل غاية جهده لعدم إشعال نيران الفتنة بين المسلمين . ولما علم بتجمّع الحاقدين على عثمان من الأمصار في المدينة المنوّرة ، أرسل القَعْقَاع بن عمرو التّميمي (١٨٨) على رأس جيش من أهل الكوفة لانقاذ عثمان مما حاق من أخطار (١٨٩) .

ولكن عثمان قُتل قبل أن يدركه جيش القَعْقَاع أو تدركه جيوش

(١٨٥) أسد الغابة (٣/٢٤٦) والاصابة (٤/١٢٠) والاستيعاب (٣/٩٣٠) ، وانظر ابن الاثير (٣/٩٩) .
(١٨٦) الطبري (٤/٣٣٦) وابن الاثير (٣/١٤٨) .
(١٨٧) الطبري (٤/٣٣٢) وابن الاثير (٣/١٤٩) .
(١٨٨) انظر سيرته المفصلة في : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٣١ ــ ٣٥٥) .
(١٨٩) الطبري (٤/٣٥٢) و (٤/٣٨٥) .

الأمصار الأخرى (١٩٠) ، فسبق السَّيف العَذَل (١٩١) .

وكان أبو موسى على الكوفة حين قُتل عثمان (١٩٢) ، فكتب إلى عليّ ابن أبي طالب بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم له وبيَّن الكاره منهم للذي كان والرَّاضي ومَنْ بيَّن ذلك ، حتى كأنّ عليّ بن أبي طالب يشاهدهم (١٩٣) .

ومع ذلك ، كان من رأى أبى موسى القعود عن الفتنة الكبرى ، وقد سأل عليٌّ رجلاً قدم من الكوفة عن أبى موسى ، فقال الرّجل : « إن أردتَ الصُّلْحَ فأبو موسى صاحبه ، وإن أردت القتال فليس بصاحبه » (١٩٤) .

وسأل أهل الكوفة أبا موسى عن رأيه في الاقتتال ، فقالوا : « ما ترى في الخروج ؟ » ، فأجابهم : « القعود سبيل الآخرة ، والخروج سبيل الدنيا ، فاختاروا » (١٩٥) .

وخطب بالكوفة ، فكان ممّا قاله : « هذه فتنة صَمَّاء ، النَّائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم ، والقائم خير من الرّاكب ، والرّاكب خير من السّاعي ، فكونوا جرثومة من جراثيم العرب ، فاغمدوا السيوف ، وانصلوا الأسنّة ، واقطعوا الأوتار ، وآووا المظلوم والمضطهد ، حتى يلتئم هذا الأمر ، وتَنْجَلِي هذه الفِتْنة » (١٩٦) .

وأرسل عليّ بن أبي طالب ابنه الحسن وعَمَّار بن ياسر إلى أبى موسى ، فخرج أبو موسى ولقى الحسن ،فضمّه إليه ، فقال الحسن لأبى

---

(١٩٠) الطبري (٣٨٥/٤) .

(١٩١) مثل عربي يضرب لما قد فات ولا يستدرك .

(١٩٢) الطبري) ٤٢٢/٤) وابن الاثير (١٨٦/٣) .

(١٩٣) الطبري (٤٤٣/٤) وان الاثير (٢٠٢/٣) .

(١٩٤) الطبري (٤٨٠/٤) وابن الاثير (٢٢٥/٣) .

(١٩٥) الطبري (٤٨١/٤ وابن الاثير (٢٢٧/٣) .

(١٩٦) الطبري (٤٨٢/٤) وابن الاثير (٢٢٧/٣) .

موسى : « لِمَ تُثَبِّط عنّا ؟ ! فو الله ما أردنا إلاّ الاصلاح ، ولا مثل أمير المؤمنين يُخاف على شيءٍ » ، فقال أبو موسى : « صدقت بأبي أنت وأمي ، ولكنّ المستشار مؤتمن . سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول :
(إنّها ستكون فتنة ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الراكب) . وقد جعلنا الله عزّوجل إخوانا ، وحرّم علينا أموالنا ودماءنا ، وقال : (يا أيُّها الذينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أموالَكُم بَيْنَكُم بالباطل إلاّ أَنْ تكونَ تِجارَةً عَنْ تَرَاضٍ منكم ،ولا تَقْتلُوا أَنفُسَكُمْ إنّ اللهَ كان بِكُمْ رَحيْما) (١٩٧) ، وقال جلَ وعزّ : (ومَنْ يَقْتُلْ مُؤْمناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤهُ جَهَنَّمُ خالداً فيها ، وغَضِبَ اللهُ عليه ولَعَنَهُ وأَعَدَّ له عَذَاباً عظيما)(١٩٨) ،فعزل عليّ بن أبي طالب ابا موسى عن الكوفة (١٩٩) ، وكان قد أقرّه قبل ذلك ، بينما عزل غيره من عمّال عثمان . (٢٠٠) .

واعتزل أبو موسى الفتنة الكبرى ، ولكنّه لم يفارق عليّاً ، ولم يغادر الكوفة إلى مكان آخر ، بل بقى مع عليّ وفي ظلّه وسلطته ، مقرّاً له بالخلافة ، ولكنّه لا يقاتل مسلماً ولا يرضى بقتل مسلم ، فاعتزل الفتنة كما اعتزلها غيره من كبار الصّحـابة مثل سعد بن أبي وقاص وعبدالله بن عمر بن الخطّاب وأُسامة بن زيد حِبّ رسول الله وابن حِبّه ومحمّد بن مَسلَمَة ، وهذا هو سرّ اعتزال أبى موسى : لا يقتل مسلماً ، ولا يرضى بقتل مسلم .

لقد كان أبوموسى ، يحرص أشدّ الحرص ، على إخماد نيران الفتنة بين

---

(١٩٧) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٢٩) .
(١٩٨) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٩٣) ، وانظر الطبري (٤/٤٨٢ ـ ٤٨٣) وابن الاثير (٣/٢٢٨) .
(١٩٩) ابن الاثير (٣/٢٢١) وأسد الغابة (٣/٢٤٦) .
(٢٠٠) اليعقوبي (٢/١٥٥) .

المسلمين ، فدم المسلم على المسلم حرام وهو يريد أن تكون سيوف المسلمين على أعدائهم لا عليهم ، وأن يكـون المسلمون إخـوة في الله ، يحبّ الأخ لأخيه ما يحبّه لنفسه . ولست أشك في أنّه كان يعمل لآخرته أكثر ممّا كان يعمل لدنياه ، وكان راغباً عن الفتنة كارهاً لقتال المسلمين ، وكانت حجّته الواضحة لتسويغ موقفه الجازم الحازم الصلب الذي لا يتزعزع عنه قيد انملة ، هو أنّه لا يمكن أن يقاتل قوماً يؤمنون بالله ورسوله ، وأنّ السبيل لوضع حـد للاختلاف ، هو التفاوض بين الأطراف المختلفة وليس أن يقتل الأخ أخاه

ولا مجـال أبداً ، لزعم قسم من المؤرخين ، أنّ أبا موسى كان مغفّلاً لا علم له بالسياسة ، لذلك غدر به عمرو بن العاص ، فقد كانت القضية مكشوفة للغاية وليست معقّدة ، كما أنّه كان يعرف عمرو بن العاص ويعرف دهاءه ، ولم يكن يجهل مكانه ومكانته ؛ ولكنّ أبا موسى كان يريد الله بكلّ أعماله ، وكان يرى أنّ إيقاف الاقتتال بين المسلمين ووضع حدّ لنزيف دماء المسلمين بأيديهم لا بأيدي أعدائهم ، أهم بكثير من مصير رجلين من المسلمين ، هما : عليّ ومعاوية . لقد كان يعتقد أنّ مصير الاسلام والمسلمين ، أهمّ بكثير من مصير شخصين ، وأنّ المصلحة العامة للاسلام والمسلمين ، أهم بكثير من المصلحة الشخصية ، ولو كان غير عمرو بن العاص معه في التحكيم ، لما تبدّل موقفه ، فهذا هو موقفه الذي لم يفرضه عليه عمرو ولا غيره ، بل فرضه عليه إيمانه الرّاسخ بتعاليم الاسلام ، وحرصه الشديد على اتّباع تلك التّعاليم نصّاً وروحاً ، حتى ولو لحق الضّرر بمصالحه الشخصية ، فخسر منصبه ، وخسر مكانته ، وخسر حتى متاعه الذي نهبه الناس (٢٠١) ، ولكنّه ربح نفسه ، ولا يمكن أن تعتبر الخسارة المادية ، إلى جانب الخسارة المعنوية ، عند أصحاب المبادئ والمُثل العُليا ، شيئاً مذكورا .

(٢٠١) الطبري (٤٨٧/٤) وان الاثير (٢٣١/٣) .

إنّ دراسة حياة هذا الصّحابيّ الجليل بإمعان ، تؤكّد أنّه لم يكن مغفّلاً وتنفي عنه الغفلة نفياً قاطعاً ، وإلاّ لما ولاّه الرسول صلّى الله عليه وسلّم وأبو بكر وعمر وعثمان ، واولا موقفه من الفتنة لما تخلىّ عن الاستعانة بكفايته علِيٌّ أيضاً ، ولما اختاره أهل الكوفة لولاية مصرهم في عهد عثمان حين بدأت بوادر الفتنة ، ولكنّه كان رجلاً ورعاً تقيّاً سمح النفس رضى الخلق ، لا يبيع دينه بدنياه ، ولا يفرِّط بمصلحة المسلمين من أجل مصلحته .

لقد كان يطبق مبدأ : السّمع والطاعة ، للخليفة القائم ، ولا يرضى بالفتنة ولا يشارك بها بقلبه ولا بلسانه ولا بسيفه ، ولا يسكت عن الذين يثيرونها عن حسن نية أو عن سوء نيّة ويقاومهم ولا يخشى في الحق لومة لائم ، فاذا استنفد كلّ طاقاته في إطفاء نيران الفتنة دون جدوى ، اعتزل الفتنة وأصحابها حتى ولو خلّف وراءه كلّ ما يملك من منصب ومال ومتاع ، فأصبح فجأةً رجلاً بلا غد ، فذلك أهون عليه من أن يقتل مسلماً أو يقاتل مسلما ، مهما تكن الأسباب الداعية لهذا الاقتتال .

وقد اجتهد أبو موسى لنفسه ولمن حوله ، فصدع بالرأى الذي استقر عليه اجتهاده ولم يُخفِه عن أحد مسؤولاً أو غير مسؤول ، وللمجتهد إذا أصاب أجران ، فاذا أخطأ فله أجر واحد ، فهو مأجور على كلّ حال .

وما كان أبو موسى يشكّ لحظة واحدة في أفضليّة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولا بأحقيته بالخلافة ، ولكن كان في نفسه شيْ من قضية الاقتتال بين المسلمين .

ولا يمكن لمسلم أن يشكّ في إخلاص عليّ للاسلام والمسلمين ولا أن يُشكِّك به ، ولكنّه كان مجتهداً ، فساقه اجتهاده إلى ما ساقه إليه ، وللمجتهد أجره في كلّ حال .

لقد كان أبو موسى على درجة عالية من الذّكاء والفطنة ، فما غلبه على أمره عمرو بن العاص ، ولكنّه انصاع لاجتهاده ، فكان ما كان .

(يتبع)

مضرس بن ربعي الاسدي

الدكتور نوري حمودي القيسي

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

تقف معظم المصادر التي ترجمت للشاعر عند حدود التفسير اللغوي لاسم الشاعر وضبطه بالحروف فهو كما يقول صاحب الخزانة [1] وهو بكسر الراء وسكون الموحدة الاسدي وهو بضم الميم وكسر الراء المشددة وبعدها يفسر المعنى بقوله هو الأسد الذي يمضغ لحم فريسته ولا يبتلعه أو الذي جرّب الامور ويحيل في نسبه الى المؤتلف والمختلف فيذكر سلسلة نسبه التي تنتهي الى دودان بن أسد [2] ويتابعه المرزباني في هذا التسلسل [3] وصنّفه صاحب المؤتلف والمختلف ضمن الشعراء الذين يقال لهم مضرس وادخل مضرس بن قرطة بن الحارث احد بني صبح بن عوف [4] واضاف صاحب معجم الشعراء شاعراً آخر الى قائمة الشعراء الذين عرفوا بهذا الاسم هو مضرّس بن دوسى ونسب له ابياتاً تروى لمضرس بن ربعى من كلمة مشهورة له [5] ووهم صاحب الخزانة فعدّه من شعراء الجاهلية[6] وقصته مع الفرزدق معروفة حين مرّ به وهو ينشد بالمربد قصيدته التي أولها ...

تحمّل من وادي عرارة حاضره ... وقد اجتمع الناس حوله فقال :

---

(١) البغدادي . خزانة الادب ٢/٢٩٢ .
(٢) ينظر المؤتلف والمختلف / ٢٩٢ .
(٣) المرزباني . معجم الشعراء / ٣٠٧ .
(٤) المؤتلف والمختلف / ٢٩٣ .
(٥) المرزباني . معجم الشعراء / ٣٠٨ .
(٦) البغدادي . خزانة الادب ٢/٢٩٢ .

يا أخا بني فَقْعَس كيف تركت القنان ..[7] وقال ياقوت [8] بلغ مضرس بن ربعي الاسدي ان الفرزدق قد هجا بني اسد فقدم البصرة وجلس بالمربد ينشد هجاءه الفرزدق فبلغ الفرزدق ذلك فجاءه حتى وقف عليه فقال له : من انت قال : اسديّ انا .. ثم يسأله عن ورود امه البصرة فينفي ورودها ولكنه يؤكد ورود ابيه ثم يباشره باجازة بيت له فيجيزه فيفزع الفرزدق وينزع جبته ويرمي بها على مضرس ويقول.. والله لا هجوتُ اسدياً قطّ. ووهم صاحب الحماسة البصرية وهو يروي قصيدة له فنسبه الى الجاهلية [9] ونفى محقق الحماسة هذه النسبة . ولم اجد في كتب الادب ترجمة أو اشارة الى ذكره غير هذه الصوى المتباعدة على الرغم من وصف المرزباني له بانه شاعر محسن متمكن[10] وشعره المتبقي يؤكد شاعريته وتمكنه لان قصائده توحي بقدرته الشعرية التي ترقى به الى مستوى الشعراء الفحول وفي اعتراف الفرزدق تأكيد لهذا التقويم النقدي .

اما حياته الأسرية فلا ظل لها في شعره ولا صوت لها في تجربته الشعرية التي تمتد مرحلة بعيدة وتخوض عالماً من القيم والتقاليد وتعبّر عن حياة حافلة بالغربة وعيشة تكتنفها أحداث كان شعره صدى لها .. ويكشف نص رواه ابو حاتم السجستاني في كتاب المعمرين عن وصية يوصي بها ابنه فيقول [11] :

يا بُني ، إن الأسف مرض ، والطمع لؤم ، واليأس عجز، فاسلُ عما فات واحرص فيما تستقبل، وفكّر ثم قدّر ثم أحضر ، والوصية تقدم صورة لمعرفته الطويلة بمعاني الحياة ، وتدل على قدرته في ادراك اسرارها ، وان اختيار ابي حاتم له يشير الى انها تقع ضمن المنهج الذي رسمه لكتابه وهو ينتقي جملة من

(٧) تنظر الرواية في السمط ٨٥٩/٢ .
(٨) ياقوت . معجم البلدان ٣٥٦/٤ ـ ٣٥٧ .
(٩) البصري . الحماسة البصرية ٣٠/١ .
(١٠) المرزباني . معجم الشعراء / ٣٠٧ .
(١١) أبو حاتم السجستاني . المعمرون والوصايا / ١٣٣ .

الوصايا واشارته الى توجيه النصح الى ابنه دليل على منزلته ومكانته في موقع يؤهله ليأخذ هذه المنزلة ويفسح المجال أمامه ليتسنّم الدور الذي يُصبح فيه قادراً على اداء هذا الدور المتميز .

خصائص شـعره :

تمتد الصحراء في شعر مضرس امتداداً واسعاً ، وتأخذ مساحة كبيرة ، توزعت فيها الاماكن والمواضع ، واستقرت في رحابها مشاق الرحلة الطويلة التي يقطعها في بعض هذه القصائد . أو ينوء بها حين تصطرع في نفسه هموم الحياة ليجد في رحابها متسعاً وفي فضائها رحابة وفي سكونها أنساً وملاذاً ، والشاعر لم يخرج في هذا عن الاطـار الذي سار عليه الشعراء أو التزم بـه اصحاب هذا الاتجاه فالبناء التكاملي للقصيدة التقليدية حدّد الخطوات التي يجد الشاعر فيها حدوداً ، ورسم المواقع التي لا يرى الخروج عليهـا مألوفاً ، فأخذ نفسه بما أصبح تقليداً وهيأ مشاعره لتصبح وجهاً من وجوه التأثر وهو في هذا يصدر عن تجربة حية ويلوّن صوره ببراعة فنية تتميز بهـا تراكيبه ، وتتوحد في ألفاظها خصائصه . واذا أخذت الاطلال صوتها الحزين في بعض مطالعه فان حركة الرحيل الصاخبة وقوافل الحمول الموغلة في اعماق الصحراء كانت تنبض بالحنين وتفوح بشذا العواطف الحارة التي تختلط فيها ذكريات الوفاء وتمتزج في أيامها أصوات العهود العزيزة ، وهي لوحات تتوالى فيها الصور ، وتحتشد في كل لوحة مباهج الصحراء الحافلة بالماء والنبات ، والعامرة بالمرابع وهي حالات تبعث في النفس الاحساس بالثقة وتثير في اعماقها الشعور بالانتماء والوحدة والقوة . واذا كانت دفقات الالم المصاحب للوعة الحنين قد اختفت في مطالع قصائده الضائعة فان ومضات هذا الألم تبرق أحياناً في البقية الباقية من هذه المطالع وهي تعبر عن الصمت القاتل الذي يطوي حنينه المكتوم ويلوي عواطفه الساخنة ، فالرحلة عند شاعرنا لوحة حب يتنامى فيها العشق ، وتستعاد في كل صورة من صورها حالة الاحساس بالرحيل وقد اوشكت بوادر

الرحلة أن تطوي الخطـوات الأولى ، وتتجاوز الديـار الحافلة لتعبر الوادي وتهوي في شعاب الصحراء المتناهية بعد أن الوى بريعان الخيام اعاصره ولم يبق لاسماء في هذا الوادي منزل وهو صوت يشفع بالمرارة ويـداف باللوعة القاتلة بعد ان دثرت معالمه وعفا الزمن على بقاياه وتاهت آثاره وضاعت بقاياه وطمست احجاره • انها صوت الوداع الذي توزع بين نفثات الشاعر •• واذا كانت مقدمات القصائد التي عودنا الشعراء عليها طويلة يستكملون فيها البناء الفني المطلوب ويُعيدون من خلال صـورها مشاعر الحـزن والألم والغربة ويسكبون في ربوع عرصاتها الدموع الغزار فان اختزال الصورة عند شاعرنا حمله على تكثيف المشاعر ودفعه الى اختصار اللوحة الكبـيرة لتصبح حشداً من الألوان ووفرة من المشاعر ليتحرك باتجاه الحسرة التي تختم بنهايتها عناصر النحيب والبكاء وقسوة الزمن والطبيعة لتجد في اللوم على اهلاك النفس لوماً وحسرة صوتاً يوقظ العقل ويوقف التداعي في زحمـة النشيج الذي تلهبـه مراكب الرحلة وتثيره خفقات الطلل الدارس وترسـمه حركة الحياة المشـوبة بالقهر واليأس • انها حالة الانتقال التي اصبحت توجهاً من توجهات البنـاء الشعري الذي اعطى القصيدة هذا النمط الفني • [تنظر القصيدة رقم ١٣]

والجديد في لوحةالشاعر ان نهاية اللوحة الطللية لا يفضي به الىالصحراء على ناقة جسرة وقوية وانما يواصل الحديث ، بالصيغ الحكيمة ويفصل الغرض وفق المعاني التي تدفع الضجر وتبعد اليأس وتدعو الى ترك الحالات اليائسة التي دارت دوائرها على الانسان لأن الامور تجري بأقدارها ولا ينالُ الانسان الا حظه من العطاء •• وهي حكميات يقدمها الشاعر على غيرالمألوف لأنها تباشر الغرض الطللي وتزيد على البيت المفرد الذي كان يمر منه الشاعر القديم الى بقية الاغراض ابياتاً يستغرق المعنى المطلوب ويجدّد في معانيه المألوفة ويحدد هدفه المرجو وفيه دعوة الى التمرد الداخلي والتجاوز على المألوف من الافكار والتأثر بالمعاني الاسلامية الصريحة • وعلى الرغم من تناثر هذه القصـيدة وتوزعها

قطعاً واشلاءً فان الروح النابضة التي كان الشاعر وراءَها تتجلّى في الاصوات المتتابعة وهي تشق ابعاد التمزق الذي نال القصيدة فتوحي بالمعـاني مترابطة وبالافكار متداخلة والصور متسلسلة . تجمعها وحدة الاعتزاز بالقـدرة على مجابهة الدهر والتفاخر بالسبق للمخاطر والثقة العاليـة بالنفس [القطعة ١٦] واذا كان التأثير الاسلامي قد احكم تجربته في أمور الحياة وحمله على بنـاء فلسفته في ظل الايمان بالعقيدة فان تضمينه لبعض الآيات القرآنية كان واضحاً وهو يشير الى تحية موسى ربه أن يجاوره [القطعة ١٧] ويقرأ عليهم قوله هذا ويذكر في الابيات الأخرى ما كان يريده من معاني ويعبر عنه من موضوعات تتصل بالمعنى المقصود في حديث موسى (عليه السلام) وهي اشارة لها دلالتها في قصائد الشعراء الذين واكبوا الفترة ومدى تأثرهم بالمعاني القرآنية .

والقطعة بأبياتها المتناثرة تؤكد حرص الشاعر على ذكر أسماء المواضع التي يمر بها والمنازل التي تحط فيها الرحال ، وتحدّد المؤثرات الصادقة التي يشغل نفسه بها ويُرضى في مناظرها عزاءَه وغربته لأنها تملأ عليه فضاءَ الشـوق المتناهي وتسد عليه فسحة النأي الصعب الذي استشعره وهو يمدّ بصره بين بقايا تلك المواضع وثنايا الاماكن الدارسة ـ فكان (وادي أُشيقر) و (وادي جمان) و (فردوس اياد) و (الجراميز) و (روض الحزن) و (التنانير) .

وعدّ البحتري بعض أبيات قصيدته الرائية مما قيل في المخافة والارتياع لما تضمنته من حذر وما عبرت عنه من هواجس حتى يحسب الناس كلهم لشدة حذره من خوفه ان سرائره لا تخفى عليهم ودواخله لا تغيب عن احساسهم وربما يعبر علماء النفس عن هذه الظاهرة بالانفصام وهو محاولة من الشاعر في وصف من أراد أن يضعه موضع الضعف والتردد والخوف . واختار له ابن الشجري البيتين في القطعة العاشرة في باب الشدة والشجاعة لما تمثلانه من صلابة وتحملانه من اشادة وتثيرانه من اعجاب بالنفس وأشاد صاحب الاشباه والنظائر بأبيات القطعة الرابعة من القصيدة نفسها حتى قدم لها بأنها احسن ما قيل في الخباء .

وهي قدرة لا يتفوق بوصفها الا من عاش حياتها وعرف سعتها واستطاب جلسة فتيان الصدق بوجوههم البيض في لياليهم الساهرة ونشوتهم الحالمة وسهرهم الطويل ، ان الجوانب الفنية والخصائص المتميزة التي حظيت بها القطعة تقدم الدليل الواضح على شاعرية الشاعر الذي تناهبت شعره مواضع الاستشهاد حتى عزّ علينا ان نجد شاهداً واحداً يجمع اشتاتها ويلم اجزاءَها ويقدمها رائعة متكاملة من روائع الشعر العربي ، وهي حالة سبق ان وقفت عليها وان أجمع ما تناثر من هذا التراث الفني الخالد .

ومن الخصائص الشعرية التي اهتم بها الشاعر ـ كما ألمح صاحب الاشباه والنظائر ـ هو احسانه وصف الخباء ودقته في اجزائه من خلال الوسائل المستخدمة في نصبه حتى يحكم معرفته بتفصاليها والتزامه بناءَها وأحكامه في تقوية دعائمها التي تقاوم الريح والسموم وهي تسفع الوجه الوضوح واصبح الحديث المألوف عنده وهو ايحاء بالتجربة التي مارسها الشاعر عن قرب وأحسّ باعجابه وهو يفاخر بقدرته المتميزة ، واصبح شعره صوتاً يعبر في ابياته عن هذه الصنعة التي لا يباريه أحد في معرفتها . [تنظر القطعة ٢١] كما انه يشير الى اسلوب من اساليب حياته وهو يذكر الفتيان ويرمز الى حياتهم في هذه الاخبية التي تبعدهم عن الانظار وتترك لهم فرصة التمتع بمباهج الحياة ..

ولم تكن حياة الصحراء وحدها واضحة المعالم في شعره بصمتها المعهود أو هدوئها المرعب وانما اخذت الطبيعة الحية جانباً من أوصافها لأن في ذكر حيوانها حركةً يسعى الشاعر اليها وفي الحديث عن المظاهر المؤثرة في حياتها اشباع لرغبته في تقديم الصورة بتفاصيلها وتتجلى براعة الشاعر في حديثه عن اشتداد الحر الذي لازم هذه الصحراء الممتدة فكان لفحه هجيراً متوقداً وشواظه حَرّاً لاهباً اصبحت ظباؤه من وهجه كواعب مقصورة عليها ستورها حماية لها ورعاية لرقتها بعد ان تدلت عليها الشمس والتشبيه باطرافه المتحركة

والمتدلية يقدم لوحة متحركة وفنية تثيرها فتنفر شاردة لا تستقر ، تفتش عن ملاذ يقيها هذا اليوم الهاجر .. واذا كانت صورة الشمس والظباء قد وجدت فسحة في قصائده فان الظلام كان لوحة بارعة أخرى من لوحاته التي كانت موضع اعجاب النقاد القدامى فقال غلام ثعلب في كتاب اليوم والليلة وهو يذكر بيتين له في وصف الظلمة انهما أشعر ما قيل[١٢] وكذلك قال الشريف ضياءالدين هبةالله (الحماسة الشجرية) والحصري في زهر الآداب وقيل في الابيات التي يجمع اليوم والليلة انها من احسن ما وصف به سواد الليل هذه الابيات وقيل بيتان في وصف اليوم [١٣] وبقي البلاغيون يجدون فيهما روعة الوصف وبلاغة الصور وبراعة الاستخدام الفني وقدرة التعبير واصبحت ابياته من الشواهد المأثورة والنماذج المختارة [١٤] .

وتكاد قسمات حياة الشاعر تتضاءل في البقية الباقية من شعره ولم استطع الوقوف على معلم واحد من معالمه لانه لم يتعرض فيها للحديث عن أسرته أو حياته الخاصة أو علاقاته بالناس أو صلاته بذوي الشأن من معاصريه واقتصر حديثه عن القيم التي حفل بها شعره فهو يدعو الضيف بايقاد النار واعلاء ضوئها عند اشتداد البرد واكتساء الارض من جامد الماء ونداه الذي حوله البرد الى جليد وهو أدعى للكرم واوجب لتقديم القرى وقضاءً لحق لا تكتمل اسبابه الا باكرام الضيف والطافه وهو فرض على ذي المروءة ومُسقط الفرض عن نفسه ولا يستحق من الناس اعتداداً وعلى عادة الشعراء في احاديثهم عن الضيف فانه يسامر ضيفه طوال ليله مُطعماً له خيار ما عنده ، ويقدم له من شحم السنام ويكون سروره غامراً اذا طالت اقامته [تنظر القطعة ٢٨] .

(١٢) البغدادي . خزانة الادب ٣٩١/٢ .
(١٣) تنظر القطعة [٩] .
(١٤) ينظر ديوان المعاني / ٣٤٣ .

ويلتزم الشاعر في بناء قصيدة الضيف البناء القصصي الذي عودنا عليه الشعراء ابتداءً من حالة الطروق المصاحبة لليل الداجي والريح الباردة الى سرعته لاستقباله وانطلاقه بسيفه الباتر الى الناقة القوية الخفيفة التي أدميت ايديها من شدة السير ووطئها الحجارة وهي صور تتوالى بسرعة لتأخذ بتفاصيل اللوحة التي حاول الشاعر أن يقدمها وفاءً للبنـاء القصصي والتزاماً بالمنهج التقليدي الذي لم يترك له فرصة الخروج الا بما يهيّىء لـه قـدرة الابداع وسلامة التركيب وبراعة احكام التشبيهات لينتهي الى أوصاف ناقته السمينة التي لم تكن قريبة عهد بالنتاج لان ذلك يضعفها وهو ما لم يرضه لها ليكون أبلغ في الاكرام وأجود في العطاء ويستمر الشـاعر في هذا الحديث الذي يتسلسل به من الحاطب الى تعجيل الشواء الى احمرار اللحم وما يصاحب ذلك من خمر اذرعات المزوج بالماء وجو البهجة الذي توحيه أطراف اللوحة وتنضجه رياح الشواء وصخب الفتيان وضجة القائمين على الضيافة .

واذا تحدث عن قومه وصف صفاء نيتهم وانهم يسلكون معهم طرائق تعود عليهم بالصلاح واستكمال الرياسة والسؤدد واذا جهلوا صفح عنهـم لئلا ينفروا أما الاعداء فانه شديد عليهم يلين أعناقهم حتى ينقادوا وان قومـه يسعون في اصلاح ذات بينهم ولا يدعهم يتدابرون ويتضاغنون لأن عز الرجل بعشيرته . وكل ارتقاء في درجات العز وتبوء لمنازل الفضل ارتقاء له ورفعة لابناء قومه ولم ينس الشاعـر وهو في غمرة هذا الحديث من الاشـارة الى شجاعة قومه فان استعان بهم مَن أُغير عليهم كانت اسـتجابة قومه سـريعة بمقاتلين شجعان يلبون دعوة المستصرخ ليكسروا شـوكة المغيرين واخمـاد ثائرتهم ، وان اقامتهم في دار المحافظة حفاظ على الشرف اذا اشتد الزمـان لا يمكنون أعداءهم من أراضيهم وحماهم .. وهو يعتز بمجد قومه ومكارمهم انهم السباقون لكل مكرمة والمانعون اذا كانت ممانعة والعائدون بأعمالهـم

الانسانية اذا قدروا [القطعة ٣١] انها مجموعة المعاني السامية التي ظلت موضع فخر الشعراء ودائرة معاني الاعتزاز التي ترددت في اطار المناقب الكريمة والخصال الحميدة والمآثر التي عاشت في وجدان الشعراء وهي تطوي القرون والاجيال لتستقر في الذهن الواعي والفكر المتجدد والقيم الوفية [تنظر القطعة ٢٦] •

وينزه الشاعر نفسه عن الكلمة القبيحة واذا قيلت ولّى سمعه عنها ولا يتابعها وهو معنى تعاور عليه الشعراء فهم يغضون اذا سمعوها كأن صمماً أصابهم وتظل هذه القيم متألقة في شعره واضحة في قصائده التي تمثل خطاً أخلاقياً متميزاً وتعبر عن سلوك انساني كان مثار اعجابه وموضع اعتزازه فالاعراض عن الامر القبيح صفة محمودة اقترنت بالصفح والتغافل عنها والامتناع عن الاستماع لها وقد أفرد البحتري لهذا المعنى باباً في حماسته وهو يتحدث عن ترك المجازاة بالسوء والعفو عن السيء[١٥] واختار نصين لشاعرنا فيه[١٦] ومثل ما كان الشاعر عفيفاً في تعامله كريماً في تسامحه فهو وفيٌ في انجاز وعده وان من سيئات الانسان ـ كما يرى ـ اخلافه وعده الذي يعده وقد اختار له البحتري بيتاً يتيماً في الباب الذي خصصه في الحماسة وانتقى صاحب كتاب (المضنون به على غير أهله) بيتين مشهورين فكان ضمن ما اختاره من الدواوين العربية والاشعار الغريبة والامثال النفيسة والآداب الحكمية اللطيفة[١٧] •

وظاهرة الحديث عن ابن عمّ السوء وخذلان بني العم عند الشدائد واختلاف أحوالهم وفي معاقبتهم واستصلاحهم من الظواهر التي وقف عندها الشعراء لأنها أكثر ايلاماً وأشدّ وقعاً وأمضّ أذىً وكانت تثير في نفوس

(١٥) البحتري • الحماسة / ١٧٠ •
(١٦) تنظر القطعة رقم ١٠ •• والقطعة رقم ٣٨ •
(١٧) الخزرجي • شرح المضنون / ٢٥ ــ ٢٦ •

الشعراء مرارة وتوقد في جوانبهم لظىً لما يُحسون به من ظلم ويستذكرونه من مجافاة في حالات هم بأمسّ الحاجة اليهم ، وفي وقت هو أشدّ عليهم من أي وقت ولهذا كانت دفقاتهم الوجدانية في هذا الغرض لاهبة وأصواتهم في التعبير عن كوامنهم نشيجة وعباراتهم في العتبى ممزوجة بألم القرابة وهي ظاهرة تستحق الدراسة لانني أعتقد ان بعضها كان يعبّر عن حالة عامة وان قسماً من الشعراء كان لا يعني بابن العم الشخص القريب وانما هي صيحة يعبر بها عن كل اولئك المتنكرين الذين يركنون الى الاعداء بعد أن يؤمل فيهم الخير ويُرجى من ورائهم العون والمودة . وان هؤلاء لا يقفون موقف المتفرج وانما يعيبون عليهم دفاعهم عن أنفسهم ويعينون عليهم الاعداء .. بعد أن نذروا أنفسهم لهم يردون عنهم عوادي الزمن (١٨) .

وشاعرنا الذي عُرف بتوجهه السلوكي والتزامه بهذا الجانب الذي يدل على تجربته الحياتية كانت له مشاركة في هذا الباب وتعبير عن الصوت المؤلم الذي أحس به وهو يشارك الشعراء هذا التوجه . [القطعة ١٩] ...

ولابد لي من الاشارة الى أن ثلث مجموع شعره الذي عثرت عليه كان من شواهد ياقوت في معجمه وينفرد أحياناً بذكرها وقد أحصى في هذه الشواهد التي بلغت واحداً وأربعين بيتاً أكثر من ثلاثين موضعاً حدد فيها حركته ووقف عند مواضع أهله أو مراحل أحبته وهو في كل موضع يتذكر الظعائن ويتابع الرحلة ويرسم حدود المواطن التي شهدتها قبيلته وعرفها أبناء قومه وامتدت اليها أعناق المطايا ولكنها لم تحدّد مركزاً استقر به أو اشارة توحي بنزوله أو صلة تشد بينه وبين رجل مرموق ذكر اسمه أو اتصل به أو أشاد بمآثره . فكانت قصائده خاليةً من أي ذكر .

---

(١٨) تنظر حماسة البحتري /٢٣٩ وهو باب افرد لهذا الصوت المتألم وجمعت فيه نفثات الشعراء الذين احسنوا التعبير عنه .

اختلاط شعره :

من الظواهر المتميزة في شعره اختلاطه بشعر غيره وتداخله في معانيهم ولم يكن مضرس وحده موصوفاً بهذه الصفة وانما هي ظاهرة تشـابه فيها الشعراء فقد اختلط شعره بشعر جران العود ويزيد بن الطثرية وشبيب بن البرصاء وعوف بن الأحوص والمغيرة بن حبناء وأخيـه أوس ، لنظمهم قصائد تقاربت في الوزن والقافية والمعنى وتوهم القدامى في نسبتها وتابعهم من جاء من بعدهم فاختلطت القصائد وتراكمت الاخطاء وقد حاولت الابتعاد عن الابيات التي وجدت تفرد الرواة بنسبتها الى غيره وعدم ادراج الابيات التي تمكنت من التوصل لمعرفة نسبتها الى غيره . تخفيفاً من هذا التوهم ، واسقاطاً لما وقع فيه بعض أصحاب الاختيارات . وتجاوزاً لما يمكن أن تؤديـه مثـل هـذه الأوهام في اضطراب النسبة واختلاط الابيات وتداخل الاغراض .

وقد وقفتُ عند هذه الظاهرة وأنا أتحدث عن عدد من الشـعراء لأنها ظاهرة عامة يشترك فيها كثير من الشعراء وخاصـة ممن لم تكتب لهم الشهرة ولم يكتب لدواوينهم أن تظهر في مرحلة متقدمة حتى بقيت قصائدهم مشاعة وأبياتهم موزعة ومعانيهم مجال استشهاد لغيرهم من الشعراء وان الاعتمـاد على الذاكرة أو عدم توفر الدواوين كان سبباً من أسباب هذا التداخل .

ديوانـه :

حظي ديوان مضرس باعتناء اللغويين منذ القرن الثاني الهجري وكانت اشارة ابن النديم الى صنعة الاصمعي وغيره من الاشـارات الاولى [١٩] وهو يذكر أسماء الشعراء الذين عمل أبو سعيد السكري أشعارهم[٢٠] فالاصمعي كان من أوائل الذين اهتموا بشعره فجمعه ويبدو ان آخرين من الرواة جمعوه الا أن عبارة غيره التي أوردها ابن النديم جاءَت غير محددة وهي تؤكد ان

---

(١٩) ابن النديم . الفهرست / ١٧٨ .
(٢٠) نفس المصدر / ١٧٨ .

أعداداً منهم قد وجدوا سبباً للاعتناء به حتى كان شعره موضع اعتناء السكري الذي أفرد له ابن النديم صفحة كاملة للدواوين التي صنعها وكان مضرس واحداً منهم • ويؤكد صاحب الخزانة اهتمام الاصمعي بجمع شعره وهو يذكر بيتاً من أبيات قصيدة فيقول : وهذا البيت كذا في المفصل وغيره ولم أرَه كذا في شعر مضرس على ماروواه الاصمعي وانما الرواية كذا[٢١] ويشير ياقوت في بلدانه مرتين الى قراءته في شعر مضرس وهو يروي عدداً من شواهد المواضع فيقول • وقرأته في شعر مضرس[٢٢] وقرأت في ديوان شعر مضرس في تفسير هذا الشعر [٢٣] ويكرر ياقوت ذكره لشعر مضرس بن ربعي بخط ابن العصار (المتوفى سنة ٥٧٦ للهجرة) وهو يستشهد بعدد من الابيات ويقول نقلاً عن ابن العصّار انه نقله من خط ابن نباتة [٢٤] ويتضح من خلال أحاديث ياقوت ان الديوان الذي يتحدث عنه هو شرح الديوان لانه يذكر عبارة في تفسير هذا الشعر • وتضيع معالم الديوان في زحمة الفترات التاريخية التي شهدت تخلخلاً متميزاً في الاوضاع السياسية التي قطعتها الامة وهي تجابه أخطار الغزو الصليبي والتتري •• وباختفاء أخبار الديوان ضاعت معالم الشاعر ، واختفت صورته وأوشكت بقايا حياته أن تتبدّد في حالات التيه ولم تظهر حتى يومنا هذا كوىً يمكن من خلالها الاهتداء الى مواضع الديوان واذا كانت الابيات المتناثرة التي اهتديت اليها وهي أوصال متباعدة فان العثور على نسخة من الديوان تعيد الجسدَ الكامل للشاعر وتحدد الاوصاف التامة والقدرة الشعرية والمنزلة التي كان عليها وهو يقف نداًّ لشعراء الطبقة الأولى ويقدم القصائد التي تؤهله ليصبح موضع اهتمام اللغويين الاوائل •

---

(٢١) البغدادي ٠٤/٢٣٦ .
(٢٢) ياقوت . معجم البلدان ٢/٨٢٠ .
(٢٣) ياقوت . معجم البلدان ٤/٣٧٥ .
(٢٤) ياقوت . معجم البلدان ٣/٣٦٧ .

شـــعره

[١]

وقال مُضرّس بن ربعي ..

١ ــ وليس يزين الرَّحْــل قِطْــع ونمْــرق
ولــكن يزين الرّحْــلَ من هو راكبُــهْ

٢ ــ كأنّ الفتى لــم يَحْي يومــاً اذا جــرى
على قبــره هــابي التــراب وحاصِبُــهْ

التخريج : البيتان في معجم الشعراء / ٣٠٧ .

[٢]

قال مُضَرس :

١ ــ وقِدْرٍ كحَيزوم النَّعامةِ أُحْمِشَــتْ
بأجْــذالَ خُشْــبٍ زال عنهــا قشِيبُها

التخريج : وقال صاحب الاشباه والنظائر ٢/٢٣٩ ولما سمع زياد الاعجم ذلك قال : وما حيزوم النعامة ؟ لعن الله هذه من قدْرٍ فما أحسبُها تُشــبع عيالَ مضرّس فقيل له : كيف تقول أنت فقال بيتــين ... ونسب البَيت في بعض المصادر الى الفرزدق غير أن ديوانه اخلّ به .

[٣]

قال مُضَرّس :

١ ــ فقالت أمــا ينهــاك عــن تبَــعِ الصبا
معاليك والشيبُ الــذي قــد تنيَّبــا (١)

---

(١) نيب النبت وتنيب : خرجت أرومته وكذلك الشيب وقال ابن ســيدة واراه على التشبيه بالناب .

التخريج : اللسان [نيب] .

[٤]

قال المضرس بن ربعي الفقعسي الاسدي ، وهو من أبيات :

١ ـ وضيفٍ جاءَنا والليلُ داجٍ
وَريحُ القُرِّ تَحفِزُ منهُ رُوحا[١]

٢ ـ فطِرْتُ بمُنْصُلي في يَعْمَلاتٍ
خِفافَ الوطءِ يخبطْنَ السَّريحا[٢]

٣ ـ فعضّ بساقِ دَوْسَرةٍ عَليها
عتيقُ النَّيِّ لم تَحْضُرْ لقوحا[٣]

٤ ـ وقلتُ لصاحبي لا تحبسَنِّي
بنزع أصوله واجدَزَّ شِيحا[٤]

٥ ـ فلما أنْ تَعَجَّلْنا شِواءً
قليلَ النُّضْجِ لكنْ قد أُليحا[٥]

٦ ـ خلطت لهم مُدامَة أذْرعاتٍ
بماءِ سَحَابة خَضِلاً نَضُوحا

---

(١) تحفز : تدفع .. كأن هذا الضيف لما قاسى من شدة البرد ، ضعفت روحه فصارت ريح القر تدفع روحه من جثته لتخرجها منه .

(٢) المنصل : السيف . اليعملة : الناقة القوية على العمل .. يخبطن السريحا : اي يطأن بأخفافهن الارض .

(٣) الدوسرة : الناقة الضخمة . النِّي : الشحم .. اللقوح : الحلوب .

(٤) اجدز : افتعل من الجز وهو القطع يقول : لا تقلع أصول الحطب وعروقه واكتف بقطع الشح فهو أسهل وأسرع .
واكتف بقطع الشيح فهو أسهل وأسرع .

(٥) اليحا : أحميته ورواية الخامس في اللسان ضبح .. فلما أن تلهوجنا شواء غيرته ولم تبالغ فيه والملهوج من الشواء : الذي لم يتم نضجه .

٧ ــ وفتيانٍ شـويتُ لهـم شِـواءً
سـريعَ النَّـيِّ كنـتُ بـه نجيحـا

التخريج ـ الابيات [١ ــ ٧] في شرح شواهد المغني /٥٩٨ وروايـة الثاني •• فقلت لصاحبي لا تحبسانا •• واجدد والابيات [٢ ، ٤ ، ٧] في اللسان [جزز] وقدم لها صاحب اللسان وهو يعلق على البيت السـابع الذي نسب ليزيد بن الطثرية قال : قال ابن بري ليس هو ليزيـد وانما هو لمضرس بن ربعي الاسـدي وبعد روايـة الابيات قال والبيت كذا في شعره والضمير في (بـه) في البيت الثاني يعود على الشـي والنجيح : المُنْجِح في عمله والمنصل : السـيف واليعمـلات : النوق • والدوامي : التى قـد دَميَتْ أيديها من شـدة السـير • والسـريح : خَرَق : أو جلود تُشَـدّ على أخفافهـا اذا دميت • وقيـل : القطعـة من قدّ تشـد بها لفـال الأبل في أرساغها • وقوله : لا تحبسنا بنزع اصوله •• يقول : لا تحبسنا عن شـي اللحم بأن تقلع أصول الشجر بل خذ ما تيسر من قضبانه وعيدانه وأسرعْ لنا في شيِّه ويروى : لا تحبسانا وقال في معناه ان العرب ربما خاطبت الواحد بلفظ الاثنين وفي كتاب سيبويه ١/٩ ، ٢/٢٩ وجمهرة ابن دريد [حرس] والخصائص ٢/٢٦٩ ، ٣/١٣٣ والمنصف ٢/٧٣ والانصاف /٥٤٥ وسـر الفصاحة /٧٤ والمقرب /٢١٥ ومغني اللبيب /٢٢٥ باختـلاف في روايـة البيت •• وبعضهم رواه بمُنصلي • وبلا عزو في بعضها •

[٥]

وقال مُضرّس بن ربعي :

١ ــ وفتيـان بَنَيْتُ لهمُ خِبـاءً
علـى قوسِينَ خَفّاقاً مَرُوحا

٢ ــ كأنـا رابطُونَ بـه فلُـوّاً
شـديدَ النزو قَمّاصاً رَموحا

٣ ـ تُقَوِّمُه وتَهْتِكُه علينا
سَمومٌ تَسفَعُ الوَجه الوَضوحا

التخريج : الابيات في حماسة ابن الشجري / ٧٠٩

[٦]

وقال مُضَرِّس بن ربعي الفَقْعَسي :

١ ـ وباكرةٍ كورْدِ قَطا ثُمَيْل
جَعَلْتُ السَّمهريَّ لها صَبُوحا
٢ ـ وقومٍ يَنْذُرون دمي غِضابٍ
غَشيتُ الدارَ مِنْهُمْ والنَّبوحا
٣ ـ يَسوءُ سَراتَهُمْ أن يَعْرِفوني
وانْكأُ من صُدورِهِم قُروحا
٤ ـ فتِلك شمائل مني وقومي
اِذا حَلّوا حِمَى قومٍ أبيحا

التخريج : الابيات [١ ـ ٤] في حماسة ابن الشجري / ١٠٣

[٧]

قال مُضَرِّس بن ربِعي :

١ ـ لعَمْرك انني بلوَى حُبَيٍّ
لأرجى عايناً حَذِراً أروحا (١)

(١) حبي : موضع بتهامة كان لبني اسد وكنانة .

٢ ــ رأى طـيراً تمـرُّ بعـينِ سـلمى
وقيـل النفـس الاّ أن تريحـا

التخريج : البيتان [١ ــ ٢] في بلدان ياقوت ٢/٢٠٢

[٨]

قال مضرس الاسدي :

١ ــ وما استنكرتَ من وحشٍ بقفرٍ رأيْنَ الانس فاستقبلنَ ريحا

التخريج : البيت في السمط ١/٥٤٧

[٩]

وقال مُضرّس بن ربعي وذكر الظباء وانها كنست في شدة الحر .

١ ــ ويـومٍ مـن الشِّعرى كأنّ ظِبـاءَه
كواعبُ مقصـورٌ عَليهـا سُتُورُها

٢ ــ تَدَلَّتْ عليهـا الشمسُ حتى كأنّهـا
من الحَرِّ يُرمَى بالسَّكينةِ نُورُها (١)

٣ ــ نَصَبْتُ لـه وجهي وكلَّفتُ حَمْيَه
أفانينَ حُر جـوج بطيءٍ فتورُهـا (٢)

٤ ــ وليلٍ يقـولُ القـومُ مـن ظُلماتـه
سواءٌ بصـيراتُ العُيونِ وعورُهـا

(١) النور جمع نوار وهي النفر من الظباء والوحش وغيرها .
(٢) الحرجوج : الناقة السمينة وقيل الشديدة والضامرة . الفتور : الضعف والتعب .
(٣) الساج : الطيلسان والكسور : واحدها كسر وهو الجانب .

٥ ــ كـأنّ لنـا مِنْـهُ بيوتـاً حَصينـةً
مسُوحٌ أعاليهـا وساجٌ كسوُرها (٣)

٦ ــ تجـاوزْتُـه في ليلـةٍ مُدْلهمَّـةٍ
يُنـادي صَـداها نـاقتي يستجـيرها

التخريج : الابيات [١ ــ ٦] في حماسة ابن الشجري / ٧٠٩ ــ ٧١٠ •
والابيات [٣ ، ٤] في حماسة ابن الشجري / ٧٢٨ •
والابيات [١ ، ٢ ، ٤ ، ٦] ضمن قصيدة في الحماسـة البصريـة ٢/٢٤٣ نسبت لمضرس وشبيب بن البرصاء وعوف بن الأحوص وينظر تخريج الابيات في شبيب بن البرصاء في [شعراء امويون ٣/٢٢٧ ــ ٢٢٩] •

وفي حيوان الجاحظ ٥/٧٨ الاول والثاني وهذا البيت ••
سجوداً لدى الأرطى كأن رُؤُسَها عَلاَها صُداعٌ أو فَوَالُ يصوُرها

والأول والثاني في النقائض / ١٦١ والازمنة والامكنة ٢/١٦١ مع تلفيق من الثاني مع الثالث واختلاف ، والثاني في اللسان [نور] والاول والثالث والسادس في الخزانة ٢/٢٩٢ والثاني والثالث في الألفاظ لابن السكيت/٥٥٢ ورواية الثالث [المذكور في الهامش] •

سُمُوداً لدى الأرطى ••• تَصُورُها

والرابع والخامس في حماسـة ابن الشجري / ٧٢٨ وهما في ديـوان المعاني / ٣٤٣ ونسبا في زهر الآداب ٢/٧٥١ الى أبن محكان السعدي ورواية الخامس : مسوحاً أعاليها وسـاجاً ستورها •

وآثرت عدم ذكر ما ورد من ابيات منسوبة الى مضرس وهي لغيره وقد وقفت عند أسباب التداخل عند تعليقي على أبيات شبيب بن البرصاء •

[١٠]

وقال مُضرِّس بن ربعي الأسدي :

١ ـ وعَوْرَاءَ قد قيلتْ فَلمْ استمعْ لها
وَلم ألكُ مِشْراقاً بها مَنْ يُجيرُها [١]

٢ ـ اِذا قيلت العَوْرَاءُ وَلّيتُ سَمْعَها
سواءً ولم أسألْ بها ما دَبيرُها

٣ ـ تَناسَيْتُها والحِلمُ مِنّي سَجِيّةٌ
وأنبأتُ نفسي أنهّا لا تَضِيرُها

٤ ـ فما طعم راح في الزجاج مدامة
ترقرق في الأيدي كميت عصيرها

(١) شرق ما بينهم بالشر : اذا وقع الشر بينهم .

التخريج : الابيات في حماسة البحتري / ١٧١ .

والثاني في معجم الشعراء /٣٠٧ وروايته سواي ولم اسأل بها ..

والأول في أساس البلاغة ١/٤٨٩ .

والرابع في الشواهد الكبرى للعيني على هامش الخزانة ٣/٥٦٧ .

والثاني منسوب في الاختيارين الى عوف بن الاحوص من قصيدة طويلة / ٥٤٤ .

[١١]

وقال مضرس بن ربعي الأسدي :

١ ـ وما نَلْعَنُ الأضيافَ إن نَزَلوا بِنا
ولا يَمْنَعُ الكوماءَ مِنّا نَصيرُها [١]

(١) لا نلعنهم : اي لا نبعدهم . واللعين : البعيد ونصيرها هاهنا : ما يمنع من عقرها من حسن وتمام وولد وما جرى مجرى ذلك . والنصير والسلاح في المعنى واحد .

التخريج : البيت في امالي المرتضى ٢/١١٩ .

[١٢]

قال مضرّس الاسدي :

١ ـ فلا تسألِيني وأسألي ما خَليقَتي
إذا رَدَّ عافي القِدْرِ من يَسْتَعيرُها [١]

(١) العافي : مايرد في القدر من المرقة اذا استعيرت . وقال ابن سيدة : وعافي القدر ما يبقي فيها المستعير لمعيرها . ومعناه : ان صاحب القدر اذا نزل به الضيف نصب لهم قدرا فاذا جاء من يستعير قدره فرآها منصوبة لهم رجع ولم يطلبها . والعافي هو الضيف كأنه يرد المستعير لارتداده دون قضاء حاجته وقيل : عافي القدر : بقية المرقة يردها المستعير .

التخريج : البيت في اللسان [عفا] والبيت من قصيدة لعوف بن الاحوص في الاختيارين / ٥٤٣ .

[١٣]

قال مُضرّس بن ربعي :

١ ـ تحَمّل من وادي أُشَيقر حاضِرُهُ
وألوى بريعان الخيام أعاصِرُهُ

٢ ـ ولم يَبْقَ بالوادي لاسماءَ منزِلٌ
وحوراءُ الاّ مُزْمِنُ العهدِ داثِرُهُ

٣ ــ ولمْ ينْقَضِ الوَسْمِيُّ حتى تنكَّرتْ
معالمُــهُ واعتــمَّ بالنَّبت حــاجِرُهْ

٤ ــ فــلا تهلكَنَّ النفس لوماً وحَسْرَةً
على الشيء سَدّاهُ لغــيرك قــادرُهْ

(١) اشيقر : واد بالحجاز وقيل جبل باليمامة وقيل : قرية لبني عكل .

التخريج : الابيات [١ ــ ٤] في بلدان ياقوت ١/٢٨٧ .

[١٣]

وقال مضرس بن ربعي :

١ ــ وراحلةٍ قدّمــتُ أقتــادَ رحلهــا
لمستردف ــ لا يُحقر الجهدَ ــ آطرُهُ(١)

٢ ــ كأني أصــادي ذا دلال يصــورني
بقربي وقرض والحفاظ أواصــره (٢)

(١) اراد قدمت اقتاد رحلها بالحبال اي اشده بها واعطفه وانحى رحلي لاوسع لردفي ثم قال : لا يحقر جهد مجتهد ــ فعذر نفسه وقد استقل ذلك .
(٢) الآصرة : كل ما عطفك على الرجل من صهر وقرابة .

التخريج : البيتان في المعاني الكبير ٣/١٢٦٠ .

[١٤]

قال مضرس بن رِبْعي ..

١ ــ فــلا تَهلــكنَّ النفسَ لَوْماً وحسرةً
على الشــيء ســدّاه لغــيرك قــادرُهْ

٢ ــ ولا تيأسَــنْ من صــالح أن تَنَــالَهُ
وانْ كان بُؤســاً بين أيــدٍ تُبــادِرُهْ

٣ ــ وما فاتَ فاتركْهُ اذا عزّ واصطبرْ
عن الدهر اِن دارت عليك دوائره

٤ ــ فانك لا تُعطي امرأ حظّ غيره
ولا تَعرف الشّقّ الذي الغيث ماطره

٥ ــ ولا تظلِمِ المولى ولا تضع العصا
على الجهل ان طارتْ عليك دوائره

التخريج : الابيات [١ ــ ٥] عدا الرابع في (المعمرون والوصايا) /١٣٣ وفي الرواية اختلاف •

الابيات في المؤتلف والمختلف /٢٩٢ •

والابيات في التذكرة السعدية / ٢١٨ عدا الخامس في الخزانة ٢/٢٩٣ مع اختلاف •

والثاني في نور القبس /٣١٠ وروايته وان كان قدماً وزهر الاداب ١/٣١٩ •

وفي معجم الشعراء / ٣٠٧ وروايته وان كان نهباً

والرابع في أمالي المرتضى ٢/١٩٢ ورواية الشطر الثاني ••

ولا نَمْلِكُ الشّقَّ الذي الغيثُ ناصرهُ

[١٥]

قال مضرس بن ربعي :

١ ــ وما الوحش هاجتني ولكن ظعائن
دَعاهُنّ روّاد الملا وقصائره

التخريج : البيت في أساس البلاغة ٢/٣٧ [صير] •

[١٦]

وقال مضرس بن ربعي :

١ ـ لقد عَجَمتني العاجساتُ يَرُدُّها
صَليبُ العَصا عَنّي على مَنْ يُعاسِرُه

٢ ـ واني لَسوّارُ الهَوَى في شبيبتي
الى المجد سَبّاقٌ به مَن أخاطِرُه

التخريج : البيتان في حماسة ابن الشجري / ١٠٥ .

[١٧]

وقال مُضرّس بن رِبْعي وذكر فردوس اياد :

١ ـ فلما لحِقناهم قرأنا عليهم
تحيّةَ موسى رَبّه أن يُجاوِرُهْ

٢ ـ فاما الأصيلُ الحِلْم منا فزاجرٌ
خُفَافاً حُلالاً أو مشيراً فذاعِرُه

٣ ـ وأما بُغاة اللّهو منا ومنهُمُ
مع الرَّبْرَب البالي الحسان محاجره

٤ ـ فلّما رأيْنا بعض من كان منهُمُ
أذى القول مجنوءاً لنا وهو آخرُهْ

٥ ـ صَرَفْنا ولم نملك دموعاً كأنها
بوادي جُمانٍ بين أيدي تُنَاثِرُه

٦ ـ فألقتْ عَصَا التسّيار عنها وخَيّمتْ
بأرْجاء عَذْبِ الماءِ بيض حفائرُه

٧ ــ أزال القَذَى عن مائــه وافــدُ الصَّبا
يــروح عليـــه ناســـماً ويُبــاكِرُهْ

التخريج : الأبيات [١ ــ ٦] في بلدان ياقوت ٣/٨٧٠ (الفردوس) •
والبيتان [٦ ــ ٧] في زهر الآداب ١/١٨٥ ورواية الاول •• زُرق مَحَافرُهْ
والسادس في اللسان [جبى] وروايته ••• بأجياء عذب الماءِ بيض محافره •

[١٨]

وقال مضرس :

١ ــ وقُلْنَ على الفِرْدَوسِ أوَّلُ مُشْرَبٍ
أجلْ جَيْرِ ان كانتْ أُبيحَتْ دَعَاثِرُهْ[1]

(١) الشواجر : المشاجب .

التخريج : البيت في أمالي القالي ٣/٢١١ ومجالس العلماء للزجاجي /٢٣
وابن يعيش ٨/١٢٢ ، ١٢٤ والخزانة ٤/٢٣٥ ومغني اللبيب /١٢٠ وشــرح
شواهد الألفية للعيني ٤/٩٨ وهمع الهوامع ٢/١٢٥ والدرر اللوامع ٢/١٥٨
وديوان طفيل /١٠ وشرح شواهد المغني ٣/٥٩ ورواية البيت فيه اختلاف
كبــير •

وبعد البيت في شرح شواهد المغني ٣/٦٧ •

٢ ــ فَألقَت عصا التّســيار فيها وخَيَّمتْ
بأرْجاءِ عَــذْبِ المــاء بيضٍ حفــائره

وقال صاحب شرح الشواهد الكبرى ٤/٩٨ •

وقبــله ••

تحمـل مـن ذات التنـابير أهلهـا
وقلّـص عـن نهـي الدفينـة حاضـره

[١٩]

قال مُضَرّس بن رِبْعي :

١ ـ تَحمّـل من ذات الجـراميـز أهلُهـا
وقَلَّصَ عن نِهْى القرينـةِ حاضرُه(١)

٢ ـ تَربَّعْنَ روضَ الحَزْن حتى تَعاورَتْ
سِـهامُ السَّـفَا قَرْيانَـهُ وظواهره

(١) جراميز : موضع باليمامة وروض الحزن وقيل الحزم ماء لبني اسد .

التخريج : البيتان في بلدان ياقوت ٢/٣٦ والثاني فيه ٢/٨٤٨ وفيه .. روض الحزم ..

[٢٠]

بـلاد خلـت مـن أهلهـا وترجّعـت
بهـا الخُنس أرام الشـقيق وبـاقره(١)

كأنّ وقوفـاً طُـرّحتْ في مـلاعبٍ
مراضيعُـهُ غِـزلانـه وجـآذره(٢)

(١) ترجعت : رجعتاليها والخنس : البقر، والارام : الظباء البيض والشقيق : جمع شقيقة من الرمل ، والباقر من البقر كالماعز من المعز .

(٢) المعنى : كأن مراضيعه وقوف طرحت في ملاعب والمقصود بها غزلانـه وجآذره والوقوف جمع وقف وهو الخلخال : شبه الجآذر والغزلان اذا انطوين بالوقوف .

التخريج : البيتان في كتاب المعاني الكبير ٢/٧٠٧ .

[٢١]

وأحسَن ما قيل في الخِباء قول مُضرِّس الأسدي .

١ ــ وظلٍّ كظلّ المَضْرَحِيّ رَفَعْتُهُ
يطيرُ ــ اذا هَبَّتْ له الريحُ ــ طائره

٢ ــ لبيضِ الوُجوه أدلجوا كلَّ ليلهم
ويَومُهم حتى اسْتَرَقَّتْ ظهائرُهُ

٣ ــ فأضحَوا تَشاوى بالفلا بين أرحُلٍ
وأقواسُ نَبْعٍ من خِباءٍ شواجِرُهُ(١)

٤ ــ أخذنا قليلاً من كَرانا فوَقّعَتْ
على ظَهْرِ رَشاشٍ غليظ حزَاورُهُ

٥ ــ رُقاداً بِهِ العَجلانُ ذو الهمّ قانعٌ
ومن كان لا يَسْري به الهمُّ حاقِرُهُ

التخريج : الابيات في الاشباه والنظائر ٢/٣٠٢ .

[٢٢]

قال مضرس بن ربعي :

١ ــ فلما تعالت بالمعاليق حِلّةٌ
لها سابقٌ لا يَخفضُ الصوتَ سائرُهُ

٢ ــ تلاقين من ذات التنانير شُرْبَةً
على ظهرِ عاديّ كثيرٍ سوافرُهُ

٣ ــ تبينت أعناقَ المطيِّ وصُحبتي
يقولون موقوف السعير وعامِرُهُ

التخريج : الأبيات [١ ــ ٣] في بلدان ياقوت ١/٨٧٦ .

[٢٣]

وقال مضرس بن ربعي :

١ ـ بلمّاعةٍ قد باكَرَ الصيفُ ماءَها
وباضتْ عليها شمسه وحرائره[1]

(١) الحرور : حر الشمس وقيل استيقاد الحر ولفحه وهو يكون بالنهار والليل وجمعها حرائر .

التخريج : البيت في حيوان الجاحظ ٤/٣٦٢ واللسان [حرر] وروايته ..
بلماعة قد صادف ... وفاضت ...

[٢٤]

وقال مضرس بن ربعي الاسدي .

١ ـ كأنّ على ذي الظّبي عَيْناً بصيرةً
بِمنَطِقِهِ أو مَنْظَراً هو ناظِرُهْ

٢ ـ يُحاذِرُ حتى يَحْسِبَ الناسَ كُلَّهُمْ
من الخوفِ لا تَخْفَى عليهم سرائرُهْ

التخريج : البيتان في حماسة البحتري /٢٦١ .

[٢٥]

وقال مُضَرّس :

اصول الرُخامَى لا يُفَزَّعُ طائِرُهْ[1]

(١) الرخامة بالهاء نبت حكاه ابو حنيفة والرخامي : نبت ايضا .

التخريج : عجز البيت في اللسان [رخم] .

[٢٦]

وقال مُضَرِّس بن رِبْعيّ الفقعسي :

١ ــ انّا لَنَصفحُ عن مجاهِلِ قومِنا
ونُقيمُ سَالِفةَ العَدُوِّ الأصْيَدِ (١)

٢ ــ ومَتَى نَخَفْ يوماً فَسادَ عشيرةٍ
نُصْلِحْ وانْ نَرَ صالِحاً لا نُفسِدِ

(١) قال ابن سيدة : مجاهل فيه جمع ليس له واحد مكسر عليه . ومجاهل من باب ملامح ومحاسن .

٣ ــ واذا نَمَوْا صُعُداً فليسَ عليهمُ
مِنّا الخَبالُ ولا نُفوسُ الحُسَّدِ (٢)

٤ ــ ونُعينُ فاعِلَنا على ما نَابَهُ
حتّى نيسِّرَهُ لفِعلِ السَّيِّد

٥ ــ ونُجيبُ داعِيَةَ الصَّباح بثائبٍ
عَجِلِ الرُّكوبِ لِدعوة المُسْتَنْجِدِ

٦ ــ فَنَفُلُّ شوكتها وتفثأ حَمْيَها
حتى تَبُوخَ وحَمْيُنا لم يَبْرُدِ

٧ ــ ونُحِلُّ في دار الحفاظ بُيُوتَنَا
رَتْعَ الجمائلِ في الدَّرين الاسود

(٢) النفوس : الذي يصيب الناس بالعين .

التخريج : الأبيات [١ ــ ٧] في حماسة أبي تمام (المرزوقي ٣/١١٨٣ ــ ١١٨٥) والاول في اللسان [جهد] والثالث في أمالي المرتضى ١/٣٢٦ .

[٢٧]

وقال مضرس الاسدي[1] :

١ ـ لمن الديارُ عَشيتُها بالأثمِد
بصفاءِ لِينَةَ كالحَمَام الرُكَّدِ

٢ ـ أمست مساكن كلّ بيض راعَه
عجل تروّحها وانْ لم تطرد

٣ ـ صفراء عارية الأخادع رأسها
مثلَ المُدُقّ وأنفُها كالمِسْرد

٤ ـ وسِخالُ ساجيةِ العيون خواذل
بجُمادِ لينَة كالنَّصارى السُّجّد

التخريج : قال ياقوت في بلدانه ٣٧٥/٤ .. وقرأت في ديوان شعر مضرّس في تفسير هذا الشعر قال : لينة ماء لبني غاضرة يقال أن شياطين سليمان احتفروه وذلك انه خرج من أرض بيت المقدس يريد اليمن فتعدّى بلينة وهي أرض حسناء فعطش الناس وعزّ عليهم الماء فضحك شيطان كان واقفاً على رأسه فقال له سليمان ما الذي يضحكك فقال اضحك لعطش الناس وهم على لُجّة البحر فأمرهم سليمان فضربوا بعصيّهم فأنبطوا الماء .

والثالث في حلية المحاضرة ١٧٩/١ وروايته .. عارية الاكارع ... وأنفها كالمبردِ .. وقدم لها .. في وصف نعامة ..

[٢٨]

وقال مُضَرِّس بن ربْعيّ :

١ ـ واني لأَدْعُو الضيفَ بالضوءِ بَعدما
كسا الأرضَ نَضّاحُ الجليد وجامِدُه

٢ ـ لأكـرِمَهُ ان الكرامـةَ حَقّـهُ
ومِثْلانِ عنـدِي قُرْبُـهُ وتباعُدُه

٣ ـ أبِيتُ أُعشّـيهِ السَّديـفَ وانّـي
بما قَالَ حتّى يَتْرُكَ الحيَّ حامِـدُه

التخريج : الابيات [١ ـ ٣] في حماسة ابي تمام (المرزوقي ٤/١٦٩٤) وبرواية الجواليقي /٥٥٧ .

[٢٩]

وقال مضرس بن رِبعي الاسدي

١ ـ واني لمِنجـازٌ لِمـا قُلْتُ انّني
أرى سَيّئاً أنْ يُخلِفَ الوَعْدَ واعِدُه

التخريج : البيت في حماسة البحتري / ١٤٣ .

[٣٠]

قال مضرس بن ربعي :

١ ـ إيّـاكَ والأمرَ الـذي انْ تَوَسَّعَتْ
مَـوارِدُهُ ضَاقت عَليكَ المَصـادِرُ

٢ ـ فما حَسَنٌ أن يَعْذِرَ المرءُ نَفْسَهُ
وليسَ لـه مـن سـائرِ الناس عاذِرُ

التخريج : البيتان بلا عزو في حماسة أبي تمام (المرزوقي) ٣/١١٥٢ و (التبريزي) ٣/٨٩ وفي المرزوقي .. مداخله .. وهما في شرح المضنون به على غير أهله /٢٥ ـ ٢٦ والتذكرة السعدية /١٨٢ منسوبان لمضرس وبلا عزو في بهجة المجالس ٢/٢١٣ والاول في الانصاف /٢١٥ وشرح المفصل

١١٧/٨ برواية مصادره .

وشرح البغدادي /٤٧٦ واللسان [هيا] بلا عزو .

[٣١]

وقال مُضَرِّس بن ربعي الفقعسي :

١ ـ يا أيها الرجلُ المُهدي قوارِصَهُ
أبصرْ طريقَكَ لا يَشْخَصْ بك البَصَرُ(١)

٢ ـ لا يلقينّك في افواه مهلكةٍ
قول السفاه وضعف حين تأتمر

٣ ـ يا ابن استهاطلت لما نبتُ عنك ولو
رأيت في النوم شخصي نالك القصرُ

٤ ـ فان قربت فلا أهل ولا رحبت
أرضُ عليك ولا اختيرت لك الخيرُ

٥ ـ وان بَعدت فأقصاها وأبعدها
في منزل لابه شمس ولا قمر

٦ ـ شحط المزار على علياء شامخة
من دون قنتّها يُستنزل المطر

٧ ـ لازلتَ حرباً ولا سالمتنا أبداً
فما لديك لنا نَفْعٌ ولا ضَرَرَ

٨ ـ نحن الذين لنا مجد ومكرمة
والسابقون اِذا ما أغلى الخطر

٩ ــ والمانعون اِذا كانت ممانعة
والعائدون بحسناهم اِذا قدروا

(١) القوارص : جمع قارصة وهي الكلمات المنغصة المؤلمة ويشخص : يقال شخص بصره اذا فتح عينيه ولم يطرف .

التخريج : قال صاحب الحماسة البصرية بعد ذكر اسمه جاهلي وهو وهم. والابيات [١ ــ ٩] في الحماسة البصرية ١/٣٠ ولمحقق الحماسة تصحيح على ما ورد في الاصل بشأن جاهليته .

والبيتان الاول والسابع في حماسة ابن الشجري /٢٣٧ .

[٣٢]

قال مُضَرِّس بن رِبْعي الاسدي :

١ ــ قِفا تَعْرِفا بين الدَّحايل والبُتْرِ
منازِلَ كالخيلان أو كُتُبِ السّطرِ

٢ ــ عَفَتْها السُمِيُّ المُدْجِناتُ وزَعْزَعتْ
بِهنّ رياحُ الصّيف شهراً الى شهرِ

٣ ــ فلما عَلاَ ذات الأروم ظعائنٌ
حِسانُ الحُمولِ من عريش ومن حِذْر (١)

(١) أروم : جبل لبني سليم .

التخريج : الابيات [١ ــ ٣] في بلدان ياقوت ١/٢٢٤ .

[٣٣]

وقال صاحب الاشباه والنظائر ١/٢١٠ وهو يقدم لامري القيس : فاما اول من شبه المشي بمشي السكران للتثني والانعطاف هو امرؤ القيس وذكر بيتاً ثم قال : أخذه مضرس الفقعسي فقال :

١ ـ تَسَاكَرَ سلمى من سجّية مشيها
وما سكر سلمَى من طلاءٍ ولا خَمْرِ

التخريج : الاشباه والنظائر ١/٢١٠ •

[٣٤]

قال مُضرس بن ربعي :

١ ـ كأني طلبتُ العامريات بَعْدَما
عَلَوْنَ اللكاكَ في ثقيب ظواهرِ (١)

(١) اللكاك : موضع في ديار بني عامر لبني نمير فيه روضة .

التخريج : البيت في بلدان ياقوت ٤/٣٦٤ •

[٣٥]

قال مضرس يجيز بيتاً للفرزدق :

مناعيشُ للمولى تظلّ عيونها الى السيف تستبكى اذا لم تُعَقَّر

التخريج : البيت في بلدان ياقوت ٤/٣٥٧ •

[٣٦]

وفي ضرب المثل بظُلم الحيّة • يقول مضرّس بن لقيط (١)

١ ـ لعَمركَ اني لو أُخاصِمُ حَيّةً
الى فَقْعَسٍ ما أنْصَفَتْنيَ فَقْعَسُ (٢)

٢ ـ اِذا قلتُ مات الداءُ بيني وبينَهُمْ
سَعَى حاطِبٌ منهم لآخرَ يَقْبِسُ

٣ ـ فما لكُمُ طُلْساً اليَّ كأنكُمْ
ذئابُ الغَضَا والذئب بالليل أَطلس (٣)

---

(١) للمرة الثانية ينسبه الجاحظ الى جده في الحيوان .
(٢) يقول : بلغ من ظلم قومنا لنا أننا لو خاصمنا الذئاب والحيات ، وبها يضربون المثل في الظلم ـ لقضوا لهما علينا . وفقعس هو ابن طريف ابو حي من قبيلة اسد .
(٣) قال الجاحظ : وجعله اطلس لانه حين تشتد ظلمة الليل فهو اخفى له ، ويكون حينئذ أخبث له واضرى .

التخريج : الابيات [١ ـ ٣] في حيوان الجاحظ ٤/١٥١ وفي البيان والتبيين ٢/١٦٤ نسبت الى عامر بن لقيط الاسدي ورواية الأول لعمرك لو أني والثاني أتى حاطب منهم

والاول والثالث من ستة أبيات في حماسة البحتري نسبت الى عامر بن لقيط الاسدي الفقعسي /٢٤٠ .

وينظر محاضرات الراغب ١/١٧٤ .

[٣٧]

وقال مضرس بن رِبعي :

١ ـ لعمرُكَ اني بالخليل الذي له
علَيَّ دلالٌ واجبٌ لمفجَّعُ

٢ ـ واني بالمولى الذي ليس نافعي
ولا ضائري فُقدانُه لممتَّعُ

التخريج : البيتان في دلائل الاعجاز /٣٣٦ .

[٣٨]

وقال مضرس بن ربعي الأسدي :

١ ـ وعَوراءَ من قِبلِ امريءٍ كان صَدْرُهُ
من الغِشِ قِدْماً والعَداوةِ مُشْبَعا

٢ ـ تَغَافلتُ عن عوراءَ منه تُريبُني
لأَبلُغَ عُذْراً أو يُفيقَ فَيَنْزَعا

التخريج : البيتان في حماسة البحتري /١٧١ .

[٣٩]

قال مُضرّس بن رِبعّي :

١ ـ رأى القوم في دَيْمُومة مُدْلَهِمَّةٍ
شخاصاً تمنّوا أن تكون فحالا

٢ ـ فقالوا سَيَالات يُرِيْنَ ولم يكن
عَهِدْنا بصحراء الثُّوير سَيَالا(١)

(١) الثوير : تصغير ثور أبيرق أبيض لبني أبي بكر بن كلاب قريب من سواج من جبال حمى ضرية . ووبال : ماء لبني عبس .

٣ ـ فلما رأينا انهن ظعائن
تيممّن شَرْجاً واجتنين وَبالا

٤ ـ لحقنا ببيض مثل غزلان عاسم
يجرّفن أرطى كالنعام وصالا

التخريج [١ ـ ٤] في بلدان ياقوت ٤/٩٠٠ ـ ٩٠١ وقال وهي من أبيات والبيتان [١ ـ ٢] في بلدان ياقوت ١/٩٤٠ .

[٤٠]

قال مضرس بن رِبْعي :

١ ــ تبصَّرْ خليلي هل ترى من ظعائنٍ
اذا مِلْنَ من قُفٍّ عَلَوْنَ رمالا

٢ ــ عوائد يجعَلْنَ الصفاةَ وأهلها
يميناً واثمادَ الضبيب شمالا

٣ ــ ليَبْصَرْنَ اجلاداً من الأرض بعدما
تَصَيَّفْنَ قُفّاً وارتَبَعْنَ سهالا

التخريج : قال ياقوت ٣/٣٦٧ في صبيب •• بركة على يمين القاصد الى مكة من واقصة على ميلين من الجوى ثم قال •• وفي شعر مضرس بن رِبعي بخط ابن العصّار وذكر أنه نقله من خط ابن نباته ضبيب بالضاد في قول مضرس بن رِبعي ••

[٤١]

قال مُضَرّس بن رِبْعيّ :

١ ــ ولم أنْسَ من رَيّا غداة تَعَرّضَتْ
لنا دون أبواب الطراف من الأَدَمْ

٢ ــ تَعرُّض حَوْراء المَدافع تَرْتَعي
تِلاعاً وغُلاّنا سوائل من رَمَمْ(١)

٣ ــ عشيّةَ تبليغ المودة بيننا
بأعْيُننا من غير رعيٍ ولا بَكَمْ

(١) اسم وادي .. قال ياقوت وقراته في شعر مضرس رمم بفتح أوله .. والغلان : بطون الاودية ورمم موضع وفي ياقوت المدامع وهو تحريف .

التخريج : الابيات [١ ـ ٣] في بلدان ياقوت ٢/٨٢٠ والثاني في اللسان [غلل] .

[٤٢]

وقال مضرس بن لقيط[1] :

١ ـ كأني وأصحابي وكرِّي عليهمُ
على كُلّ حال من نشاطٍ ومن سَأمْ

٢ ـ غرابٌ من الغِربانِ أيامَ قِرّةٍ
رَأيْنَ لِحاماً بالعِراصِ على وَضَمْ

(١) نسبه الى جده . والصواب هو مضرس بن ربعي بن لقيط الاسدي .

التخريج : البيتان في حيوان الجاحظ ٣/٤٥٩ .

[٤٣]

وقال مضرس بن ربعي الاسدي :

٣ ـ لقد كان في نصر وغسان اسوةٌ
ومن قبل ذاك من ملوك ومن أمم

التخريج : المناقب المزيدية . مخطوطة . الورقة ٣٩ .

[٤٣]

قال مُضَرّس بن رِبعي .. وقيل طليحة ..

١ ـ وعاذلة تخشى الرّدى أن يُصيبني
تروحُ وتغدُو بالمَلامَة والقَسَمْ

٢ ـ تقولُ هلكنا انْ هَلَكتَ وانّما
على اللهِ أرزاقُ العِبادِ كَمَا زَعَمْ

٣ ــ واني أُحبُّ الخُــلْدَ لو أســتطيعُهُ
وكالخلدِ عِـنْدي أن أمُوتَ ولَمْ أُذَمْ

٤ ــ ولو أن عُفْــراً في ذَرى مُتَمنَّـــعٍ
من الضُّمْرِ أو بُرْقِ اليمامــة أو خَيَمْ

٥ ــ تَرقّى اليــه المــوت حتــى يَحُطّــهُ
الى السهل أو يَلْقَى المنيّــة في عَلَمْ

التخريج : الابيات [١ ــ ٥] في بلدان ياقوت ٣/٤٨١ عــدا الثالث • والرابع والخامس فيه ١/٥٨٩ ورواية الخامس • في العلم ونسبت الى طلحة •• وقال ياقوت •• قال الاصمعي الضمر والضائن علمان كانا لبني ســلول يقال لهما الضمران في أحدهما ماءَة يقال لها الخِضرمة وهما في قبلة الأحسن ومعدن الأحسن لبني أبي بكر بن كلاب •

والابيات [١ ــ ٣] في الوحشيات /٦٩ بلا نســبة • ونســبت الى مُضرّس بن ربعي في معجم الشعراء /٣٠٧ والبيتان الرابع والخامس في بلدان ياقوت ١/٥٨٩ •

مُصطلحات حضارية في التراث العربي

الأستاذ ميخائيل عوّاد
(عضو المجمع)

تمهيد :

تزخر كُتُب التاريخ والبلدان والعلوم والفنون المختلفة ، وغيرها مِن مصنّفات التراث العربي ، بألفاظ لاتُعَدّ ولا تُحصى ، في ميادين : لغة الحضارة ، والمصطلحات ، والنبات ، والحيوان ، والأحجار ، والطِيب ، والدواء ، والطعام ، والشراب ، واللباس ، والآلات ، والسلاح ، والبناء ، والمسكن ، وغير ذلك ، بعضها مازال معروفاً ومُسْتَعْملاً حتّى يومنا هذا ، وبعضها الآخر قد بطل استعماله .

وهذه الألفاظ والمصطلحات ، بل لغة الحضارة ، ذات أهمية بالغة في عصرنا الحاضر ، يجدر أن يُعْتَنَى بشرحها وتفسيرها ، لتأخذ مكانتها العلمية مِن الدرس والتحقيق .

وفي مطالعاتنا لطائفة مِن تلكم المصنّفات ، التي تزدحم فيها هذه الألفاظ ، استخرجناها وتولّينا دراستها وتفسيرها وشرح معانيها ، في هذا البحث ، الذي تناولنا ما في خمسة كُتُب ، هي :

نصوص ضائعة [1] مِن كتاب الوزراء والكُتّاب

تأليف : محمد بن عَبْدوس الجهشياري (ت[2] : ٣٣١ هـ = ٩٤٣ م)

---

(١) جمعها من مصادر مخطوطة ومطبوعة ، وعلق عليها : ميخائيل عواد (دار الكتاب اللبناني ــ بيروت ١٩٦٥) .

(٢) اتخذنا الرموز الآتية ، التماسا للاختصار :

الأَنْزَال : (ص ٢٨ ، ح ٢) :

واحدها النُزْل والنُزُل : ما هُيّئ للضيف .

البَزَنْدَات : (ص ٤٣ ، ح ١) :

واحدها : البَزَنْد . اختلف الكَتَبة في تعريفها ، فمن قال انّها تعني المُسَنَّيَات . ومَن قال انّها الحواجز المسماة بالسُكُور ، ومَن ذَكَر انّها تعني الطمى الذي يكون على حافتَي القناة . وقال الخوارزمي لدى كلامه على « ألفاظ تُسْتَعْمَل في ديوان الماء » (مفاتيح العلوم ، ص ٤٦) انّ « البَزَنْد هو البستان » . وقد نَصَّ هلال الصابئ بقوله « تُسَمَّى البَزَنْدَات بمصر جسوراً » : « تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء » (ص ٣٢٠) .

راجع بشأنها :

(Cahen « claude » : Le service de l'Irrigation en Iraq au debut du Xie Siecle.).
(Bulletin d'Etudes Orientales. Tome XIII, 1949-1950, PP. 117-143).

الحَنُوط : (ص ٩٣ ، ح ٣) :

هو عادة الكافور . والسِدْر : يُطَيَّب به الموتَى بعد التغسيل .

ت	:	توفي . المتوفى	م	:	سنة ميلادية
ج	:	جمع . الجمع	مط	:	مطبعة . المطبعة
ح	:	حاشية	مق	:	مقدمة
د	:	دكتور	هـ	:	سنة هجرية
ص	:	صفحة			
ط	:	(ط ١ = طبعة أولى . ط ٢ = طبعة ثانية . الخ ...)			
ع	:	عـدد			

الرَقّ : (ص ٥٠ ، ح ٢) :

جلْد في غاية الرقة والنعومة ، لايكاد يفرق مِن الورق بشيء .

الشاكرية : (ص ٣١ ، ح ٢) :

واحدها : الشاكريّ ، معرّب جاكر أي الخادم ، والعبد ، والغلام ، والمريد ، والتلميذ ، والصانع (صانع الأستاذ) .

القَيْنَة : (ص ٤٨ ، ح ٢) :

المُغَنِيّة . ج : القِيَان .

المُصَلّى : (ص ٧٤ ، ح ١) :

قطعة صغيرة الحجم قد يبلغ طولها نحو مترين ، وعرضها متراً ، تُتَّخذ مِن قماش أو فَرْش أو حصير ، يُصَلّى عليها ، ويُطْلَق عليها أحياناً « سجَّادة » . ويمكن للمُصَلّي أن يحمل معه مُصَلاّه أينما شاء . و« المُصَلّى » مِن المستدرك على المعجمات العربية[٣] .

النَبَط : (ص ٢٨ ، ح ١) :

جيل مِن الناس ، كانوا ينزلون القطائع بين العراقَيْن ، أو سواد العراق . وهم الأنباط . وكان لهم في قديم الزمن دولة ومدنية . ثمّ استعمل في أخلاط الناس وعوامهم . ومنه يُقال كلمة نَبَطِيَّة أي عاميّة .

نَفّاطة : (ص ٦٠ ، ح ١) :

ضَرْب مِن السُرُج يُسْتَصْبَح بـه .

★ ★ ★

---

(٣) راجع مقال :
« المصلى : من المستدرك على المعجمات العربية » . بقلم : ميخائيل عواد .
(مجلة « الثقافة » ع ٣١٧ [القاهرة ١٩٤٥] ص ٢٠ ـ ٢٢) .

تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء[4]

تأليف : هلال بن المُحَسِّن الصابىء (ت : ٤٤٨ هـ = ١٠٥٦ م)

بَزَنْد ، بَزَنْدات : (ص ٢٥٧) :

« . . . وقُدِّر للنفقة على بَزَنْدِ مِن بَزَنْدات نهر الرُّفَيل ثلاثون ديناراً ، فلم يطلقها ، وقال : نفقة هذا البزند واجبة على صاحب الضيعة لأنّها قطيعة ، . . . » .

(ص ٣٢٠) :

« . . . قال : يامعاشر الناس ، اجتزتُ الساعة على جسر قارون (وهو بَزَنْد مِن البَزَنْدات ، وتُسَمَّى البَزَنْدات بمصر جسوراً) .

ثَلْجِيَّة : (ص ٢١٦ – ٢١٧) :

« . . . وقام الشيخ مسرعاً ، فجاء بثلجيّة نظيفة فيها ماء بارد ، فشرب وانصرف . . . » .

جريدة : (ص ١٣) :

« . . . ويتقدّم القائد ومعه جريدة بأسماء أصحابه وأرزاقهم . . . » .

في (« شفاء الغليل » للخفاجي ، ص ٧١ ؛ ط الوهبية = ص ٦٢ ؛ ط الخانجي) :

« الجريدة : دفتر أرزاق الجيش في الديوان ، وهو اسم مولّد وهي صحيفة جردت لبعض الأمور ، أُخذت مِن جريدة الخيل وهي التي جردت لوجه . قاله الزمخشري في شرح مقاماته . والعامة تقول لجريدة الخيل تجريدة . وله وجه . وقال ابن الأنباري : الجريدة : الخيل التي لايخالطها راجل . واشتقاقها مِن تجرّد إذا انكشف » .

---

(٤) تحقيق : آمدروز (بيروت ١٩٠٤) .

خريطة مُحلَّقة : (ص ١٧٥) :

« . . . وأمرني بختمه وإنفاذه في خريطة مُحلَّقَة . وأصلحه صاحب الدواة في الخريطة . وجاءني بها فعَنْوَنْتُها بإحدى عشرة حلقة وأنْفَذْتُها الى ...» .

سَواد العراق : (ص ٦٨) :

« . . . وقال أبو الحسن بن الفرات في مجلسه وفيه خواصّهُ ، وقد جرى ذِكْر السَّوَاد . لِمَ سُمِيّ السَّوَاد سواداً . فذكر كلّ واحد ماعنده : فقال : ليس كذلك ، انمّا سُمِيّ السَّوَاد ، لأنَّ العرب لمّا جاءتهُ في أيّام عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، وأشرَفت عليه ، ونظرت الى مثل الليل مِن النخل والشجر والزرع والمياه ، قالت : (ما هذا السَّوَاد) فسُمِيّ سواداً لذلك . والعرب تقول : سواد الأرض وبياضها . فالسَّوَاد العامر والبياض الغامر » .

العَمَل : (ص ١١) :

ما يُعَبرّ عنه في أيامنا الحاضرة بِ « الميزانية » . ج : الأَعمال .

مِسوَرَة : (ص ٣٢٥) :

« وحَدَّث القاضي أبو عليّ التنوخي عن أبيه وأبي الحسين بن عياش ، قالا : كان أبو الحسن عليّ بن عيسى يجعل في كل بابٍ مِن ورائه مِسْوَرَةً ويُسْبِل عليها سِتراً طويلاً يغَطيّها . فإذا جَلَس في أخريات النهار مجلساً حافلاً ، ألْصق بها ظهره مِن وراء الستر لئلاّ يشاهد مستنداً تمسكاً بالوقار . وقيل انهّ ما رؤي قطّ متبذّلاً في مجلسه ، ولا متخفّفاً في ملبسه ، ولا فارق الدرّاعة والقميص مِن دونها ، والمُبطّنة مِن دونه والخفّ في أكثر أوقاته . . . . » .

الطِنكاب وقلّة الماء : (ص ٢٥٦) :

المُيَاوَمَة . المُشَاهَرَة : (ص ١١) .

« . . . وكان مقام الماء على الصبّ الذي قُسمت عليه الأبواب فوق الدكّة أربعة أذرع ونصف في أيّام الطِنْكاب وقلّة الماء . . . » .

(ص ١٧) :

الصاغة . الخيّاطون . القصّارون . الأساكفة . الحدّادون . الرفاءون . الفراءون . المُطَرِّزون . النَجادون . الوَرّاقون . العَطارون . المُشَهرون . النَجارون . الخَرّاطون . الأسفاطيون . المَطْبَخِيُّون .

(ص ٢٠٥) :

« . . . فقمتُ وأدخلني الى دارٍ متَّصلة بداره ، قد فُرِشت بفَرْش نظيف ، فيها ما يحتاج إليه مِن : **طَستٍ وإبريقٍ وجرارٍ وكيزان وقُدُور وغَضارٍ وجامات وسُكُرّجات وصواني وأطباق وقناني وأقداح**، ... » .

★ ★ ★

أقسام ضائعة[٥] مِن كتاب
تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء

تأليف : هلال بن المُحَسِّن الصابئ

الأرطال : (ص ٤٠ ، ح ٣) :

واحدها : الرطل . ويأتي بمعنى : وعاء يُوضَع فيه الشراب ونحوه . يَسَع رطلاً مِن الخمر . يقابله في وقتنا عند الإفرنج « اللتر Litre » .

الأكَّار : (ص ٤٩ ، ح ٤) :

ج : الأكَرَة والأكَّارون . هو الحرّاث أو الزرّاع[٦] .

---

(٥) جمعها وعلق عليها : ميخائيل عواد (مط المعارف ـ بغداد ١٩٤٨) .

(٦) راجع في تفسيرها : ما كتبه أحمد باشا تيمور ، في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (٢ [١٩٢٢] ص ٢٩٠ ـ ٢٩١) ، والأب انستاس ماري الكرملي : « مجلة المجمع » (٣ [١٩٢٣] ص ٩١) .

الباطن مِن المال : (ص ٣٩ ، ح ٣) :
الخَفيّ مِن المال .
التاسُومَة : (ص ٤٥ ، ح ١) :
ضَرْب مِن الأحذية[٧] .
وكان . . . شديد التقشّف عظيم التنطّس : (ص ٣١ ، ح ١) :
« تَنَطَّس » : تأنَّق في كلامه وملبسه ومأكله ، وغير ذلك .
جَامْدار . الجَمَنْدار : (ص ٥١ ، ح ٣) :
هو الذي يتصدّى لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه[٨] .
الخَرْكَاه : (ص ٣٤ ، ح ٣) :
مِن آلات السفر . وهي بيت مِن خشب مصنوع على هيئة مخصوصة ، ويغشى بالجوخ ونحوه . تُحْمَل في السفر لتكون في الخيمة ، للمبيت في الشتاء لوقاية البرد ». وكان التركمان يصنعونها مِن اللبد ويسمّونها (قره أو) أي البيت الأَسْوَد[٩] .
الخَيْش : (ص ٤٤ ، ح ٣) :
نسيج خشن مِن الكتان . ج : خُيُوش وأخياش . والخَيَّاش . — كخَبَّاز— بائع الخَيْش .
الكلاب الزِيني أو الزئني : (ص ٤٧ ، ح ٥) :
هو القصير .
السِكْبَاج : (ص ٣١ ، ح ٢) :

---

(٧) انظر : « الألفاظ الفارسية المعربة » (ص ٣٣) .
(٨) راجع « صبح الأعشى » (٥ : ٤٥٧ — ٤٥٩) .
(٩) انظر : « رحلة ابن بطوطة » (= تحفة النظار ، ٢ : ٢٩٩ — ٣٠٠ ، ط . باريس) ، و « صبح الأعشى » (٢ : ١٣١) ، و « الألفاظ الفارسية المعربة » (ص ٥٣ — ٥٤) .

لحم يُطْبَخ بخَلّ[10] .

الشِهْرِيّ : (ص ٣٥ ، ح ٥) :

ج : الشَهاري : الفرس البلدي ، الفاره ، النادر .

الصامت مِن المال : (ص ٣٩ ، ح ٣) :

الذهب والفضّة .

الصُفّة : (ص ٤١ ، ح ١) :

بيت صيفي يكون مسقوفاً بجريد النخل ونحوه .

الطَيّار : (ص ٣٤ ، ح ١) :

ويُقال فيه « الطَيّارة » : ضرب مِن السفن النهرية القديمة . أكثر ما اتُّخِذ في العراق لركوب العظماء .

الغَضارة : (ص ٣١ ، ح ٣)

القصعة الكبيرة مِن الخزف . ج : غضائر .

القَباء : (ص ٣٥ ، ح ٣) :

ثوب يُلْبَس فوق الثياب . يسميّه أهل العراق (الزبون) ، وأهل مصر وسورية (القنباز) . ج : أَقْبِيَة . وصار القَباء لباساً رسمياً لرجال الدولة في أوائل المئة الرابعة للهجرة ، حتىّ كان لايدخل المقصورة في يوم جمعة إلاّ مَن كان مِن الخواصّ المُتَميّزين بالأَقْبية السُود . وكان القَباء أيضاً مِن جملة لباس الجند . وكان القُوّاد يلبسون الأقبية القصيرة .

القُمْقُم : (ص ٣٧ ، ح ١) :

---

(١٠) راجع صفة صنعته في كتاب « الطبيخ » : لمحمد بن الحسن بن محمد بن عبدالكريم البغدادي (ص ٩ ــ ١٠ ، ٥٦ ، تحقيق : د. داود الچلبي ، الموصل ١٩٣٤) .

ج : قَمَاقم . ووَرَدَ أحياناً قمقوم . وهو روميّ معرَّب كُمكم ، بكافَيْن عجميتَيْن . بمعنى الجرّة . وأيضاً آنية معروفة مِن نحاس وغيره ، يُسَخَّن فيها الماء ويكون ضيّق الرأس . ومنه استعير لإناء صغير مِن نحاس أو فضّة أو صيني أو زجاج ، يجعل فيها ماء الورد ونحوه ، يُرَشّ منها على الضيف وغيره .

المِحَفّة : (ص ٣٨ ، ح ٤) :

— بكسر أوّله ، ويُفْتح — : مركب للنساء كالهودج ، أو سرير يُحْمَل عليه المريض أو المسافر . ويُسَمَّى أيضاً « تخت روان » ومعناه الذهاب والمجيء .

المَعَاوِن : (ص ٤٢ ، ٧٨) :

المعاون : جَمْع المَعُونة . وصاحب المعونة — قيل في تسميته : عامل المعونة ، ووالي المعونة ، ومتوليّ المعونة ، وصاحب البلد (وبالفرنسية Commissaire de Police) : هو الأمير دون الحاكم[١١] ، والمرتّب لتقويم أمور العامة ، فكأنه معين المظلوم على الظالم ، يعني الوالي . أي والي الجنايات[١٢] . والمعونة مايظهر مِن قِبَل العوام تخليصاً لهم مِن المحن والبلايا[١٣] .

وكان منصب صاحب المَعُونة ، يُضَمّ عادةالى صاحب الجند والحرب[١٤] . وكثيراً ما كان يُطْلَب الى أصحاب المعاون مساعدة القضاة والحكّام ، ومعونتهم بما يقضي بِلَمّ شمل الصلاح في تنفيذ القضايا والانتظام[١٥] .

---

(١١) « الأحكام السلطانية » : للماوردي (ص ٢٦ ، ط . مصر ١٩٠٩) .
(١٢) « مقامات الحريري » (ص ٢٢٧ ، ط . باريس ١٨٢٢) .
(١٣) « التعريفات » للجرجاني (ص ٣٣٤ ، ط . فلوجل . ليبسك ١٨٤٥) .
(١٤) « الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري » لمتز (١ : ١٣٤ ، الترجمة العربية . القاهرة ١٩٤٠) .
(١٥) « صبح الأعشى » (١٠ : ١٥٠) .

وللمعاون ديوان يضم الأمير وجملة مِن كُتّاب المعونة ، يسمّى « دار المعونة »[16] ؛ ولهم أيضاً « حَبْس المعونة »[17] ؛

الناطِق مِن المال : (ص ٣٩ : ح٣)

الحيوان مِن الإبل والغنم .

نَبيجة : (ص ٤٥ ، ح٢) :

الطَّبق الذي تُفْرَش عليه الأزهار والثمار بين أيدي الباعة . وهو يُتَّخَذ مِن الخوص أو الخيزران .

ج : النبايج[18] .

رُسُوم دار الخلافة[19]

تأليف : هلال بن المحَسِّن الصابئ .

الإرْتفاع : (ص ٢١ ، ح٤) :

مبلغ ما يتحصل مِن المال لديوانٍ مِن دواوين الدولة ، أو هو مجموع الأموال الديوانية كلّها .

أستاذ دار : (ص ٧٧ ، ح١) :

ويُقال فيها استدار وأستادار وأستادالدار . وهو لقب مَن يتولّى قبض مال الخليفة أو السلطان أو الأمير ، وصرفه . وتمتثل فيه أوامره .

إِسْحَاءَة : (ص ٤٢ ، ح٣ . ص ٦٦ ، ح٢) :

---

(١٦) « تاريخ ابن الوردي » (حوادث سنة ٥٦٦ هـ) : (٢ : ٧٩ ، مصر ١٢٨٥ هـ) .

(١٧) « تكملة المعجمات العربية » لدوزي (٢ : ١٩٢) .

(١٨) راجع : حبيب زيات : (مجلة « لغة العرب » ٦ [بغداد ١٩٢٨] ص ٣٣٧) .

(١٩) عني بتحقيقه والتعليق عليه ونشره : ميخائيل عواد (مط العاني ــ بغداد ١٩٦٤) .

ج : الأَساحي . وهي قصاصة مِن الورق كالسَيْر ، في عَرْض رأس الخنصر . تُلَفّ على الكتاب – أي الخطّ أو الرسالة – بعد طيّه ، ثمّ يُلْصَق رأسها ، وتُتّخذ أيضاً مِن شَرّابَة إبريسم سوداء . ووردت أيضاً بصورة « سحاة » .

أصحاب النِفْط : (ص ١٠ ، ح٢) :

هم حاملو مشاعل النِفْط في المواكب .

البَرّانية : (ص ١٢ ، ح٤) :

نسبة الى البَرّاني . والبَرّاني نسبة الى البَرّ على غير قياس . وهم الموالي البَرّانية الذين يخدمون دار الخليفة في خارج الدار ، وليسوا متعلّقين بخدمة سيّدهم في القصر .

بَنَفْسَجية : (ص ٩٧ ، ح٤) :

ج : بَنَفْسَجيّات . إناء مِن فضّة أو مِن ذهب ، توضَع فيها أزاهير البَنَفْسَج . ويسميها بعضهم زهرية .

البُنْك : (ص ١٠١ ، ح١٢) :

قشر عطر الرائحة ، يشبه قشر شجر التوت ، يُجْلَب مِن الهند واليمن . وهو مِن الطيوب المشهورة .

التَحيّة : (ص ٩٦ ، ح٨) :

ج : التحايا . التحفة والطرفة . وأكثر ماتُطْلق على الطاقة مِن الأزهار والرياحين التي يُحَيّى بها الندماء ، وتُزَيَّن بها مجالس الشرب[٢٠] .

التماثيل : (ص ١٠١ ، ح١١) :

---

(٢٠) راجع : حبيب زيات : « الخزانة الشرقية » (٢ : ٥٤ – ٦٠) .

شخوص وحيوانات، كانت تُصْنَع مِن النَدّ والعنبر ونحوهما، وتُهْدَى في الأعياد والمواسم والخِلَع .

الثلثيّة : (ص ٩٨ ، ح٢) :

إناء يسع ثلث رطل .

الجُرُبّان : (ص ٩٣ ، ح١) :

لفظ مُعَرَّب . اتّخذه العرب بمعنى جَيْب القميص . ج : الجُرُبّانات . والمراد بَجيْب القميص : طوقه . وأمّا الجَيْب الذي تُوضَع فيه الدراهم ونحوها ، فمولَّد لم تستعمله العرب .

الجَشَر : (ص ٤٩ ، ح٦) :

بمعنى المرعى . ويُعرف اليوم بين العامّة في العراق ، بلفظة « الجايز » .

الجَنَائِب : (ص ١١ ، ح٦) :

ج : جَنِيبَة . وهي خيل تُقاد الى جانب الفارس ، حتّى إذا تعب ما يركبه ، يركب الجَنيبة .

الجُنَاغ : (ص ٩٩ ، ح٢) :

لفظة دخيلة معناها : ثوب مرصَّع منقَّش ، يُلْقَى على السَرْج للزينة .

جُلاَّب : (ص ٧٣ ، ح١) :

ضَرْب مِن الأشربة ، وهو العسل أو السكَّر ، عقد بوزنه أو أكثر مِن ماء الورد .

مركَّب مِن (كل) أي (وَرْد) ، ومِن (آب) أي (ماء) . وهو معرَّب .

الحُجّاب و الحَجَبَة : (ص ١١ ، ح ٢)

جَمْع : حاجب. وهو مَن يُبَلِّغ الأخبار مِن الرعيّة إلى الإمام ، ويأخذ لهم الإذن منه . وسمّي الحاجب بذلك لأنّه يحجب الخليفة أو الملك عمَّن

يدخل إليه بغير إذن .

الحَيْر : (ص ٧ ، ح ٣) :

البستان الذي يُجعل فيه أنواع الحيوان . يسمىّ بالفرنسية Jardin Zoologique وبالإنكليزية Zoo .

الخُرْدَاذيّ : (ص ٩٧ ، ح ٣) :

إناء مِن البِلَّوْر ، ذو عنق ضيّقة ، وبطن تتسع مِن أعْلَى الى أسفل ، أو هي دَبَّة لها مقبض ومنقار ، يُصَيَرّ فيها الخمر أو الزيت . ويُقال لها الخُرْدَاذِيَّة أيضاً .

خَرِيطة : (ص ١٧ ، ح ٥) :

ج : خرائط . وعاء مثل الكيس مِن أدم أو ديباج أو خرق أو ليف هندي أو خَيْش ، ونحوها . يُشْرَج على ما فيه . وقد أخرَط الخريطة إذا أشرجها ، ويُتَّخَذ لكُتُب العُمَّال ، أو للدراهم ، أو للجواهر ، فيُبْعَث بها . والمُكَلَّف بأمر الخريطة ، يُسَمَّى بِ « صاحب الخريطة » . وكان للخرائط ديوان خاصّ يُسَمَّى بِ « ديوان الخرائط » .

الخزّ : (ص ٩٠ ، ح ٢) :

الخزّ مِن الثياب ما يُنْسَج مِن صوف وإبريسم . ج : الخزوز .

الخُشْكَنَانَج : (ص ٢٨ ، ح ١) :

ما يُعْمَل مِن أنواع الفطير كالبقلاوة ونحوها[٢١] .

الدَّبابيس : (ص ٨٠ ، ح ٦) :

---

(٢١) راجع : « منهاج البيان » لابن جزلة (ص ١٥٠ ، مخطوط) ، و « المعرب » للجواليقي (ص ٥٩ ، ط . أوربة = ص ١٣٤ ط . القاهرة) و « كتاب الطبيخ » : للبغدادي (ص ٧٨) .

واحدها : الدَّبُّوس : مِن آلات الحرب . يحملها الفرسان في السروج تحت أرجلهم . ويتقاتلون بها بعد التضارب بالسيوف والرماح . وتُصْنَع عادة مِن الحديد .

الدَّبيقي : (ص ٦٨ ، ح ٤) :

منسوب الى دَبيق : بليدة كانت مِن أعمال مصر ، تُنْسَب إليها الثياب الدَبيقية الشهيرة . تُحْمَل الى جميع البلدان .

دُرَّاعة : (ص ٩٦ ، ح ٧) :

جُبَّة مشقوقة المقَدَّم ، تُعْمَل مِن الديباج أو الدَبيقي أو الصوف . يلبسها الرجال كما تلبسها المرأة .

الدَرْج : (ص ٥٦ ، ح ٤) :

ورق طويل يُلْوَى على نفسه ، ويُكْتَب فيه .

الدسْت : (ص ١٣ ، ح ٣) :

ج : الدُسُوت.ما يُهَيّأ للجلوس عليه:للخليفة أو الأمير أوالوزير وكبارالناس.

الدَّسْتَجَة : (ص ٣٦ ، ح ٣) :

إناء للشراب أو لماء الورد. تُصْنَع عادة مِن الزجاج . ج : الدَساتيج :

الدَّنّيّات : (ص ٧٩ . ح ١) :

واحدتها : الدنيّة : قَلَنْسُوَة بشكل الدَّن . — وهو « الحُمُب » عند أهل بغداد اليوم — . مُحَدَّدَة الأطراف ، طولها نحو شبرَيْن ، تُتَّخذ مِن ورق وفضّة على قصب (عيدان) ، وتغشّى بالسَواد ، وتُزَيَّن أحياناً بشقائق صفر طوال تتدلىَّ على الصدر . كان يلبسها القضاة[٢٢] عامة

(٢٢) راجع مقال « دنية القاضي في العصر العباسي » بقلم : ميخائيل عواد (مجلة « الرسالة » ١٠ [القاهرة ١٩٤٢] ص ٩٧٩ — ٩٨١ ، ١٠٠٦ — ١٠٠٧ ، ١١١٠) .

في العصور الإسلامية السالفة ، كما كان يلبسها الخطباء ، والأكابر أحياناً .

الديباج : (ص ٩٠ ، ح ٥) :

ثوب رقيق حسن الصنعة . وهو المعروف اليوم عند العراقيين بـ « القَنَوِيز ».

الرَجّالة المُصافِيَّة : (ص ٧ ، ح ٦) :

هم الجنود المحاربون الملازمون لدار الخليفة ، وفيهم الرجّالة والخيّالة .

الرُصافِيّة : (ص ٨١ ، ح ٥) :

قَلَنْسُوَة طويلة عالية ، كان يلبسها الخلفاء العباسيون ومَن ينتمي إليهم .

الرَوْشَن : (ص ١٦ ، ح ٥) :

ج : رَوَاشِن . لفظة معناها المضيء . وهي منظرة تشرف عادة على خارج البيت . وتُعرف اليوم في بغداد بلفظة « البالكون » (البالقون) .

الزُوبينات : (ص ١٦ ، ح ٤) :

مفردها : الزُوبين : الرمح القصير ، ، يُتَّخذ في الدفاع الخفيف الحركة .

السَبَذَة : (ص ٩٨ ، ح ٦) :

وعاء كالقُفَّة ، والسفط لغة فيه . وينطق به بعض العراقيين اليوم « السَبَت » .

السِدلى . السدِير[٢٣] : (ص ١٦ ، ح ٦) :

السِدِلّي : معرَّب . أصله : (سه دله) ومعناه قُبَّة في ثلاث قباب متداخلة . وعلى مر الأيام جرَت الكلمة على ألْسن الناس بـ « السِدلّي » .

والسَّدِير معرَّب . أصله سادلى وهو السِدلّي .

---

(٢٣) راجع مقال « الحيري بكمين » (السدلى والسدير) بقلم : ميخائيل عواد (مجلة « الثقافة » ٤ [القاهرة : ١٣ و ٢٠ و ٢٧ أكتوبر ١٩٤٢] ع ١٩٨ ، ص ٥ — ٨ ؛ ع ١٩٩ ، ص ١٩ — ٢١ ؛ ع ٢٠٠ ، ص ١٩ — ٢٠) .

السَقْلاطُون :(ص ٩٠ ، ح ٦):

– بفتح السين وكسرها – : ضَرْب مِن الأكسية . واللفظة يونانية (Sigillatum) يُراد بها نسيج مِن الحرير مخلوط بغزل الذهب. وقد اشتهرت بغداد بصنعه . فقيل سَقْلاطُوني بغداد .

السُكّ : (ص ١٠١ ، ح ١٠) :

طِيبٌ يُتَّخَذ مِن الرامَّك . والرامَّك – بالفتح أو الكسر – : شيء أسوَد كالقار يُخْلَط بالمِسْك لتفوح رائحته فيصير سُكاً[٢٤] .

السَوادِية : (ص ٢٤ ، ح ٣) :

نسبة الى السَواد ، وهو جنوبي العراق بنوع خاص . وهو أحسن الغَنَم لشعرها الذي يُتَّخذ منه أفخر الزلالي والبُسُط .

سِيْسَاء : (ص ٥٥ ، ح ١٢) :

الظَهر مِن الدواب : مجتمع وسطه وهو موضع الركوب .

الشاشِيَّة : (ص ٤٣ ، ح ١) :

ما يُوضَع على الرأس وتُلفّ عليه العمامة ، أو تُوضَع عليه القَلَنْسُوَة . وكانت تُصنَع في الشاش مِن ديار ما وراء النهر . فنُسِبَت إليها .

الشِحْنَة : (ص ٩ ، ح ١) :

بالكسر : مَن فيه الكفاية لضبط البلد مِن جهة السلطان . وكان منصبه في عهد العباسيين منصب حاكم بغداد وحاكم العراق معاً . واليوم يعني حارس البيدر . وبالفرنسية :(Gouverneur General). قال الجواليقي (ت : ٥٤٠هـ) : « الشِحْنَة : بكسر الشين ولاتُفْتَح : وهو أسم للرابطة مِن الخيل في البلد

---

(٢٤) انظر : « البلدان » : لليعقوبي (ص ٣٧٠ ، تحقيق : دي غويه : ليدن ١٨٩٢) ، و « حياة الحيوان » : للدميري (٢ : ٢٣٠ ، بولاق ١٢٩٢ هـ) .

لضبط أهله مِن أولياء السلطان ، وليس باسمٍ للأمير أو القائد كما تذهب إليه العامة . . والنسبة إليه شِحْنيّ وشِحْنيّة ، ولا تقل شحنكية ولا شحنهية . وهذه الكلمة عربية فصيحة واشتقاقها مِن : شحنت البلد بالخيل إذا ملأته بها ، والفلك المشحون أي المملوء[٢٥] » .

شَرَابيّ : (ص ٦٨ ، ح ٣) :

صينية يُجْعَل عليها أقداح الشراب . والذي يسعى في تقديم الأقداح يُسَمَّى شرابياً أيضاً .

الشُسْتَجَة : (ص ٧٥ ، ح ٢):

هي المنديل أو القطعة التي يُتَمَسَّح بها ، وتُسَمَّى اليوم عند العراقيين : المنديل أو الكفيّة .

شَمَامة : (ص ٩٧ ، ح ٦):

ج : شَمَّامات . كتلة مركَّبة مِن أجزاء وأفاويه قويّة الرائحة :

الشُمُوع الموكبيّة : (ص ١٠ ، ح ١):

نسبة الى المَوْكِب . وهي الشموع الضخمة التي تُوقَد في المواكب ، أي في المسير جماعات ركباناً كانوا أَم مشاة .

الصابئة المندائية : (ص ٧ م ق) :

لفظة صابئية معناها « مَن أَدَّى بالحقّ والتجأ الى الوحدانية » :

الصَنْدَل : (ص ١٠١ ، ح ١٣) :

العُود الطيّب الرائحة . يكون أحمر وأبيض وأصفر ، يُؤتَى به مِن الصين ومِن سُفالة الهند .

---

(٢٥) راجع : « تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامــة » : للجواليقي (ص ٤٨ ، تحقيق : عزالدين التنوخي . دمشق ١٩٣٦) ، و « تاج العروس » (٩ : ٢٥١ ، مادة : ش ح ن) .

الطارمة : (ص ٩٨ ، ح ٨):

قبّة تُتّخذ مِن نفيس الخشب ، وتُبطّن بأنواع الحرير والديباج والإبريسم[٢٦] . أو هي صُفّة مفتوحة ، ومعروفة بشكلها الى اليوم عند العراقيين .

الطبرزينات : (ص ١٣ ، ح ٤):

واحدها : الطّبَرْزين : ضَرْبٌ مِن الفؤوس ، كان مِن آلات القتال القديمة . يُعرف اليوم عند أهل بغداد ، بـ « الطبَر » .

الطِراز : (ص ٩١ ، ح ٥) :

الثوب المُوَشّى . ج : الطُرُز .

الطُرُز والطِرازات : (ص ٢٦ ، ح ١) :

واحدها : الطِراز . وهو الموضع الذي تُنْسَج فيه الثياب الجيّدة . وهو معرّب .

الطَوْق : (ص ٩٤ ، ح ١ و ٢) :

ما يُحاط بالرقبة ، مِن المعدن . ويلبسه الكبار وأولاد الملوك والأمراء وأصحاب الآثار العظيمة . وكان طوق الذهب في حدود سنة ٣٠٠ للهجرة ، يُخْلَع على القُوّاد المنتصرين .

الطيْلَسان : (ص ٩١ ، ح ٢) :

كساء أخضر ، لحمته أو سداه مِن صوف . يلبسه الخواصّ مِن العلماء والمشايخ . ج : الطيالسة .

العَمّاريّة : (ص ١٠٢ ، ح ٣) :

نوع مِن القبّة ، يُوضع على بغل ، ويقعد فيه شخصان كل منهما في جانب. ج : العَمّاريّات . وتُسَمّى في العراق « تختروان » و« كجاوة ».

---

(٢٦) انظر : « مروج الذهب » للمسعودي (٦ : ٤٢٦ ـ ٤٢٧ ، ط. باريس) .

العَوَامِل : (ص ٧ ، ح ٩) :
العَوَامِل مِن البقر والإبل . جَمْع عاملة . وهي التي يُسْتَقَى عليها ، وتحرث وتُسْتَعْمَل في الأشغال .

العَيْن : (ص ٢٩ ، ح ٢) :
النقد المضروب مِن المعدن ، نحاساً كان أم فِضَّة أم ذَهَباً .

غِلَالَة : (ص ٩٦ ، ح ٥) :
بالكسر . مايُلْبَس تحت الثوب وتحت الدرع أيضاً [٢٧] . ج : غلائل .

الفُتُوَّة : (ص ٤١ ، ح ٢) :
استجماع كريم الأخلاق وجميل الطباع والشجاعة والإيثار على النفس .

الفَرَجِيَّة : (ص ٩٦ ، ح ١٠) :
ثوب يُلْبَس فوق سائر الثياب ، أو يُلْقَى على الكتفَيْن إلقاءً . وله طوق وأردان طِوال ، ويكون أحياناً مفرجاً مِن القُدّام مِن أعلاه الى أسفله ، مُزَرَّراً بالأزرار .
ج : الفَرَجيات والفَرَاجي .

الفَلَك : (ص ٩٣ ، ح ٨) :
جَمْع فلكة : شيء مستدير يُوضَع على قراب السيف لتحكيم أجزائه .

قائِم السيف : (ص ٩٣ ، ح ٧) :
مايُقْبَض عليه مِن السيف – أي مقبضه – .

القَبِيعة : (ص ٩٣ ، ح ٦) :
الفضّة أو الحديدة العريضة التي تلبس أعلى القائم[قائم السيف] فتكسب السيف شكلاً مقبولاً ، وتزيد ثقله وتجعله متّزناً في قبضة المحارب .

---

(٢٧) انظر : « معجم الملابس العربية » : لدوزي (ص ٣١٩ – ٣٢٣) .

القحْف : (ص ٩٧ ، ح ٧) :
إناء مِن خشب مثل قحف الرأس ، كأنّه نصف قدح ، لشرب الخمر .
ج : أقحاف ، وقحوف ، وقِحَفَة .

القَراقِفات : (ص ٩١ ، ح ٣) :
جَمْع قَراقف . وقَراقِف جَمْع قَرْقَفَة . والكلمة إرمية مِن قَرْقَفْتا[٢٨]. وهي مِن القلانس المستديرة الضخمة التي تُلْبَس في الرأس . وكانت مِن ملبوس الفقهاء والقضاة في عهد العباسيين .

القَصَب : (ص ٩١ ، ح ٤) :
ثياب كتّان رقاق ناعمة . وغالىَ بعضهم فأَدخل فيه مطروق الذهب والفضّة ، فكان منه مانسمّيه اليوم بِ « الكَلَبْدُون » .

القَلُوس : (ص ٢٥ ، ح ٢) :
واحدها : القَلْس – بفَتح القاف وتكسر أيضاً وإسكان اللام – : حَبْلٌ ضخم مِن ليف أو مِن خُوص ، للسفينة ونحوها .

قَوْس جُلاَهِق : (ص ٨٢ ، ح ٦) :
طين مُدَوَّر كالبندق ، يرمى به عن القوس . واللفظة دخيلة .

القَيْسَرة : (ص ٣٦ ، ح ٢) :
لغةٌ في القَيْسَارِيّة . وهي محلّ عام يُباع فيه ، يكون في وسطه غالباً بركة للماء . ودكاكين او حُجَر للتجّار كالأسواق يضمّها سور واحد .
ج : قياسِر ، وقياسير ، وقَيْسَارِيّات .

الكافور : (ص ١٠١ ، ح ٤) :
ضَرْب مِن الطِيب . أصله مِن شجر بجبال بحر الهند والصين . خشبه

(٢٨) انظر : « دليل الراغبين في لغة الآراميين » للمطران يعقوب أوجين منا الكلداني (ص ٧٠٩) .

أبيض هشّ . ويوجد في أجوافه الكافور . وهو أنواع .

الكُرَاع : (ص ٢٣ ، ح ١) :

اسم يجمع الخيل نفسها ، وقيل : الكُراع : الخيل والبغال والحمير والأبقار والأغنام .

الكُنْبُوش : (ص ٩٩ ، ح ٣) :

لفظ دخيل ، معناه : مايستر به مؤخَّر ظهر الفرس وكفله .

الكُوب : (ص ٩٧ ، ح ٨) :

الكأس أو القدح ، لا عروة له .

الكُوفية : (ص ٩٧ ، ح ١) :

١ – مِن لباس الرأس .

٢ – الوَشْيِ الذي اشتهرت بصنعه مدينة الكوفة ، وكان يُحمَل منها الى الآفاق .

المأْصِر : (ص ٢٥ ، ح ٣) :

(بكسر الصاد) : سلسلة أو حبل يمُدّ على طريق أو نهر أو ميناء ، يُؤصَر به السفن والسابلة ، أي يُحبَس ليؤخذ منهم العشور . ج : المآصِر[٢٩].

مُبَطَّنَة : (ص ٩٦ ، ح ٦) :

ضرب مِن الأردية ، يُلْبَس فوق الثياب ، له بطانة قوية ثخينة .

الثوب المُثْقَل أو المُثَقل : (ص ٩٧ ، ح ٢) :

المُوَشَّى بخيوط الفضّة والذهب ، أو المُزَيَّن بالحجارة الكريمة ، فأصبح بذلك ثقيلاً .

المذابّ : (ص ٨١ ، ح ١) :

---

(٢٩) راجع كتاب « المآصر في بلاد الروم والاسلام » . تأليف : ميخائيل عواد (بغداد ١٩٤٨) .

جَمْع مِذَبَّة ، وهي مايُذَبّ به الذباب . وقد عُدَّت مِن الآلات الملوكية . ولها أرباب مِن الناس مختصّون بِحَمْلها في المواكب والحفلات . وهي غير المروحة .

المَرْكَب الذَهَب: (ص ٩٥ ، ح ١) :

السرج وما يتعلّق به .

مِرْكَن : (ص ١٨ ، ح ٣ ، ٤) :

ج : المَراكِن . وهو طشت غائر ، يُتَّخذ لحفظ البقول الطريّة والأثمار مِن أذَى الحرّ . وتُتَّخَذ المراكن مِن الرصاص ، ومِن الخزف أو الفخار ، أو مِن الخشب . وغالى أرباب النِعَم والمياسير فاتّخذها بعضهم مِن الذهب .

مَساوِر : (ص ٩٨ ، ح ٥) :

جَمْع مِسْوَر أو مِسْوَرَة : متّكأ مِن جلد .

الملْحَم مِن الثياب : (ص ٩٠ ، ح ٤) :

ما كان سَداه إبريسماً ، أي حرير أبيض ، ولحمته غيرإبريسم. بخلاف الديباج.

المَناطِق (ص ١٢ ، ح ٥ ، ٦) :

واحدتها مِنْطَقَة : ما يُشَدّ في الوسط . وعنها يعبّر أهل زماننا بـِ « الحِياصة » . والمَناطِق المحلاّة : المُرَصَّعَة با لجواهر .

النافِج والنافِجة : (ص ٩٨ ، ح ٣) :

وعاء يجعل فيه المسك . ج : النَوَافِج .

النَدّ : (ص ٩٧ ، ح ٥) :

العُود الذي يُتَبَخَّر به ، والمُطَرّى بالمسك والعنبر والبان .

النَصَف : (ص ٧١ ، ح ٢) :

مَن كان متوسّط العمر .

النِصْفيّة : (صْ ٩٨ ، ح ١) :

إناء يسع نصف رطل .

الهِلْيَوْن : (ص ١٨ ، ح ١) :

نبات طبيّ ذو منافع مختلفة . ولا تخلو [في العصور السالفة] وليمة فاخرة منــه .

هَنَاء الإبل : (ص ٢٤ ، ح ١) :

دَهن الإبل بالنفط أو القطران ونحوهما ، مِن مشاعرها أي المواضع التي يسرع إليها الجَرَب مَن الآباط والأرفاغ ونحوها .

الوَشْي : (ص ٩٣ ، ح ٣) :

ضَرْبٌ مِن الثياب المنسوجة مِن الإبريسم .

الوَهْق : (ص ٢٥ ، ح ١) :

– بفتح الواو وإسكان الهاء أو فتحها – : حَبْلٌ يُفْتَح فيه عيْن واسعة تؤخَذ بها الدابـّة .

لالَكَة : (ص ٧٥ ، ح ٤) :

ضَرْب مِن الأحذية . والكلمة دخيلة .

الرسـائل المتبـالة [٣٠]

بين الكرملي وتيـمور

(ت ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م) (ت : ١٣٤٨ هـ = ١٩٣٠ م)

البَرْش : (ص ٢٠٧ ، ح ٢٤٦) :

(٣٠) عني بتحقيقها والتعليق عليها : كوركيس عواد ، ميخائيل عواد ، جليل العطية . (مط الحكومة بغداد ١٩٧٤) .

معجون عطر ، يُركّب من الفلفل الأبيض والأسود ، وأوراق نبات القنّب ، والأفيون ، وغيرها . ويُساط بسائل حلو كالعسل . وهذه اللفظة مولّدة لم ترد في معجمات اللغة . وهي من الإرمية (بَرْشَعْثَا) بمعنى (برء الساعة) . والبرّاش آكل البَرْش[٣١] . رسالة « قمع الواشين في ذمّ البرّاشين» : (يريد آكلي البَرْش ، وفي « كشف الظنون » المبرّشين : لابن الجزّار [فرغ من تأليفها سنة ٩٨٤ هـ] :

البَنات : (ص ٤٠ ، ح ٥) :

في كتاب « التصوير عند العرب » : لأحمد تيمور (ص ٨٢) ، وفي « القاموس » : « البنات : التماثيل الصغار يُلْعَب بها » . وجاء في « ربيع الأبرار » للزمخشري ، في حديث عائشة رضي الله عنها انّهـا قالت : (قدم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من غزوة تبوك وفي سهوتي ستر ، فهبّت ريح ، فكشفت ناحية الستر عن بنات لي ، فقال : ما هذا ؟ قلتُ : بناتي . ورأى بينهن فرساً له جناحان ، فقال : ماهذا أرى وسطهن ؟ قلتُ : فرس : أما سمعت ان لسليمان خيلاً لها أجنحة ؟فضحك حتّى بدت نواجذه).

وراجع في هذا الشأن أيضاً « معالم القربة في أحكام الحسبة » : لابن الأخوة القرشي[٣٢] .

التفريع = الجغرافية : (ص ٢٢٨) :

— هل من كلمة عربية تقتل لنا كلمة جغرافية الدخيلة في لغتنا الشريفة ؟

— نعم. كنتُ قد وجدت مايسدّ مسدّها . . ،وهي التفريع أوعلم التفريع .

فقد قال اللغويون: «فَرَعَ الرجلُ الارضَ ـ بالتخفيف ـ وفرّعها بتثقيل العين ـ :

(٣١) راجع : « تذكرة داود الأنطاكي » (١ : ٦٦ ، ط . القاهرة ١٣٠٩ هـ) ، و « تكملة المعجمات العربية » لدوزي (مادة : برش) ، و « المتناعد » للأب انستاس ماري الكرملي (مخطوط . مادة : ب ر ش) .

(٣٢) (ص ٣٦ ـ ٣٧ ، كيمبرج ١٩٣٧)

جيَوَّل فيها فعَلِم علمها وعرَف خبرها » . وليست الجغرافية في أصل وَضْعها غير هذا ، . . .

فالفارع والأحسن المُفَرَّع هو الجغرافي ، والمفرَّع (على المفعولية) هو خريطة الأرض .

داعي الضمير، مُتَمِّم النِعَم ، مشيد الذِكْر : (ص ٤٨، ح ١٩) :

كانت العرب تسميّ الكلب بـ « داعي الضمير » و « متممّ النِعَم » و« مشيد الذِكرْ » ، لما يجلب من الأضياف بنباحه . والضمير الغريب . وكانوا إذا اشتدّ البرد ، وهبّت الرياح ، ولم تشب النيران ، فرّقوا الكلاب حوالي الحيّ وربطوها الى العمد لتستوحش ، فتنبح ، فتهتدي الضلال وتأتي الضياف على نباحها[٣٣] .

دبلوماسي . دبلوما . العهد . الدبلوماتيك . مُحَنّك . الحُنْكَة . حَنِيك حُنُك (ص ١٢٤ – ١٢٥) .

السياسة . العياسة . العهادة[٣٤] : (ص ١٣٧ ، ح ١٣٤)

الذَهَبِية : (ص ٢٧ ، ح ٢) :

سفينة فيها كل مريحات المعيشة ، يأوي إليها المصريون في أيّام الصيف . ليتقوا فيها حرارته . والكلمة في نظرنا تخفيف ذهابية أي سفينة يذهب بها على النيل : (الأب أنستاس) .

السُفْتَجَة : (ص ١٦٨ ، ح ١٨٦) :

الحوالة ، وهي أن تعطي مالاً لرجل ، فيعطيك خطّاً يمكنك من

(٣٣) انظر « المستطرف » للأبشيهي (١ : ٢٠٣ ، بولاق ١٢٩٢ هـ) .

(٣٤) راجع : « مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق » ٣ [١٩٢٣] ص ١١٩ – ١٢١) .

استرداد ذلك المال مِن عميل له في مكان آخر . ج : سفاتج . والكلمة دخيلة .

شقاع : (ص ١٨٧ ، ح ٢١٩) :

ج : الشقاعات . وهو الوطاء إذا كان مِن ألوان أو لون واحد . ويبسطون الشقاع ويُصَلّون عليها .

ووردت الكلمة بصورة : السقاع بالسين المهملة . وكذلك الصقاع بالصاد .

كَلْبة النار : (ص ٢٣١ – ٢٣٢) :

شرحها صاحب « اللسان » بقوله : « الكتيفة : كلبة النار بالمفرد لابالمثنىّ ».

الماشة = الشُبّات : (ص ٢٣٢) :

أمّا « ماشة » فإن لم تكن تركية أو فارسية أو تخفيف المحشّة ، فانّها تخفيف الكَمّاشة ، لأن البغداديين يُسَمّونها تارة ماشة وتارة كَمّاشة . وكمش عندهم ، جاء بمعنى قبض على الشيء . أمّا اسمها العربي الفصيح فهو الشُبّات – كرُمّان – ، أو الشَبُّوث – كتنّور – ، وجَمْع كليهما : شبابيث .

المُزَملة : (ص ١١٧ ، ح ١٢٢) :

مازالت لفظة « المُزَمَّلَة » معروفة عند أهل الموصل . ويريدون بها إناءً كبيراً مِن الرخام أو مِن الصخر المعروف بالحِلاّن . وهي تُنْحت وتُنْقر مِن قطعة كبيرة بشكل متوازي المستطيلات المجوّف . لايقلّ طول ضلعها الكبير عن متر . ويَخْزَن فيها الماء فتبرّده. وفي أسفلها ثقب صغير ، يُنْتَح حين يُراد تصريف الماء منها . ويَتّخذون لها غطاءً مِن الصخر نفسه ، ذا فتحة مستديرة لأخْذ الماء مِن المُزَمَّلَة .

أما عند أهل بغداد ، فهي جرّة أو خابية خضراء في وسطها ثقب ، مركب فيه قصبة فضّة أو رصاص يُشْرَب منها .

وكلمة « المُزَمَّلَة » لم تزل شائعة في بغداد . وقد حُرِّفت فأصبحت « مزمبلة » . وتُطلَق على قصبة الحديد أو الرصاص التي ينصبّ منها الماء .

مَطَرِيّ : (ص ٧٣ — ٧٤ ، ح ٦٥) :

يبدو انّ لفظة « مَطَرِي » مِن الألفاظ التي كانت شائعة في ذلك العصر ، ويريدون بها المعطف الذي يلبسه الناس وقت المطر ، كي لاتبلّل ملابسهم . وقد عُرِف في كثيرٍ مِن المصادر العربية القديمة بصورة « المِمْطَر » وجَمْعه « المَماطِر » ففي « ثمار القلوب في المضـاف والمنسوب » للثعالبي (ص ٤٣٢ ، ط ١ = ص ٥٤٤ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم) ،قوله: « . . . ولهم المماطر المُشَمَّعَة التي لاتبتل على الأمطار الكثيرة . وفي « ديوان البحتري » (١ : ١٨٥ ، ط . الجوائب) : ستة أبيات يمدح بها الحسين بن الحسن بن سهل ، ويسأله ممطراً . وفي « الفرج بعد الشدّة » للتنوحي (٢ : ١٥) قوله : « ممطر خزّ». وفي « مروج الذهب » للمسعودي (٢ : ٤٢٤ ، ط . مصر) قوله في خبر جرى في أيّام المتوكلّ : « . . . ركب وعليه ممطر . . . » .

المَعْلَمَة : (ص٩٩، ح ١٠١) ، (ص١٠٥) ، (ص ١٠٩ — ١١٠) :

بمعنى الكتاب الحاوي لأنواع العلوم والفنون[٣٥] .

. . .المَعْلَمَة هي التي سَمَّاها بعضهم (دائرة معارف) وهو تعريب لفظي لكلمة انسكلوبيذية الإفرنجية ، لكنّها في العربية لاتفيد فائدة المَعْلَمَة . وسماّها بعضهـم « كتاب موسوعات » مُصَحِفاً إياها لكلمة « كتاب موضوعات العلوم » وهـو اسم كتاب طاشكبري زاده . وأوّل مَن وهم هذا الوهم الشيخ ابراهيم اليازجي ، فتأثّره المقلّدون .

---

(٣٥) راجع : مجلة « لغة العرب » (٣ [بغداد ١٩١٣] ص ١٤٦ — ١٤٨) ، و « مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق » (٣ [١٩٢٣] ص ١١٦ — ١٢١).

(Fresque) ، النقش . التزويق على الحيطان = الظَلْم . البَيْت المُظَلَّم :
(ص ٢٢٨ – ٢٢٩) :

ماقولك[٣٦] في ما يقابل كلمة (Fresque) الإفرنجية . فهـل عرَف العرب هذا النوع من النقش أو التزويق على الحيطان ، أي عرفوا أن يصوّروا على الحيطان صوراً مُلَوَّنة منقوشة حتى لاتنزع عنها . . .

نعم انّ العرب فعلت ذلك . . . وقد فعل ذلك أيضاً خلفاء بني العبّاس في قصورهم وصروحهم التي بنوها في سامراء ، . . . وهذا النوع من التصوير أو البرقشة أو النقش أو التزويق ، ... سَمَّتْهُ (الظَلْم) – بفتح وسكون – ، وظَلَّمَ البَيْتَ : إذا صَوَّر عليه التصاوير وزَوَّقه بها . والبيت المُظَلَّم : المُزَوَّق بهذه الصُوَر .

... وعندي انّ المُظَلَّم مشتقّ مِن ظَلَّم وظَلَّم مأخوذ مِن الظَلْم . والكلمة إرمية الأصل فهي في هذه اللغة (صَلْمَا) ومعناها الصورة والمثال والتمثال إلى ما يضارع هذا المعنى . فعرّبوا الصاد ظاء ، كما وردت مُثُلُهُ كثيراً في اللغتَيْن المذكورتين . ومِن كلمة (صَلْمَا) أيضاً اشتقّ العرب كلمة (الصَنَم) ومعناه « المِثال المصوَّر »[٣٧].



(٣٦) الكلام هاهنا : للأب انستاس ماري الكرملي .
(٣٧) راجع : مجلة « لغة العرب » (٥ [بغداد ١٩٢٧] ص ٤٩٦) .

الكناية

الدكتور محمد جابر فياض

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

الكنـاية لغـة :

الكاف والنون والحرف المعتل تدل على عدول عن لفظ إلى آخر دال عليه .

قال الخليل ت ١٧٥ هـ : كنى فلان عن الكلمة المستفحشة يكني : إذا تكلم بغيرها مما يستدل به عليها ، نحو الرفث والغائط ونحوه (١)

وقال ابن فارس ت ٣٩٥هـ . يقال كَنَّيْتُ عن كذا بكذا : إذا تكلمت بغيره مما يستدل به عليه (٢) .

وقال الفيومي : الكناية : أن تتكلم بشيء يستدل به على المكنى عنه (٣) .

غير أن الجوهري ت ٣٩٦ هـ قال : الكناية : أن تتكلم بشيء وتريد به غيره (٤) ويبدو أنه لم يشترط دلالة المكنى به على المكنى عنه ، لكونها لازمة للكناية ، لا قوام لها بدونها . إذ المكني .. لا يعمد الى مالا دلالة له على المكنى عنه . ولهذا فسر ابن منظور ت ٧١١هـ ما جاء به الجوهري بما جاء به الخليل ، وكأن القولين قول واحد ، مع أن أحدهما مقيد بهذه الدلالة ، والآخر غير مقيد بها فقال : والكناية أن تتكلم بشيء وتريد به غيره . وكنّى عن الأمر بغيره ، يكني

---

(١) العين ـ مادة ـ كنى .

(٢) المقاييس ـ المادة ذاتها .

(٣) المصباح ـ المادة ذاتها .

(٤) الصحاح ـ المادة ذاتها .

كناية . يعني : إذا تكلم بغيره مما يســتدل به عليه ، نحو الرفث والغائط ونحوه (٥) .

وذهب الفيروزابادي ت٧٢٩ ه الى إمكان تفسير الكناية بأي من هذين القولين ، مقدماً ما اشترطت فيه الدلالة على مالم تشترط فيه فقال : كنى به عن كذا يكني ، ويكنو كناية : تكلم بما يستدل به عليه أو أن تتكلم بشيء وتريد به غيره (٦) .

ومهما يكن من شيء ، فانّ تقييد المكنى به بالدلالة على المكنى عنه أولى من اطلاقه ، كي لايفهم من الكناية مجرد العدول عن لفظ الى غيره ، فتختلط بغيرها من الاساليب كالتورية أو الرمز أو المجاز .

وقد خلط قسم من اللغويين بينها وبين التورية — مع مابينهما من فارق — ومثل إحداهما بالأخرى ؛ فقال ابن فارس معقباً على قول الشاعر :

وإني لأكنو عن قذور بغيرها

وأعربُ أحياناً بهــا فأصَرِّحُ

: ألاتراه جعل الكناية مقابلة للمصارحة ؟ ولذلك تسمى الكنية كنية ، كأنها تورية عن اسمه (٧) .

ولم يكتف بهذا التمثيل ، بل انتهى إلى أن « الكاف والنون والحرف المعتل يدل على تورية عن اسم بغيره » (٨) . لذا فلا غرابة في أن يقول ابن منظور : « الكنى جمع كنية ، من قولك : كنيت عن الأمر ، وكنوت عنه : إذا

(٥) اللسان ــ المادة ذاتها .
(٦) القاموس ــ المادة ذاتها .
(٧) المقاييس ــ مادة كنى .
(٨) الموضع نفسه .

ورّيت عنه بغيره . . . . وقد تكنى ، أي : تستر ، من كنى إذا ورّى ، أو من ذكَرَ كنيته ليُعْرَفَ (٩) .

وهكذا انتهى غير واحد من اللغويين فيها ، إلى غير ما كانوا قد أجمعوا عليه – أو كادوا يجمعون – من أنها العدول عن لفظ الى آخر دالٍ عليه وفسروها بالتورية التي أجمعوا على أنها من الستر والاخفاء .

وفات هؤلاء أن العدول عن ذكر اللفظ ، لايعني بالضرورة إخفاءه وستره ، كما لايعني إبرازه وإظهاره ، وإنما هو مجرد تركه ، والاعراض عنه لا أكثر . فلا أثر للمتكلم فيه . أما ستره وإخفاؤه فأثر المتكلم واضح فيه ، وتغييره من حال كان عليها إلى أخرى آل إليها أوضح .

ومن هنا فاللفظ في الكناية ليس بالواضح وضوح المذكور صراحة ، ولا هو بالخفي الذي أخفي عن عمد وقصد ، فلا تكاد تتبينه إلا بتدقيق وإمعان نظر . فهو أشبه مايكون بالمكسو بثوب رقيق ، يشف عما تحته ، فلا هو مستور ، ولا هو عارٍ . أمّا المورى عنه فمكسو بكساء ساتر يستره ويخفيه ، ولهذا يعمد الى التورية عند إرادة الاخفاء والايهام والتضليل ، بخلاف الكنى ، إذ هي دالة على أصحابها دلالة الأسماء على مسمياتها . ولولا هذه الدلالة – التي غفل عنها هؤلاء اللغويون – لما عدل الناس عن الاسماء إليها . فقولنا أبو حفص وأبو الحسن ، كقولنا عمر وعلي رضي الله عنهما . ومن الكنى ما قد طغت على اسماء أصحابها كأبي بكر رضي الله عنه . فالكنى والأسماء كالمترادفات في الدلالة على أصحابها .

فالكناية إذاً دالة على ماعدل عنه ، جيء بها لتدل ، لالتخفي وتوهم وتضلل ، فهي عدول مدلول عليه بما عدل إليه .

---

(٩) اللسان – المادة ذاتها .

والبيت الذي استدل به ابن فارس ، لادليل له فيه على ماذهب اليه ، إذ لو أراد الشاعر التورية والايهام والتضليل لما ذكر اسمها صراحة في صدر بيته ، ولما قال في عجزه « وأعرب أحياناً بها فأصرح »

ويبدو لي أنه أراد أن يقول إن تمكن الحب بينهمابلغ حد الافتضاح والاشتهار ، فعرف بها وعرفت به ، واستوى التصريح باسمها والعدول عنه لكونهما سيان ، ولكثرة لهجه بها .

وأما ماعقب بهابن منظور على قول القائل : [« رأيت علماً يوم القادسية وقد تكنى » : أي تستر ، من كنى إذا ورى ، أو من ذكر كنيته ليعرف] فقد أصاب في الثاني ، وجانب الصواب في الأول . إذ لماذا يتستر وهو علم من أعلام القادسية ، وبطل من أبطالها ؟؟ وممن يتستر ؟ ؟

وليوث الحرب ، وأبطال المعارك وأعلامها يزمجرون بأسمائهم وكناهم وألقابهم عندما يكرون على أعدائهم ، ليشيعوا الرعب في نفوسهم.

من هذا كله يمكننا الانتهاء الى أن الكناية ـ لغة ـ عدول عن لفظ الى آخر دال عليه ، وليست شيئا آخر.

الكناية من المعنى اللغوي الى الاصطلاحي

روي في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم :

« من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا » (١٠) ومنه يتضح أن الكناية تعني العدول عن لفظ إلى آخر دال عليه ، وأن الناس كانوا قد اعتادوا أن يكنوا ، أو يعدلوا عما لايليق ذكره ، إلى مايليق .

وإذا كان الأمر كذلك فليس هناك مايدعو لاسباغ الفضل على هذا العالم

(١٠) النهاية ـ ٣/١١٩ ، كشف الخفا ـ ٢/٢٤ وفيه ، قال النجم : رواه احمد والنسائي وابن حبان عن أبي بن كعب. [illegible]

- من علمائنا الأوائل - أو ذاك ، وإعطائه الأولية في الاشارة إلى الكناية ودلالتها ، نحوياً كان أو بلاغياً ، أو أصولياً ، أو مفسراً أو أديباً ، وإن كانت إشاراتهم إليها ، وأقوالهم فيها قد طورت دلالتها اللغوية ، حتى انتهت بها إلى الاصطلاحية .

ومن هنا كان لابد من الوقوف على هذه الأقوال مع تباين مصادرها .

ولقد ورد عدد غير قليل من الكنايات في القرآن الكريم ، وتضمنت اكثرها أحكاماً شرعية ، وكانت مثار استفسار الصحابة واستيضاحهم واختلافهم فيما أريد بها ، كقوله تعالى :

« . . حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود » [١٨٧ البقرة ٢]
إذ عمد عدي بن حاتم إلى وضع خيط أبيض ، وآخر اسود تحت وسادة كيما يتبين بهما وقت الامساك ، أخذاً منه بظاهر الآية . فما أن ذكر ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم حتى قال له : إن وسادك إذاً لعريض ، إنما هما بياض النهار ، وسواد الليل (١١) .

وقوله تعالى فيما ينقض الوضوء : « أو لامستم النساء » [٤٢ النساء ٤] حيث سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الملامسة فيها فقال :
إنها الجماع (١٢) .

فكان لزاماً على المفسر أن يشير إلى مافي القرآن الكريم من كنايات ويوضح حقيقة ماأريد بكل منها . فسبق المفسرون غيرهم من العلماء في هذا الشأن .

ويمكن أن يُعَد ابن عباس ت ٦٨ هـ من أوائل هؤلاء المفسرين ، فقد أشار الى عدد من كنايات القرآن ، وذكر ماكني عنه في كل منها ، وعللها

---

(١١) الدارمي ٢/٥ ، الفائق ٤/٦٠ .
(١٢) الطبري - ٥/٦٥ .

بكرم الله ، وتعففه ، ومشيئته ؛ فقال في قوله تعالى : « أو لامستم النساء » [٤٢ النساء ٤] المس واللمس والمباشرة : الجماع ، ولكن الله يعف ويكنى ماشاء بما شاء » (١٣) وفي قوله تعالى : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم » [١٨٧ البقرة ٢] الرفث : الجماع ، ولكن الله كريم يكني » (١٤) وفي قوله « فالآن باشروهن » [١٨٧ البقرة ٢] المباشرة : الجماع ولكن الله يكنى ماشاء بما شاء » (١٥) وفي قوله : « فلا رفث . . » [١٩٧ البقرة ٢] الرفث هنا غير الرفث الذي ذكر في « أحل لكم ليلة الصيام الرفث . . » [١٨٧ البقرة ٢] فهو من التعريض بذكر الجماع ، وهو من العرابة في كلام العرب ، أي أدنى الرفث » (١٦) .

وقد نهج نهجه اكثر المفسرين الأقدمين بعده مثل مجاهد ت ١٠٣ هـ ، وقتادة ت ١١٧ هـ والسُّدِّي ، والضحاك وغيرهم (١٧) .

أما اللغويون والنحاة ، فقد أطلقوا الكناية على كل عدول عن صريح اللفظ إلى ما دل عليه من الضمائر والكنى واسماء الاشياء والأعداد .

فأطلقها أبو عمرو بن العلاء ت ١٥٤ هـ على الضمير لحلوله محل الاسم الصريح ، ودلالته عليه ، فقال : « لاتضاف (تبشرون) إلابنون الكناية ، كقولك : (تبشرونني) (١٨) .

---

(١٣) الطبري ـ ٦٥/٥ .
(١٤) الطبري ـ ٦٤/٢ .
(١٥) الطبري ـ ٩٧/٢ .
(١٦) الطبري ـ ١٥٤/٢ .
(١٧) الطبري ـ انظر المواضع السابقة ذاتها ، و ٢٣٢/٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧ وغيرها .
(١٨) مجاز القرآن ـ ١٣/١ .

وقد وقفنا على قول الخليل ت١٧٥ هـ : (. . كنى فلان عن الكلمة المستفحشة يكني : إذا تكلم بغيرها مما يستدل به عليها نحو الرفث والغائط ونحوه) (١٩) فذكر الكناية ودلالتها ، وأبرز دافع من الدوافع التي تدفع إليها وذكر سيبويه ت١٨٠ هـ تكنية العرب بفلان وفلانة – من غيرما ألف ولام – عن اسماء المتحدث عنهم من الآدميين ، وبالألف واللام في تكنيتهم عن غير الآدميين فقال :

« . . . هذا فلان بن فلان ، لأنه كناية عن الأسماء التي هي علامات غالبة فأجريت مجراها . . . فاذا كنيت عن غير الآدميين قلت : الفلان ، والفلانة ، والهن والهنة ، جعلوه كناية عن الناقة التي تسمى بكذا ، والفرس الذي يسمى بكذا ، ليفرقوا بين النوعين » (٢٠)

ومَثَّلَ (كم) في الكناية عن العدد بفلان وفلانة في الكناية عن الاسماء فقال :

« وذلك قولك : له كذا وكذا درهما ، وهو مبهم في الأشياء بمنزلة (كم) وهو كناية للعدد ، بمنزلة (فلان) إذا كنيت به في الاسماء » (٢١) وهكذا أطلق سيبويه الكناية على علامة المضمر من اسماء الآدميين وغير الآدميين والأعداد .

وأطلقها الفراء ت ٢٠٦ هـ على الضمائر أيضاً (٢٢) وأشار إلى عدد من كنايات القرآن ، وذكر في بعضها ماحكاه ابن عباس فيها ، فقال في قوله تعالى

---

(١٩) انظر في هذا البحث – ١ .

(٢٠) الكتاب – ١٤٨/٢ .

(٢١) نفسه – ٢٩٧/١ .

(٢٢) معاني القرآن – ١٩/١ ، ٥٠ ، ٣٣٥ ، وغيرها .

: « ولكن لا تواعدوهن سراً » [٢٣٥ البقرة ٢] « يقول لا يصفن أحدكم نفسه من عدتها بالرغبة في النكاح والاكثار منه

عن ابن عباس أنه قال : السر – في هذا الموضع – النكاح . . .

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وألا يشهد السر أمثالي

قال الفراء : ويرى أنه مهل كنّى الله عنه . قال « أو جاء أحد منكم من الغائط) [٤٢ النساء ٤] (٢٣) .

وقال في قوله تعالى : (... سمعهم وأبصارهم وجلودهم) [٢٠ البسجلة] (الجلد – هاهنا والله أعلم . . . وهو ماكنى عنه ، كما قال : (ولكن لا تواعدوهن سراً) [٢٣٥ البقرة ٢] يريد النكاح ، وكما قال : « أو جاء أحد منكم من الغائط) [٤٢ النساء ٤] والغائط : الصحراء (٢٤) .

وذهب أبو عبيدة ت ٢٠٩ هـ إلى مثل ما ذهب إليه الفراء ، فأطلق الكناية على الضمائر كلها : ضمائر المتكلمين والمخاطبين والغائبين ، خلافاً لما ذهب إليه الدكتور بدوي طبانة ، وتابعه فيه الدكتور حفني شرف من اطلاقه الكناية على ضمير الغائب دون غيره (٢٥) وليس أدل على هذا من قوله في قول الله سبحانه وتعالى : (إياك نعبد) [٣ الحمد] (إذا بدئ بكناية المفعول قبل الفعل جاز الكلام ، وإن بدأت بالفعل لم يجز ؛ كقولك : نعبد إياك) (٢٦) .

ووقف على عدد من كنايات القرآن الكريم اكثر مما وقف عليه الفراء ، وذكر لفظ الكناية صراحة في طائفة منها ، كقوله تعالى :

« أو جاء أحد منكم من الغائط » [٤٢ النساء ٤] حيث قال : (كناية عن حاجة

---

(٢٣) نفسه – ١/١٥٣ .
(٢٤) نفسه – ٣/١٦ .
(٢٥) البيان العربي – ٢٤ ، الصور البيانية – ٣٨٢ .
(٢٦) مجاز القرآن – ١/٢٤ .

ذي البطن ، والغائط : الفيح من الأرض ، وهو أعظم الوادي) (٢٧)
وكرر ايراد الآية في موضع آخر من كتابه وقال : (كناية عن اظهار لفظ قضاء الحاجة في البطن . وكذلك « أولامستم النســاء » [٤٢ النساء ٤] كناية عن الغشيان) (٢٨) وشرح طائفة منها شرحاً لا ينصرف إلى غير الكناية ، من غير أن يصرح بذكرها كقوله في الآية (ولكن لاتواعدوهن سراً) [٢٣٥ البقرة ٢] (السر : الافضاء بالنكاح . قال الحطيئة :

ويجرم ســـر جارتهم عليهم
ويأكل جارهم آنف القصاع

وقال رؤبة بن العجاج :

فعَفَّ عن اسرارها بعد الغسق .

يعني غشيانها ، أراد الجماع . وقال امرؤ القيس :

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني
كبرت وألا يحسن السر أمثالي) (٢٩)

وفي قوله تعالى (انقلبتم على أعقابكم) [١٤٤ آل عمران ٣] قال : « كل من رجع عما كان عليه فقد رجع على عقبيه) (٣٠) .

وفي قوله تعالى : « فأصبح يقاب كفيه على ما أنفق فيها . . » [٤٢ الكهف ١٨]

قال : (أي أصبح نادماً . والعرب تقول ذلك للنادم : أصبح فلان يقاب كفيه ندماً وتاهفاً على ذلك ، وعلى مافاته) (٣١)

---

(٢٧) نفســه ــ ١٢٨/١ .
(٢٨) نفســه ــ ١٥٥/١ .
(٢٩) نفســه ــ ٧٥/١ ــ ٧٦ .
(٣٠) نفســه ــ ١٠٤/١ .
(٣١) مجاز القرآن ــ ٤٠٤/١ .

واكثر من هذا وذاك ، فانه ذكر اكثر مايكنى به عن امرأة الرجل ، فقال في قوله تعالى : « هنّ لباس لكم . . » [١٨٧ البقرة ٢]: (يقال لامرأة الرجل : هي فراشه ، ولباسه ، وإزاره ، ومحل إزاره .

قال النابغة

• تثنت عليه فكانت لباساً • (٣٢)

كما ذكر مايكنى به عن عون المرء وناصره في قوله تعالى :

« وما كنت متخذ المضلّين عضدا » [٥١ الكهف ١٨] فقال :

« ويقال فلان عضـــدي ، أي : ناصري ، وعـزي ، وعوني ، ويقال : عاضد فلان فلاناً ، وقد عضده ، أي : قوّاه ونصره) (٣٣) ولكنه مع هذا كله عـَـدَّ قوله تعالى: « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك . . » [٢٩ الاسراء ١٧] مثلاً وتشبيها ، مع أنه تحدث عن هذه الكناية ، حديثه عن غيرها من كنايات القرآن فقال : (مجازه في موضع قولهم : لاتمسك عمـــا ينبغي لك أن تبذل من الحق ، وهو مثل وتشبيه) (٣٤) وليس هناك مايحول دون اتخاذ الكنايات من التمثيلات والتشبيهات والأمثال .

ولهذا عد أبو عبيد القاسم بن سلام ت ٢٢٤ هـ الأمثال كنايات ومعاريض فقال :

« هذا كتاب الأمثال ، وهي حكمة العرب في الجاهلية والاسلام ، وبها كانت تعارض كلامها ، فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في النطق ، بكناية غير تصريح ، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال :

---

(٣٢) نفسه ــ ١/٦٧ .
(٣٣) نفسه ــ ١/٤٠٦ .
(٣٤) نفسه ــ ١/٣٧٥ .

ايجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه . .) (٣٥) وخصص في كتابه (الأمثال) : باباً بعنوان :

« باب التعريض بالشيء يبديه الرجل ، وهو يريد غيره » جاء فيه قوله :
(أبو زيد والاصمعي قالا : من أمثالهم في هذا قولهم) .

« عن صبوح ترقق » .

قال أبو عبيد : وكان المفضل يخبر بأصله ، قال : كان رجل نزل بقوم فأضافوه ، وغبقوه ، فلما فرغ قال : إذا صبحتموني فكيف آخذ بحاجتي ؟؟ فقيل له عند ذلك : عن صبوح ترقق ؟ ؟ والصبوح هو الغداء ، والغبوق هو العشاء ، وإنما أراد الضيف بهذه المقالة أن يوجب الصبوح عليهم ، فصار مثلاً لكل من كنى عن شيء وهو يريد غيره

وقد روي هذا المثل عن عامر الشعبي ، أنه قاله لرجل سأله عمن قَبَّلَ أمَّ امرأته ، فقال : أعن صبوح ترقق ؟؟ حرمت عليه امرأته .

قال أبو عبيد : ظن الشعبي — فيما أحسب — أنه أراد غير القُبلة فكنى بها عن ذلك . (٣٦) كما ذهب غير أبي عبيد الى مثل ما ذهب إليه (٣٧) .

ومهما يكن من شيء فان أبا عبيدة والفراء كانا قد ذهبا في الكنايات القرآنية خاصة الى مثل ماذهب إليه المفسرون فيها غير أن أبا اسحاق النظام ت٢١٦هـ كان قد حمل على كثير من المفسرين الذين عاصروه وسبقوه لشغفهم — على ماذهب إليه — بغريب التأويل من غير ما ضرورة ، ولا سند لما تأولوه ، ونقل الجاحظ ت٢٥٥هـ موقفه هذا منهم فقال : (كان أبو اسحاق يقول : لا تسترسلوا إلى

---

(٣٥) الامثال — المقدمة — ٣٤ .
(٣٦) الامثال — ٦٤ — ٦٦ .
(٣٧) انظر ما ذهب اليه الرامهرمزي في أمثال الحديث وتجده في هامش ٦٢ من هذا البحث .

كثير المفسرين ، وإن نصبوا أنفسهم للعامة ، وأجابوا في كل مسألة . فان كثيراً منهم يقــول بغيــر روية ، وعــلى غيــر اساس .

وكلما كان المفسر أغرب عندهم ، كان أحب إليهم . وليكن عندكم عكرمة ، والكلبي ، والسّدّي ، والضحّاك ، ومقاتل بن سليمان وأبو بكر الأصم في سبيل واحدة . فكيف أثق بتفسيرهم واسكن الى صوابهم ، وقد قالوا . . . . .

وقالوا في قوله تعالى :

« وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا » [٢١ فصلت ٤١] الجلود كناية عن الفروج ، كأنه لايرى أن كلام الجلد من أعجب العجب .

وقالوا في قوله تعالى : « كانا يأكلان الطعام » [٧٥ المائدة ٥] إن هذا إنما كان كناية عن الغائط ، كأنه لايرى في الجوع ، وما ينال أهله من الذلة والعجز والفاقة ، وأنه ليس في الحاجة الى الغذاء ما يكتفى به في الدلالة على أنهما مخلوقان ، حتى يدعي على الكلام ، ويدعي له شيئا قد أغناه الله تعالى عنه .

وقالوا في قوله تعالى : « وثيابك فطهّر » [٤ المدثر ٧٤] إنه إنما عنى قلبه . . . . . وليس يؤتى القوم إلا من الطمع ، ومن شدة اعجابهم بالغريب من التأويل .) (٣٨) .

ولئن كان للنظام الحق في الوقوف عند المعاني الظاهرة لطائفة من هذه الآيات وأمثالها، فان للمفسرين في ذهابهم الى ما تلاها من المعاني مثل ماله من الحق أو اكثر في غير قليل منها .

وتحدث الجاحظ ت ٢٥٥ هـ عن الكناية أحاديث متفرقة في اكثر من مؤلف من مؤلفاته ، وأبدى غير قليل من الملاحظات الدقيقة الصائبة فيها ، وفي الدوافع التي تدفع إليها فقال :

---

(٣٨) الحيوان ـ ١/٣٤٣ ـ ٣٤٦ .

« والرزق اسم جامع لجميع الحاجات ، وقد يستعمل الناس الكناية ، وربما وضعوا الكلمة بدل الكلمة ، يريدون أن يظهروا المعنى بألين اللفظ ، إما تنزهاً ، وإما تفضلاً ، كما سمّوا المعزول عن ولايته مصروفاً ، والمنهزم عن عدوه منحازاً . نعم حتى سمّى بعضهم البخيل مقتصداً ومصلحاً ، وسمي عامل الخراج المتعدي بحق السلطان مستعصياً » (٣٩) .

وقال : « وربما كان اسم الجارية غُلَيِّم أو صُبَيَّة أو ماشبه ذلك ، فاذا صارت كهلة ، وعجوزاً شهلة ، وحملت اللحم ، وتراكم عليها الشحم ، وصار بنوها رجالاً ، وبناتها نساء ، فما أقبح أن يقال لها : ياغُلَيِّم كيف أصبحت ؟ وياصُبَيَّة كيف أمسيت ؟؟

ولأمر ماكَنَّتْ العرب البنات ، فقالوا : فعلت أمُّ الفضل ، وقالت أمُّ عمرو ، وذهبت أم حكيم . نعم حتى دعاهم ذلك الى التقدم في تلك الكنى . وقد فسرنا ذلك كله في كتاب الاسماء والكنى والألقاب والانباز » (٤٠) .

وقال : « . . . . . وعلى ذلك سمت الرعية بنيها وبناتها بأسماء رجال الملوك ونسائهم ، وعلى ذلك صار كل علي يكنى بأبي الحسن ، وكل عمر يكنى بأبي حفص ، واشباه ذلك . . . . » (٤١) .

وقال : « ومن البرصان الأشراف من الملوك جذيمة بن مالك ، صاحب الزباء وقصير ، وكان يقال له جذيمة الأبرص ، فلما ملك قالوا على وجه الكناية : جذيمة الأبرش . فلما عظم شأنه قالوا : جذيمة الوضاح ، ولم يقولوا : جذيمة الأوضح ، لأنهم يضعون هذا الاسم في موضع الكناية عن الأبرص وذلك كثير ، وليس في الأرض أبرص يقال له الوضاح غير جذيمة ، ومن يقال له الأوضح كثير .

---

(٣٩) النساء ــ ٢٤٨ .
(٤٠) البيان والتبيين ــ ١/١٤٦ ــ ١٤٧ .
(٤١) الحيوان ــ ١/٣٢٦ .

والكناية إذا طال استعمالهم لها صارت كالأوضاح) (٤٢)

وقال في الانتقال من المكنى عنه الى المكنى به :

« . . . ومثل التيمم . قال الله تعالى : « فتيمموا صعيداً طيباً » [٦ المائدة ٥] أي تحروا ذلك وتوخوه . وقال : « فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه » [٦ المائدة ٥] فكثر هذا في الكلام ، حتى صار التيمم هو المسح نفسه . وكذلك عادتهم وصنيعهم في الشيء إذا طالت صحبتهم وملابستهم له . وكما سموا رجيع الانسان الغائط ، وانما الغيطان : البطون التي كانوا ينحدرون فيها ، إذا أرادوا قضاء الحاجة للستر .

ومنها العذرة : وانما العذرة الفناء ، والأفنية هي العذرات ، ولكن لما طال القاؤهم النجو والزبل في أفنيتهم ، سميت تلك الاشياء التي رموا بها باسم المكان الذي رميت به .

ومنه النجو ، وذلك أن الرجل كان إذا أراد قضاء الحاجة تستر بنجوة والنجوة الارتفاع من الأرض . قالوا من ذلك : ذهب ينجو ، كما قالوا : ذهب يتغوط ، إذا ذهب إلى الغائط لذلك الأمر ، ثم اشتقوا منه ، فقالوا إذا غسل موضع النجو : قد استنجى .

وقالوا : ذهب الى المخرج ، وإلى المتوضأ ، وإلى المذهب ، وإلى الخلاء وإلى الحش ، وإنما الحش : القطعة من النخل ، وهي الحشان ، وكانوا بالمدينة إذا أرادوا قضاء الحاجة ؛ دخلوا النخل لان ذلك استر . فسموا المتوضأ : الحش ، وإن كان بعيداً عن النخل . كل ذلك هرباً من أن يقولوا : ذهب للخرء ، لأن الاسم الخرء . وكل شيء سواه من حُش ٍ ورجيع ، وبراز ، وزبل ، وغائط فكله كناية . . .

(٤٢) البرصان ــ ٧٣ .

ومن ذلك قولهم في البغي المكتسبة بالفجور قحبة ، وإنما القحاب السعال وكانوا إذا أرادوا الكناية عمن زنت ، فتكسبت بالزنى ، قالوا قحبت أي سعلت ، كناية .

وكذلك كنايتهم في انكشاف عورة الرجل، يقال : كشف علينا متاعه وعورته وشواره . والشوار المتاع ، وكذلك الفرج ، وإنما يعنون الأير والحر والاست (٤٣) .

وذكر نوعاً آخر من الكناية لم يكن الدافع اليه التعظيم أو الهروب مما لا يليق ذكره الى ما يليق وإنما هو للتلطف والدقة فيه فقال .

« حدثني ابراهيم بن السندي قال : بينا الحسن اللؤلؤي في بعض الليالي بالرقة يحدث المأمون — والمأمون يومئذٍ أمير — إذ نعس المأمون ، فقال له اللؤلؤي : نمت أيها الأمير ؟ ففتح المأمون عينيه وقال : سوقيٌّ والله ،خذ ياغلام بيده . قال : وكنا يوماً عند زياد بن محمد بن منصور بن زياد ، وقد هيأ لنا الفضل ابن محمد طعاماً ، ومعنا في المجلس خادم كان لأبيهم ، فجاء رسول الفضل إلى زياد فقال : يقول لك أخوك : قد أدرك طعامنا فتحوّلوا .

ومعنا في المجلس ابراهيم النظام ، وأحمد بن يوسف ، وقطرب النحوي في رجال من أدباء الناس وعلمائهم ، فما منا أحد فطن لخطأ الرسول .

فأقبل مبشر الخادم ، فقال : ياابن اللخناء ، تقف على رأس سيدك فتستفتح الكلام كما تستفتحه لرجل من عُرْض الناس ؟ ألا تقول : ياسيدي ، يقول لك أخوك : نرى أن تصير إلينا باخوانك ، فقد تهيأ أمرنا (٤٤) .

وليس في النوم والطعام مايهرب منه ، ولكنّ مغالبة النعاس أفضل من التصريح بالنوم وألطف ، وكذا تهيؤ الأمر من تهيؤ الطعام .

---

(٤٣) الحيوان — ٣٣٢/١ — ٣٣٤ .
(٤٤) الحيوان — ٣٣٠/٢ .

فالكناية عنده وضع كلمة بدل كلمة لاظهار المعنى بألين اللفظ تنزهاً وتفضلاً أي هي عدول عما لايليق الى مايليق ، وعما يليق الى ماهو أليق كالذي عدل إليه مبشر الخادم عما ذكره رسول الفضل ، وتكنيتهم لجذيمة توضح هذا العدول بنوعيه ، فالأبرشُ هو اللفظ الذي اختاروه في تكنيتهم للأبرص من عامتهم غير أنهم عدلوا عنه الى الأوضح في خاصتهم ، وعدلوا عنه الى الوضاح في جذيمة خاصة دون غيره . فالكناية يعدل عنها الى ماهو أنسب ، كما يعدل عنها إذا كثر استعمالها وصارت كاللفظ الذي جيء بها لتكون كناية عنه .

أما ابن قتيبةت ٢٧٦ ه فقد تحدث عن الكناية والتعريض ، وأطال الحديث فيهما ، وخصص لهما باباً في كتابة (٤٥) قائلاً : « والكناية أنواع ، ولها مواضع . فمنها أن تكني عن اسم الرجل بالأبوة لتزيد في الدلالة عليه اذا أنت راسلته ، أو كتبت إليه ، إذ كانت الاسماء قد تتفق ، أو لتعظمه في المخاطبة بالكنية ، لانها تدل على الحنكة وتخبر عن الاكتهال .

وقد ذهب هؤلاء الى أن الكنية كذب ، مالم يكن الولد مسمى بالاسم الذي كني به عن الأب ، وتقع للرجل بعد الولادة . وقالوا : إن كانت الكناية للتعظيم فما باله كني أبا لهب وهو عدوه ، وسمى محمداً — صلى الله عليه وسلم — وهو وَليُّه ونبيُّه ؟؟ .

والجواب عن هذا : ان العرب كانت ربما جعلت اسم الرجل كنيته ، فكانت الكنية هي الاسم . .

قال ابو محمد : خبّرني غير واحد عن الأصمعي أن أبا عمرو بن العلاء ، وأبا سفيان بن العلاء أسماؤهما كناهما .

وربما كان للرجل الاسم والكنية ، فغلبت الكنية على الاسم ، فلم يعرف إلا بها ، كأبي سفيان ، وأبي طالب ، وأبي ذر ، وأبي هريرة .

---

(٤٥) تأويل مشكل القرآن — ٢٥٦ — ٢٧٤ .

ولذلك كانوا يكتبون : (علي بن أبو طالب)، و (معاوية بن أبو سفيان) ، لأن الكنية بكمالها صارت اسماً .

وحظ كل حرف الرفع مالم ينصبه أو يجره حرف من الأدوات أو الأفعال . فكأنه حين كُنِّيَ قيل : أبو طالب ، ثم ترك ذلك كهيئته ، وجعل الاسمان واحداً .

وقد روي في (الحديث) أن اسم أبي لهب : عبدالعزى ، فان كان هذا صحيحاً ، فكيف يذكره رسول الله بهذا الاسم ، وفيه معنى الشرك والكذب ، لأن الناس جميعاً عبيدالله ؟ . . . .

وان كان اسم أبي لهب كنيته ، فانما ذكره بما لايعرف إلا به . والاسم والكنية علمان يميزان بين الأعيان والاشخاص ، ولا يقعان لعلة في المسمى ، كما تقع الاوصاف ، فبأي شيء عرف الرجل ، جاز أن تذكره به غير أن تكذبَ في ذلك .

ولو كان من دعا أبا القاسم بأبي القاسم ، ولا قاسم له — كان كاذباً ، لكان كل من دعا المسمى بكلب وقرد وغراب وذباب كاذباً ؛ لانه ليس كما ذكر . .

ومن الكناية قول الله عز وجل : (ياويلتَى ، ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً) [٢٨ الفرقان ٢٥] ذهب هؤلاء ، وفريق من المتسمين بالمسلمين الى أنه رجل بعينه ، وقالوا : لم كنى عنه ؟ وانما يَكْني هذه الكناية من يخاف المباداة ، ويحتاج الى المداجاة . . . .

أراد الله سبحانه : (الظالم) كل ظالم في العالم ، وأراد بـ (فلان) كل من أطيع بمعصية الله ، وأرضيَ باسخاط الله . ولو نزلت هذه الآية على تقديرهم فقال :

ويوم يعض الظالم — قارون ، وهامان ، وعقبة بن أبي معيط ، وأبي بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وفلان وفلان ، بالاسماء — على

أيديهم يقولون : ياليتنا لم نتخذ فرعون ، ونمرود ، وعقبة بن أبي معيط ، وأبا جهل ، والاسود وفلاناً وفلاناً بالاسماء – لطال هــذا وكثر وثقل ، ولم يدخل فيه من تأخر بعد نزول القرآن من هذا الصنف ، وخرج عن مذاهب العرب ، بل عن مذاهب الناس جميعاً في كلامهم .

فكان فلان كناية عن جماعة هذه الاسماء . . . .

ومن هذا الباب التعريض ، والعرب تستعمله في كلامها كثيراً ، فتبلغ ارادتها بوجه هو الطف وأحسن من الكشف والتصريح ، ويعيبون الرجل اذا كان يكاشف في كل شيء ، ويقولون :

لايحسن التعريض إلا ثلبا

وقد جعله الله في خِطبة النساء في عدتهن جائزا ، فقال :

(ولا جناح عليكم فيما عرَّضتم به من خِطبة النساء ، أو اكننتم في انفسكم) [٢٣٥ البقرة ٢] ولم يجز التصريح .

والتعريض في الخِطبة أن يقول الرجل للمرأة : والله انك لجميلة ، ولعــل الله أن يرزقك بعلاً صالحا ، وان النساء لمن حاجتي . هذا واشباهه من الكلام .

وروى بعض اصحاب اللغة ، أن قوماً من الاعراب خرجوا يمتارون ، فلما صدروا خالف رجل في بعض الليل الى عكم صاحبه، فأخذ منه بُرّاً ، وجعله في عكمه ، فلمـــا أرادا الرحلة ؛ قاما يتعاكمان ، فرأى عكمه يشول ؛ وعكم صاحبه يثقل ، فأنشأ يقول :

عكم تغشى بعض اعكام القوم

لم أر عكما سارقاً قبل اليوم

فخَوَّنَ صاحبه بوجه هو الطف من التصريح)

وجاء بما روي في الحديث من أن رجلاً كتب الى عمر بن الخطاب

ألا ابلغ أبا حفص رسولاً . . . . . . الى آخر الابيات

وعقب قائلاً : (وقد ذكرت الحديث والتفسير وطريقه في كتاب (غريب الحديث)

وانما كنى بالقلص – وهي النوق الشواب – عن النساء ، وعرّض برجل يقال له جعدة كان يخالف الى المغيبات من النساء ، ففهم عمر رضى الله عنه ماأراد وجلد جعدة ونفاه) (٤٦) ووقف على غير قليل من كنايات القرآن الكريم ، وأوضح المكنى به ، والمكنى عنه فيها ، منها قوله تعالى .

(وثيابك فطهّر) [٤ المدثر ٧٤] فقال : أي طهر نفسك من الذنوب ، فكنى عن الجسم بالثياب لانها تشتمل عليه .

قالت ليلى الاخيلية ، وذكرت إبلا :

رموها بأثواب خفاف فلاترى

لها شبهـا إلاّ النعام المنفرا

أي ركبوها ، فرموها بأنفسهم .

وقال آخر :

لاهُمّ ان عامر بن جهم

أَوْذَمَ حجّـاً في ثيابٍ دُسْمِ

اي هو مدنس بالذنوب (٤٧) .

والعرب تقول : قوم لطاف الأزر : اي خماص البطون ، لأن الأزر تلاث عليها ، ويقولون : فدى لك إزاري ، يريدون : بدني ، فتضع الازار موضع النفس .

---

(٤٦) تأويل مشكل القرآن – من ٢٥٦ – الى ٢٧٤ .

(٤٧) نفسه – ١٤٢ .

قال الشاعر :

ألا ابلغ أبا حفص رسولاً
فدى لك من أخي ثقـــةٍ إزاري

وقد يكون الازار – في هذا البيت – الأهل . قال الهذلي

تبرأ من دَمٍ القتيــل ووترِه
وقد عَلِقَتْ دمٌ القتيل إزارها

أي نفسها .

ويقولون للعفاف إزار ، لأن العفيف فانه استتر لمّا عفّ .

وقال عدي بن زيد :

أجل انّ الله قد فضلكم
فوق ماأحكي بصلب وإزار

فالصلب الحسب ، سماه صلبا لان الحسب : العشيرة . والخلق من ماء الصُلب ، والازار العفاف .

ويجوز أن يكون سمى العشيرة صلباً ، لأنهم ظهر الرجل، والصلب من الظهر .

وقال (وهو الذي جعل لكم الليل لباساً) [٤٧ الفرقان ٢٥] أي ستراً وحجاباً لأبصاركم ، قال ذو الرمة :

ودوية مثـــل السماء اعتسفتهـــا
وقد صبغ الليل الحصى بسواد

أي ألبسه الليل سواده ، وظلمته ، كان كأنه صبغه

وقد يكنون باللباس والثوب عما سُترِ ووقي ، لان اللباس والثوب واقيان ساتران ، قال الشاعر :

كثوب ابن بيض وقاهـم به
فسَدَّ على السالـكين السبيـلا

قال الاصمعي : (ابن بيض) رجل نحر بعيراً له على ثنية فسدّها ، فام يقدر أحد أن يجوز ، فضرب به المثل ، فقيل : (سد ابن بيض الطريق) .

وقال غير الاصمعي (ابن بيض) رجل كانت عليه أتاوة ، فهرب بها ، فاتبعه مطالبه ، فلما خشي لحاقه ، وضع مايطالبه به على الطريق ومضى ، فلما أخذ الاتاوة رجع ، وقال : (سدّ ابن بيض الطريق) . أي : منعنا من اتباعه حين وفى بما عليه ، فكأنه سدّ الطريق .

فكنى الشاعر عن البعير ، ان كان التفسير على ما ذكره الأصمعي ، أو عن الاتاوة . ان كان التفسير على ما ذكره غيره — بالثوب ، لانهما وقيا كما يقي الثوب (٤٨) .

والعرب تقول : (أخي وأخوك أينا أبطش) يريدون : أنا وأنت نصطرع . فننظر أينا أشد ؟ فيكني عن نفسه بأخيه ، لأن اخاه كنفسه .

وقال العبدي :

أخي وأخـوك بـبطن النسير
لـيس بـه من معـد عـريب

ويكني عن أخيه بنفسه ، قال الله تعالى : (ولا تلمزوا انفسكم) [١١ الحجرات ٤٩] أي : لاتصيبوا اخوانكم من المسلمين ، لانهم كأنفسهم (٤٩) .

ومنه قوله سبحانه : (لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدُنّا إنْ كنا فاعلين) [١٧ الانبياء ٢١] .

---

(٤٨) تأويل مشكل القرآن — ١٤٣ — ١٤٥ .
(٤٩) تأويل مشكل القرآن — ١٥٠ — ١٥١ .

قال قتادة والحسن : اللهو المرأة . وقال ابن عباس : هو الولد .
والتفسيران متقاربان ؛ لان امرأة الرجل لهوه ، وولـــده لهوه ، ولذلك يقال : امرأة الرجل وولده ريحانتاه .
وأصل اللهو : الجماع ، فكنّـي عنه باللهو ، كما كني عنه بالسّرّ ، ثم قيل للمرأة : لهو ، لانها تُجامَعُ . قال امرؤ القيس

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني
كبرتُ وألا يُحسنَ السر أمثالي)

: أي النكاح (٥٠) .
أما المبرد ت ٢٨٦ هـ فقد ذكر الكناية ، وأنواعها الثلاثة فقال (٥١)
(والكلام يجري على ضروب ، فمنه مايكون في الأصل لنفسه ، ومنه مايكنى عنه بغيره ، ومنه مايقع مثلاً ، فيكون أبلغ في الوصف .
والكناية تقع على ثلاثة – أضرب :
أحدها : التعمية والتغطية ، كقول النابغة الجعدي :

أكني بغير اسمها وقــد علم الله خفيـــات كلّ مكــتتَم

وقال ذو الرمة استراحة الى التصريح من الكناية :

أحب المكان القفر من أجل أنني
به أتغنى باسمها غير مُعْجَم

وقال أحد القرشيين [هو محمد بن نمير الثقفي] .

وقد أرسلت في السرّ أن قد فضحتني
وقد بُحتَ باسمي في النسيب وماتكنني

(٥٠) نفسه – ١٦٢ – ١٦٣ .
(٥١) الكامل – ٢/٦٧٤ – ٦٧٧ .

ويروى أن عمر بن أبي ربيعة قال شعراً ، وكتب به بحضرة ابن أبي عتيق الى امرأة مُحرمَة وهو :

ألمـّا بذات الخال فاستطلعا لنا
على العهد باقٍ ودها أم تصرّمـــا

وقولا لها : إنّ النوى أجنبية
بنـــا وبكم قـــد خفت أن تتيمما

قال : فقال له ابن أبي عتيق : ماذا تريد الى امرأة مسلمة محرمة ، تكتب إليها بمثل هذا الشعر ؟ قال : فلما كان بعد مديدة ، قال له ابن أبي ربيعة : أما علمت أن الجواب جاءنا من عند ذاك الانسان ؟ فقال له : ماهو، فقال : كتبت :

اضحى قريضك بالهوى نماما
فاقصد هُديتَ ، وكُنْ لَهُ كَتّاما

واعلم بأن الخال حين ذكرته
قعد العـــدوّ به عليــك وقامــا

ويكون من الكناية — وذاك أحسنها — الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش الى ما يدل على معناه من غيره . قال الله — وله المثل الأعلى — (أُحِلّ لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) [١٨٧ البقرة ٢] . وقال :

(أولامستم النساء) [٦ المائدة ٥] والملامسة في قول أهل المدينة — مالك وأصحابه — غير كناية . إنما هو اللمس بعينه ، يقولون في الرجل تقع يده على امرأته ، أو على جاريته بشهوة ، انّ وضوءه قد انتقض .

وكذلك قولهم في قضاء الحاجة : (جاء فلان من الغائط) . وإنما الغائط الوادي ، وكذلك المرأة . قال عمرو بن معدي كرب :

فكم من غائط من دون سلمى
قليـــل الأنس ليس به كَتِيــعُ

وقال الله عزوجل في المسيح ابن مريم وأمه صلى الله عليهما :

(كانا يأكلان الطعام) [٧٥ المائدة ٥] وإنما هو كناية عن قضاء الحاجة

وقال : (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) [٢١ فصلت ٤١] وإنما هي كناية عن الفروج . ومثل هذا لكثير .

والضرب الثالث من الكناية : التفخيم والتعظيم ، ومنه اشتقت (الكنية) وهو أن يُعَظَّمَ الرجل أن يدعى باسمه . ووقعت في الكلام على ضربين :

وقعت في الصبي على جهة التفاؤل بأن يكون له ولد ، ويدعى بولده كناية عن اسمه .

وفي الكبير أن ينادى باسم ولده صيانة لاسمه .

وإنما يقال (كني) عن كذا بكذا : أي ترك كذا الى كذا ، لبعض ما ذكرنا ووقف على عدد من كنايات القرآن الكريم فقال :

(وأهل الحجاز يرون النكاح العقد دون الفعل ، ولا ينكرونه في الفعل ، ويحتجون بقول الله عزوجل : (ياأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ، ثم طلقتموهن ، من قبل أن تمسوهن ، فما لكم عليهن من عِدَّة تعتدُّونها) [٤٩ الاحزاب ٣٣] فهذا الاشيع في كلام العرب . قال الاعشى :

وأمتعت نفسي مـــن الغانيـــا
تِ إمـــّا نكاحـــاً وإمّا أُزَن

ومن كـــل بيضـــاء رعبـــوبة
لهـــــا بَشَرٌ ناصِـــعٌ كـــاللَّبن

قوله : أزن : أراد أُزَنِّي ، ثم حذف الياء وخفّف النون ، فقال : أُزن ويكون النكاح الجماع ، وهو الأصل كناية . قال الراجز :

اذا زنيت فأجـد نكـاحـا

وأعمـل الغُـدوَّ والرَّواحـا

والكناية تقع في هذا الباب كثيراً ، والأصل ما ذكرنا لك . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنا من نكاح لا من سفاح) .

ومن خطب المسلمين : إنّ الله عز وجل أحلَّ النكاح ، وحرَّم السفاح) .

والكناية تقـع عن الجماع ، قال الله عزوجل : (احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) [١٨٧ البقرة ٢] فهذه كناية عن الجماع . قال اكثر الفقهاء في قوله تبارك وتعالى : (أولامستم النساء) [٦ المائدة ٥] قالوا كناية عن الجماع ، وليس الأمر عندنا كذلك ، وما اصف مذهب أهل المدينة وقد فُرِغَ من النكاح تصريحا ، وانما الملامسة أن يلمسها الرجل بيَدٍ ، أو بإدناء جسد من جسد فذلك ينقض الوضوء ، في قول أهل المدينة ، لانه قال تبارك تعالى – بعد ذكر الجنب – (أولامستم النساء) [١٦ المائدة ٥] . وقوله عزوجـل : (كانا يأكلان الطعام) [٧٥ المائدة ٥] كناية باجماع عن قضاء الحاجة ، . . وكذلك : (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) [٢١ فصلت ٤١] كناية عن الفروج ، ومثله : (أو جاء أحد منكم من الغائط) [٤٢ النساء ٤] فانما الغائط كالوادي .
وقال عمرو بن معدي كرب :

وكم من غائط من دون سلمى

قليل الانس ليس به كتيعُ (٥٢)

وخصص أبو العباس ثعاب ت ٢٩١ هـ باباً للطافة المعنى قال فيه :

« . . وهو الدلالة بالتعريض على التصريح . . . . . . ومن لطف المعنى كل ما

---

(٥٢) الكامل – ٢/٤٧٢ – ٤٧٤ .

يدل على الايماء الذي يقوم مقام التصريح لمن يحسن فهمه واستنباطه . . . .
كقول جرير :

وانى لأستحيي أخي أن أرى له
عليّ من الفضل الذي لايرى ليا

يريد : أن أرى له نعمة عليّ ، لايرى لي مثلها عليه . .
كقول عروة بن الورد :

أُقَسِّمُ جِسمي في جُسومٍ كثيرةٍ
وأَحْسُو قراحَ الماء والماءُ باردُ

يريد : أوثر أضيافي بزادي . . . . .) (٥٣) .

وعدّ ابن المعتز ت ٢٩٦ ه الكناية والتعريض من محاسن الكلام والشعر فقال : « ومنها التعريض والكناية . قال علي رضي الله عنه لعقيل ، ومعه كبش له : أحد الثلاثة أحمق . فقال عقيل : أما أنا وكبشي فعاقلان .

وكان عروة بن الزبير إذا أسرع إليه إنسان بسوء لم يجبه ، ويقول : إني لأتركك رفعاً لنفسي عنك ، فجرى بينه وبين علي بن عبدالله بن عباس كلام ، فأسرع إليه عروة بسوء . فقال : إني لأتركك لما تترك الناس له ، فاشتد ذلك على عروة .

وقال بعض ولد العباس بن محمد لابنه : ياابن الزانية ، فقال : الزانية لاينكحها إلا زانٍ أو مُشْرِك (٥٤) .

وهذه الأمثلة أَدْخَلُ في التعريض منها في الكناية وإن كانت العلاقة بينهما علاقة عُموم وخصوص .

ووقف ابن جرير الطبري ت ٣١٠ ه عند كثير من الكنايات القرآنية

(٥٣) قواعد الشعر ـ ٤٣ ـ ٤٦ .
(٥٤) البديع ـ ٦٤ ـ ٦٥ .

وأشار إلى المكنى به والمكنى عنه فيها ، وكثيراً ماكان يعزز قوله بما ذهب إليه أهل التأويل فيها . من ذلك قوله في الآية الكريمة : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم » [١٨٧ البقرة ٢] .

« فأما الرفث فانه كناية عن الجماع في هذا الموضع . . . . . . وبمثل الذي قلنا قال أهل التأويل . . . » (٥٥) .

وقال في الآية : (هن لباس لكم ، وانتم لباس لهن) [١٨٧ البقرة ٢] قال نابغة بني جعدة :

إذا مـــا الضجيع ثنى عطفهـــا
تداعت فكانت عليـــه لبـــاسا

يروى : (تثنت) . فكنى عن اجتماعهما متجردين في فراش واحد باللباس ، كما يكنى بالثياب عن جسد الانسان . كما قالت ليلى وهي تصف إبلاً ركبها قوم :

رموها بأثوابٍ خِفافٍ فلا ترى
لهـــا شَبَهاً إلاّ النعـــام المنفرا

تعني رموها بأنفسهم فركبوها . وكما قال الهذلي .

تبرأ مِن دَمٍ القتيل وَوِتْرِهِ
وقد عَلِقَتْ دم القتيل إزارها

يعني بازارها نفسها (٥٦) .

وقال في الآية : (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وتدلوا بها الى الحكام ؛ لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالاثـــم وأنتم تعلمون) [١٨٨ البقرة ٢] يعني

(٥٥) الطبري ـ ٢/٩٤ .
(٥٦) تفسير الطبري ـ ٢/٩٤ .

تعالى ذكره بذلك : ولا يأكل بعضكم مالَ بعض بالباطل . فجعل تعالى ذكره بذلك آكل مال أخيه بالباطل كالآكل مال نفسه بالباطل ونظير ذلك قوله تعالى : (ولا تلمزوا أنفسكم) [الحجرات] وقوله :(ولا تقتلوا أنفسكم) [٢٩ النساء ٤] بمعنى لايلمز بعضكم بعضاً ، ولايقتل بعضكم بعضاً — لان الله تعالى ذكره — جعل المؤمنين اخوة ، فقاتل أخيـــهِ كقاتل نفسه ، ولامزه كلامز نفسه .

وكذلك تفعـــل العرب ، تكني عن أنفسها باخوانها ، وعن اخوانهـــا ، بأنفسهـــا فتقول : أخي وأخـــوك أينا أبطش : تعني : أنا وأنت نصطـــرع ، فننظر أينا أَشَدّ ، فيكني المتكلم عن نفسه بأخيه ، لان أخا الرجل عندها كنفسه ومن ذلك قول الشاعر :

أخي وأخـــوك ببـــطن النسير

ليس لنا من مَعَدٍّ عَريبُ (٥٧) .

وقال في الآية : (وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لاينصرون) [١١١ آل عمران ٣] فقوله يولوكم الأدبار كناية عن انهزامهم ، لان المنهزم يحول ظهره الى جهة الطالب ، هرباً الى ملجأ وموئل يئل إليه منه ، خوفاً على نفسه ، والطالب في اثره ، فدبر المطلوب — حينئذٍ — يكون محاذي وجه ماجهة الطالب إليها — وغيرها (٥٨) وخصص ابن عبد ربه ت٣٢٨ باباً في كتابه للكناية والتعريض (٥٩) أورد فيه أنواعاً منهما فقال : (باب الكناية والتعريض: من أحسن الكناية التكنية عن المعنى الذي يقبح ظاهره . . .

(٥٧) نفسه — ٢/١٠٦ — ١٠٧ .

(٥٨) نفسه — ٤/٣١ .

(٥٩) العقد الفريد .

وقد كنى الله تعالى في كتابه عن الجماع بالملامسة وعن الحدث بالغائط فقال : « أو جاء أحد منكم من الغائط » [٤٢ النساء ٤] والغائط : الفحص وجمعه غيطان . « وقالوا : مالهذا الرسول يأكل الطعام . . » [٧ الفرقان ٢٥] وإنما كنى عن الحدث . وقال تعالى « واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء . . » [٢٢ طه ٢٠] فكنى عن البرص .

ودخل الربيع بن زياد على النعمان بن المنذر ، وبه وضح ، فقال : ماهذا البياض بك ؟؟ فقال : سيف الله جلاه . . . .

وسمع عمر بن الخطاب امرأة في الطواف تقول :

فمنهن من تسقى بعذب مبرد
نقاخ فتلكـــم عند ذلك قَرَّتِ
ومنهن من تسقى بأخضر آجن
أجاج ، ولولا خشية الله فَرَّتِ

ففهم شكواها ، فبعث إلى زوجها ، فوجده متغير الفم ، فخيَّره بين خمسمائة من الدراهم وطلاقها ، فاختار الدراهم فأعطاه وطلقها) .

وأردفه بباب (الكناية يورى بها عن الكذب والكفر) فقال :

لما هزم الحجاج عبدالرحمن بن الاشعث ، وقتل أصحابه ، وأسر بعضهم ، كتب إليه عبدالملك بن مروان أن يعرض الأسرى على السيف ، فمن أقر منهم بالكفر خلّى سبيله ، ومن أبى يقتله ، فأتي منهم بعامر الشعبي ، ومطرف ابن عبدالله الشخير ، وسعيد بن جبير .

فأما الشعبي ومطرف فذهبا الى التعريض والكناية ، ولم يصرحا بالكفر فقبل كلاً منهما ، وعفا عنهما ، وأما سعيد بن جبير فأبى ذلك فقتل .

وكان مما عرض به الشعبي فقال : أصلح الله الأمير ، نبا بنا المنزل وانخزل

بنا الجناب ، واستحلنا الخوف ، واكتحلنا السهر ، وخبطتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ، ولا فجرة أقوياء .

قال : صدق والله ، مابروا بخروجهم علينا ، ولاتووا ؛ خلّيا عنه .

ثم قدم إليه مطرف بن عبدالله ، فقال الحجاج : أتقر على نفسك بالكفر ؟

قال : إن من شق العصا ، وسفك الدما ، ونكث البيعة ، وأخاف المسلمين لجدير بالكفر . قال : خلّيا عنه .

ثم قدم إليه سعيد بن جبير ، فقال له : أتقر على نفسك بالكفر ؟؟

قال : ماكفرت بالله مذ آمنت به . قال : اضربوا عنقه

ولما ولي الواثق وأقعد للناس أحمد بن أبي دؤاد للمحنة في القرآن ، ودعا إليه الفقهاء ، اتي فيهم بالحارث بن مسكين . فقيل له : اشهد أن القرآن مخلوق .

قال : اشهد أن التوراة ، والانجيل ، والزبور ، والقرآن ، هذه الأربعة مخلوقة ، ومدّ أصابعه الأربع .

فعرض بها وكنى عن خلق القرآن ، وخلص مهجته من القتل ، وعجز أحمد ابن نصر — فقيه بغداد — عن الكناية فأباها فقتل وصلب .

وهذه أدخل في التورية أو الايهام المتعمد المقصود منها في التكنية كأكثر أمثلة الباب الذي جاء به بعنوان « الكناية عن الكذب في طريق المدح)

إذ نقل عن المدائني أنه قال : « أتي العريان بن الهيثم بغلام سكران ، فقال له : من أنت ؟؟ فقال :

أنا ابن الذي لاتنزل الأرض قدره
وإن نزلت يوماً فسوف تعود

ترى الناس أفواجاً إلى ضوء ناره
فمنهـــم قيام عندها وقعــود

فطنه ولداً لبعض الاشراف ، فأمر بتخليته ، فلما كشف عنه ، قيل له : انه ابن باقلاني

ودخل رجل على عيسى بن موسى ، وعنده ابن شبرمة ، فقال له : أتعرف هذا الرجل ؟؟ — وكان رمي عنده بريبة — فقال : إنّ له بيتاً ، وقدماً ، وشرفاً . فخلى سبيله . فلما انصرف ابن شبرمة قال له أصحابه : أكنت تعرف هذا الرجل ؟ قال : لا ، ولكنني عرفت أن له بيتاً يأوى إليه ، وقدماً يمشي عليها ، وشرفه : أذناه ومنكباه .

وخطب رجل لرجل الى قوم ، فسألوه ماحرفته ؟ فقال : نخاس الدواب ، فزوجوه . فلما كشف عنه وجدوه يبيع السنانير ، فلما عنفوه في ذلك قال : أوما السنانير دواب ؟ ماكذبتكم في شيء .

ودخل معلى الطائي على ابن السري يعوده في مرضه ، فأنشد شعراً يقول فيه

فأقسمَ إن مَنّ الإله بصحةٍ
ونال السري بن السري شفــاءُ

لأرتحلن العيس شهــراً بحجة
ويعتق شكـــراً سالمٌ وحفــاءُ

فلما خرج من عنده ، قال له أصحابه ، والله مانعلم عبدك سالماً ، ولاعبدك حفاء ، فمن أردت أن تعتق ؟؟

قال : هما هرتان عندي ، والحج فريضة واجبة ، فما عليّ في قولي شيء إن شاء الله تعالى .

وأردف هذا كله بباب « الكناية والتعريض في طريق الدعابة » قال فيه « سئل ابن سيرين عن رجل ، فقال : توفي البارحة . فلما رأى جزع السائل قال : « الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتي لم تمت في منامها » [٤٢ الزمر ٣٩] وإنما أردت بالوفاة : النوم .

ومرض زياد ، فدخل عليه شريح القاضي يعوده ، فلما خرج بعث إليه مسروق ابن الأجدع يسأله : كيف تركت الأمير ؟؟ قال : تركته يأمر وينهى فقال مسروق إن شريحاً صاحب تعريض فاسألوه ، فسألوه فقال :تركته يأمر بالوصية ، وينهى عن البكاء . . . . .

وشاور زياد رجلاً من ثقاته في امرأة يتزوجها فقال : لاخير لك فيها ، واني رأيت رجلاً يقبلها ، فتركه ، وخالفه إليها فتزوجها ، فلما بلغ زياداً خبره أرسل إليه ، وقال له : أما قلت لي إنك رأيت رجلاً يقبلها ؟؟ قال : نعم ، رأيت أباها يقبلها . . . .) (٦٠) وهكذا خلط بين الكناية والتورية .

وتحدث قدامة بن جعفر ت ٣٣٦ ه عن الارداف فقال :

« ومن أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى ، الارداف : وهو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني ، فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى ، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له ، فاذا دل على التابع أبان عن المتبوع ، بمنزلة قول ابن أبي ربيعة :

بعيدة مهوى القرط إمّا لنوفل

أبوها ، وإما عبد شمس وهاشم

وإنما أراد هذا الشاعر أن يصف طول الجيد ، فلم يذكره بلفظه الخاص به، بل أتى بمعنى هو تابع لطول الجيد ، وهو بعد مهوى القرط .

ومثل قول امرئ القيس :

وتضحي فتيت المسك فوق فراشها

نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

وإنما أراد امرؤ القيس أن يذكر ترفه هذه المرأة ، وأن لها من يكفيها فقال : نؤوم الضحى ، وأن فتيت المسك يبقى إلى الضحى فوق فراشها ، وكذلك

---

(٦٠) العقد الفريد ــ ١/٢٠٤ ــ ٢٠٦ .

سائر البيت أي هي لاتنتطق لتخدم ، ولكنها في بيتها متفضلة ، ومعنى (عن) في هذا البيت معنى (من بعد) . وكذلك قوله :

وقد اغتدي والطير في وكناتها

بمنجرد قيـد الأوابد هيكـل

فانما أراد أن يصف هذا الفرس بالسرعة ، وأنه جواد ؛ فلم يتكلم باللفظ بعينه ، ولكن بأردافه ولواحقه التابعة له ، وذلك أن سرعة إحضار الفرس ، يتبعها أن تكون الأوابد – وهي الوحوش – كالمقيدة له ، إذا نحا في طلبها ، والناس يستجيدون لامرئ القيس هذه اللفظة ، فيقولون : هو أول من قيّد الأوابد ، وإنما غزا بها الدلالة على جودة الفرس ، وسرعة حضره . فلو قال ذلك بلفظه لم يكن الناس من الاستجادة لقوله مثلهم عند إتيانه بالردف له . وفي هذا برهان على أن وضعنا الارداف في أوصاف الشعر ونعوته واقع بالصواب . ..

ومن هذا النوع مايدخل في الأبيات التي يسمونها أبيات معان ، وذلك إذا ذكر الردف وحده ، وكان وجه اتباعه لما هو ردف له غير ظاهر ، أو كانت بينه وبينه أرداف أخر ، كأنها وسائط ، وكثرت حتى لايظهر الشيء المطلوب بسرعة .

وهذا الباب إذا غمض لم يكن داخلاً في جملة ماينسب الى جيد الشعر اذ كان من عيوب الشعر الانغلاق في اللفظ ، وتعذر العلم بمعناه) (٦١) .

فقدامة تحدث عن الارداف من غير أن يدعي أنه الكناية صراحة وتحدث اسحق بن وهب ت ٣٣٨ تقريباً عن الكناية والتعريض بعنوان اللحن فقال : « وأما اللحن فهو التعريض بالشيء من غير تصريح ، أو الكناية عنه بغيره ، وكما قال الله عزوجل « ولو نشاء لأريناكهم فلتعرفنهم بسيماهم ، ولتعرفنهم في لحن القول » [٣٠ محمد ٤٧] .

(٦١) نقد الشعر – ١٧٨ – ١٨١ .

والعرب تفعل ذلك لوجوه ، وتستعمله في أوقات ومواطن ، فمن ذلك ما استعملوه للتعظيم ، أو للتخفيف ، أو للاستحياء . أو للبقيا ، أو للانصاف ، أو للاحتراس .

فأما مايستعمل من التعريض للاعظام فهو أن يريد مريد تعريف من فوقه قبيحاً ان فعله ، فيعرض له بذلك من فعل غيره ، ويقبح له ماظهر منه ، فيكون قد قبح له مأأتاه من غير أن يواجهه به ، وفي ذلك يقول الشاعر :

ألا رُبَّ مَن أطنبت في ذمغيره
لديه على فعـــل أتاه على عمـــد
ليعلم عند الفكر في ذاك انها
نصيحته فيمـــا خطبت به قصدي

وأما التعريض للتخفيف : فهو أن يكون لك إلى رجل حاجة ، فتجيئه مسلماً ولاتذكر حاجتك ، فيكون ذلك اقتضاء له ، وتعريضاً بمرادك منه ، وفي ذلك يقول الشاعر :

أروح بتسليـــم عليـــك واغتـــدي
وحسبك بالتسليم منى تقاضيا ..) (٦٢)

وهكذا في اكثر ماذكره ، فقد عمد الى ايضاح الحالة المفترضة والاستشهاد لها من غير ما أمثلة تطبيقية عليها وأحاديثه وشواهده إنما تنصرف الى التعريض اكثر من انصرافها الى الكناية اللهم الا ما كان للاستحياء وللبقيا ، وفاته أنالكناية العدول عن لفظ إلى آخر دال عليه وأن التعريض يمكن أن يكون بالحال أو بالمقال .

وخصص الرامهرمزي ت ٣٦٠ هـ بابين للكناية في كتابه (أمثال الحديث) أولهما للكنايات بلا تقييد أو تخصيص ، وثانيهما للكنايات المفسرة ، فأورد

(٦٢) البرهان في وجوه البيان ـ ١٣٠ ـ ١٣٦ .

في الأول قوله صلى الله عليه وسلم : « من شق عصا المسلمين فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه » . وانتهى في تفسيره الى القول (. . . . ولا قلادة هناك ، انما هو على التمثيل . وهذا من الكناية التي قد يدل ظاهرها على موقع المراد منها . . .) (٦٣) .

وأورد فيه كذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « الجنة تحت ظلال السيوف » (٦٤) وقوله لأبي سفيان : « ماأنت وذاك ياأبا سفيان ؟ إنما أنت كما قال الاول : كل الصيد في جوف الفرا » (٦٥) وقوله صلى الله عليه وسلم : « من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة » وعقب قائلاً فيه : هذا من أحسن الكناية وأوجزها ، وأدلها على معنى لايتعلق بشيء من لفظه . . .) (٦٦) .

وهكذا عدها من الكنايات مع تصريحه بأنها تمثيلات ، فلاتعارض عنده بين التمثيل والكناية ، فالكناية مطلق العدول سواء عن المثل الى مثيله ، أو الى مالا يماثله . واكثر من هذا انه جاء في الباب الثاني بالتمثيلات أو الاستعارات التمثيلية التي الحق بها الممثل المحذوف ، منها قوله صلى الله عليه وسلم : « إياكم وخضراء الدمن . قيل وما خضراء الدمن ؟؟ قال : المرأة الحسناء في

---

(٦٣) امثال الحديث ـ ١٩٣ ، والحديث عند أبي داود ٢/٥٤٢ ، واحمد ٣/٤٤٦ ، والحاكم ١/٧٧ ، والامثال في الحديث النبوي الشريف ٢/٧١٩ .

(٦٤) البخاري ٤/٢٦ ـ ٢٧ ، مسلم ٣/١٥١١ ، ابو داود ٢/٤٠ ، احمد ٤/٣٥٣ .

(٦٥) المقاصد الحسنة ـ ٣٢٣ ، غريب ابن سلام ٢/٢٢٥ ـ ٢٢٦ ، الفائق ١/٢٢٣ ، النهاية ١/٩٠ .

(٦٦) امثال الحديث ـ ١٩٤ ، الحديث عند الترمذي ٤/٦٣٣ ، والحاكم ٤/٣٠٨ .

منبت السوء » (٦٧) وقوله : « عليك بالحالّ المرتحل ، قال : وما الحالّ المرتحل ؟؟ قال : صاحب القرآن ، يضرب في أوله حتى يبلغ آخره ، ويضرب في آخره حتى يبلغ أوله ، كلما حلّ ارتحل » (٦٨) وغيرهما فالمعدول عنه والمعدول إليه ، أو الممثل والممثل به من قوله صلى الله عليه وسلم نفسه .
واكثر من هذا وذاك تفسيره بالكناية للأمثال التي أوردها في الباب الذي خصه بأمثال التشبيه ، كما ذكر . فقال في الحديث : « ياانجشة رويداً سوقك بالقوارير » كنى عن ذكر النساء بالقوارير ، شبههن بها لرقتهن ، وضعفهن عن الحركة . . . وهذا قول اكثر العلماء ، أعني أنه كنى بالقوارير عن ذكر النساء ، وهو قول أبي عبيد .

وقال آخرون ، معناه : سقهن كسوقك بالقوارير » (٦٩) .

وخصص الحاتمي ت ٣٨٨ هـ باباً للكناية فقال :

هذا باب الكناية بالشيء .

قال أبو علي : وهو أن تكني العرب بالشيء عن غيره على طريق الاتساع . ونقل عن الاصمعي أن العرب اذا ذكرت الثوب فانما تريد به البدن ، وقولهم :

فلان اوسع بنيه ثوباً أي : اكثرهم عندهم معروفاً . وفلان غمر الرداء : اذا كان واسع الخلق ، وفسر قول رؤبة « فقد أرى واسع جيب الكمّ » أنه أراد واسع الصدر ، كثير العطاء ، لان العرب تكني عن القلب بالجيب وقولهم : فدى لك ثوبي ، وفدى لك ردائي معناه : أنا أفديك ، وقولهم :

---

(٦٧) أمثال الحديث ـ ١٩٣ ، المجازات ـ ٦٩ ، غريب ابن سلام ٩٩/٣ الفائق ٣٧٧/١ ، النهاية ٤٢/٢ ، المقاصد ١٣٥ ، الاحاديث الضعيفة رقم ١٤ .
(٦٨) أمثال الحديث ـ ١٩٤ ، والحديث عند الترمذي ١٩٨/٥ ، الدارمي ٤٦٩/٢ الحاكم ٥٦٨/١ ، الفائق ٣٠٨/١ .
(٦٩) أمثال الحديث ـ ١٩٥ ـ ١٩٦ ، والحديث عند البخاري ٢٤٤/٨ ومسلم ١٨١١/٤ ، والدارمي ٢٩٥/٢ ، واحمد ١٠٧/٣ .

فلان دنس الثوب إذا كان غادراً فاجراً ، وقولها : عفيف الازار طيب الحجزة : اذا كان عفيف الفرج . . الخ) (٧٠) .

وجاء أبو هلال العسكري ت ٣٩٥ ﻫ بما جاء به الحاتمي في الحلية وما ماثله في فصل خاص سماه (المماثلة) فقال : (٧١) .

المماثلة أن يريد المتكلم العبارة عن معنى ، فيأتي بلفظة تكون موضوعة لمعنى آخر ، إلا أنه ينبىء إذا أورده عن المعنى الذي أراده كقولهم : (فلان نقي الثوب) يريدون به أنه لاعيب فيه ، وليس موضوع نقاء الثوب البراء من العيوب ، وانما استعمل فيه تمثيلاً — ولا أدري أي تمثيل هذا الذي اشار إليه وأين الممثل والممثل به في مثل هذا القول ؟؟ ... وهكذا ، وجاء بكل ما ذكره الحاتمي من شواهد ونقول من غير ما اشارة ، وأضاف أمثلة أخرى من القرآن الكريم ، كقوله تعالى : « ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً » [٩٢ النحل ١٦] وقوله « ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها » [٩٤ النحل ١٦] وقوله « هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ، ولي نعجة واحدة » [٢٣ ص ٣٨] وقوله « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولاتبسطها كل البسط » [٢٩ الاسراء ١٧] ، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اياكم وخضراء الدمن » وعقب قائلاً : أراد المرأة الحسناء في منبت السوء ، فأتى بغير اللفظ الموضوع لها تمثيلا . وخلط هذا بقولهم : عركت هذه الكلمة بجنبي : إذا أغضيت عنهـا ، وفلان طوى كشحه عن فلان : اذا ترك مودته وصحبته ، وقولهم : كبا زند العدو ، وصلف زنده ، وأفل نجمه ، وذهبت ريحه ، واطفئت جمرته ، وأخلف نوْؤه ، وأخلقت جدته ، وانكسرت شوكته ، وكلَّ جدُّه ، وانقطع بطانه ، وتضعضع ركنه ، وضعف عقده ،

(٧٠) حلية المحاضرة — ٢/١١ — ١٢ .

(٧١) الصناعتين — ٣٥٣ — ٣٥٦ .

وذلت عضده ، وفت في عضده ، ورق جانبه ، ولانت عريكته يقال ذلك إذا وَلّى أمره تمثيلاً وتشبيهاً .

ونقل عن بعضهم قوله : كنـــا في رفقة فضلانا الطريق ، فاسترشدنا عجوزاً فقالت : استبطن الوادي ، وكن سيلاً حتى تبلغ ، وقول طرفة :

ابيني أفي يمنى يديك جعلتني

فأفرح أم صيرتني في شمالك

أي منزلتي عندك ، أوَضيعَة أم رفيعة ، ؟ فذكر اليمين وجعلهـــا بدلاً من الرفعة ، والشمال وجعلها عوضاً عن الضعة .

وقول زهير :

ومن يعص أطراف الزجاج فإنه

يطيع العوالي ركبت كل لهذم

أراد أن يقول من أبى الصلح رضي بالحرب فعدل عن لفظه وأتى بالمثيل . .)

وخصص الفصل الثامن للارداف والتوابع وقال :

الارداف والتوابع : أن يريد المتكلم الدلالة على معنى ، فيترك اللفظ الدال عليه ، الخاص به ، ويأتي بلفظ هو ردفه ، وتابع له ، فيجعله عبارة عن المعنى الذي أراده وذلك مثل قول الله تعالى : « فيهن قاصرات الطرف » [٥٦ الرحمن ٥٥] ؛ وقصور الطرف في الاصـــل موضوع للعفاف على جهة التوابـــع والارداف ، وذلك أن المرأة اذا عفّت قصرت طرفها على زوجها ، فكان قصور الطرف ردفاً للعفاف والعفاف ردف وتابع لقصور الطرف . وكذلك قوله تعالى : « ولكم في القصاص حياة » [١٧٩ البقرة ٢] وذلك أن الناس يتكافّون عن الحرب من أجل القصاص فيحيون ، فكأن حياتهم ردف للقصاص الذي يتكافّون عن الحرب من أجله . . . ومنه قول امرئ القيس :

وأفلتهـن علبـاء جريضـا
ولـو أدركته صفر الوطـاب

أي : لو أدركنه – يعني الخيل – قتلنه ، واستقن إبلـه فصفرت وطابه وقول المرأة لمن سألته : أشكو إليك قلة الجرذان ، وذلك أن قلة الجرذان في البيت ردف لعدم خيره ، ويقولون : فلان عظيم الرماد يريدون أنه كثير الاطعام للاضياف . ومن المنظوم قول التغلبي :

وكل أناس قاربوا قيد فحلهم
ونحن خلعنا قيده فهو سارحُ

أراد أن يذكر عِزّة قومه فذكر تسريح الفحل في المرعى . وقول الآخر :

ومهـمـا فيّ من عيب فـاني
جبان الـكلب مهـزول الفصيل

وقول الآخر :

وكل أناس سوف تدخل بينهم
دويهية تصفرّ منهـا الأنامـل

وقول امرئ القيس : « وتضحي فتيت المسك فوق فراشها – الخ » وقول عمر بن أبي ربيعة : « بعيدة مهوى القرط . . » وقول الخنساء « ومخرّق عنه القميص » وغيرها من شواهد الارداف التي تمثله بحق ، ولهذا قال :

وقد أدخل بعض من صنف في هذا أمثلة باب الارداف في باب المماثلة وأمثلة باب المماثلة في باب الارداف فأفسد البابين جميعاً ، فلخصت ذلك وميزته ، وجعلت كلاً في موضعه ، وفيه دقة واشكال (٧٢) .

مع أنه في هذا لم يخرج عما ذهب إليه قدامة بن جعفر قبله (٧٣) غير

(٧٢) الصناعتين – ٣٥٠ – ٣٥٢ .
(٧٣) انظر ما ورد عنه في هامش ٦١ من هذا البحث .

أنه خص الفصل الثاني عشر بالكناية والتعريض وقال : هو أن يكنى عن الشيء ، ويعرض به ، ولا يصرح على حسب ماعملوا باللحن والتورية عن الشيء كما فعل العنبري إذ بعث إلى قومه بصرة شوك ، وصرة رمل ، وحنظلة : يريد جاءتكم بنو حنظلة في عدد كثير ككثرة الرمل والشوك .

وجاء بعدد من كنايات القرآن منها قوله تعالى « أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء » [٤٢ النساء ٤] وقوله تعالى « وفرش مرفوعة » [٣٤ الواقعة ٥٦] كناية عن النساء ، وأضاف قائلاً :

ومن مليح ماجاء في هذا الباب قول أبي العيناء ، وقد قيل له : ماتقول في ابني وهب ؟؟ قال : « وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه ، وهذا ملح أجاج » [١٢ فاطرة ٣٥] سليمان أفضل . قيل : وكيف ؟؟ قال : « أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أم من يمشي سويا على صراط مستقيم » [٢٢ الملك ٦٧] ولا أدري كيف وضع في المماثلة قولهم « فلان نقي الثوب » ولم يضع هاتين الآيتين ؟ كما لا أدري اين الكناية وقد صرح باسم الأفضل منهما ؟ ولقد خلط الكناية بالتعريض خلطاً لايكاد القارئ يتبين ما يراه العسكري كناية وما يراه تعريضاً مع أنه قال :

« ومن التعريض الجيد ماكتبه عمرو بن مسعدة الى المأمون : أما بعد ، فقد استشفع بي فلان الى أمير المؤمنين ، ليتطول عليه في الحـــاقه بنظرائه من المرتزقين فيما يرتزقون ، فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفع بهم وفي ابتدائه بذلك تعدي طاعته والسلام .

فوقع في كتابه : قد عرفنا تصريحك له ، وتعريضك بنفسك ، وأجبناك اليهما وأوقفناك عليهما . . . .

ومن المنظوم في ابن حجام :

أبوك أب مازال للنـــاس موجعـــاً

لأعناقهم نقراً كما ينقر الصقر

إذا عَوَّجَ الكتاب يوماً سطورهم

فليس بمعـــوجٍ له أبداً سطر

وقال بعض المتقدمين :

وقد جعل الوسميّ ينبت بيننا

وبين بني دودان نبعاً وشوحطا

النبع والشوحط كأنه كنى بهما عن القسي والسهام ، ومثله قول الآخر :

وفي البغل مالم يدفع الله شَرَّه

شياطين ينزو بعضهن على بعض

وقول رؤبة :

ياابن هشام أهلك الناس اللبن

فكلهـــم يعـــدو بقوس وقرن

وهذه كنايات عن القتال والوقائع بينهم أيام الربيع ، وهو وقت الغزو عندهم .

وكتب كافي الكفاة : ان فلاناً طرق بيته وهو الخيف ، لاخوف على من دخله ولا يد على من نزله ، فصادف فتياناً يعاطون كريمته الكؤوس تارة ، والفؤوس مرة ، فمن ذي معول يهدم ، ومن ذي مقول يثام ، فبائع الرقيق يكتب بينهم بالغليظ ، فوثبت العفيفة خفيفة دفيفة ، تحكم يمناها من أخادعه ، وتتقي بيسراها وقع أصابعه ، والحاضرون يحرضونها على القتال ، ويدعونها إلى النزال ، والشيخ يناديهم :

تجمعتم من كل أوب وبلدة

على واحـــد لازلتم قرن واحد

ثم علم أن الحرب خدعة ، ولكل امرئ فرصة ، فتلقاها بالأثافي طلاقاً بتاً ، وفراقاً بتلا ، وأخذ ينشد :

إني أبيٌ أبيٌ ذو محافظـــة
وابـــن أبيٍّ أبيٍّ مـــن أبيّين

ولكن بعد ماذا ؟ بعدما ضموا الخصر ، وأموا الحصر ، وأدمنوا العصر وافتتحوا القصر » .

وكان ماكان مما لست أذكره
فظن شراً ولا تسأل عن الـــخبر

فأكثر هذا الكلام كنايات » فأين التعريض بعد كل هذه التأكيدات على الكنايات ؟؟ ولا أريد بهذا أن القي بالملامة عليه فقد خلط بينهما في عنوان الفصل وفي أثنائه وما كان أول ولا آخر من خلط بينهما

وقد أنهى فصله هـــذا بما عيب من هـــذا الباب وهو قول أبي الحسن بن طباطبا الاصفهاني في وصف غلام :

مُنَعَّم الجسم يحكى الماء رقته
وقلبـــه قسوة يحـــكى أبا أوس

أي قلبه حجر فأبعد التناول . وقول أبي نواس :

اذا أنت أنكحت الكريمة كُفْأها
فأنكح حسيناً راحـــة بنت ساعد

وقل بالرفا ما نلت من وصل حرة
لهـــا راحة حفت بخمس ولائد

واختتمه بشنيع الكناية كقول بعض المتأخرين :

إنّي على شغفي بما في خمرها
لأعفّ عمـــا فـــي ســـراويلاتها

وقال : وسمعت بعض الشيوخ يقول : الفجور أحسن من عفاف يعبر عنه بهذا اللفظ (٧٤) .

وعد الشريف الرضي ت ٤٠٥ هـ كناية قوله صلى الله عليه وسلم :

« هذه مكة قد رمتكم بأفلاذ كبدها » فقال : « ولهذا الكلام معنيان : أحدهما أن يكون المراد به ، أن هؤلاء المعدودين صميم قريش ، ومحضها ولبابها وسرها ، كما يقول القائل منهم : فلان قلب بني فلان ، اذا كان من صرحائهم ، وفي النضار من أحسابهم ، فيجوز أن يكون المراد بالكبد ها هنا كالمراد بالقلب هناك ، لتقارب الشيئين ، وشرف العضوين فيكنى باسم كل واحد منهما عن العلق الكريم ، واللباب الصميم . . . » (٧٥) .

وقوله صلى الله عليه وسلم وقد نظر إلى أُحدٍ عند منصرفه من غزاة خيبر :

« هذا جبل يحبنا ونحبه » فقال : « وهذا القول محمول على المجاز لأن الجبل — على الحقيقة — لايصح ان يحب ولايحب ، إذ محبة الانسان لغيره انما هي كناية عن ارادة النفع له ، أو التعظيم المختص به . . . وكلا الأمرين لايصح على الجماد . . . فالمراد إذاً أن أحداً جبل يحبنا أهله ، ونحب أهله . وأهله هم أهل المدينة . . » (٧٦) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « إذا أراد الله بعبد خيراً عسله . قيل له يارسول الله ، وما عسله ؟ قال : يفتح له بين يدي موته عملاً صالحاً يرضي ، حتى يرضى عنه من حوله » فقال : « . . قوله عليه الصلاة والسلام : بين يدي موته ، ولا يد للموت على الحقيقة ، ولكنها كناية عن الشيء الواقع أمام الشيء المتوقع . . » (٧٧) .

---

(٧٤) الصناعتين — ٣٦٨ — ٣٧٠ .
(٧٥) المجازات النبوية — ١٤ .
(٧٦) نفسه — ١٥ — ١٦ .
(٧٧) نفسه — ٢١ — ٢٢ .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « بعثت في نسم الساعة إن كادت لتسبقني » فقال : وفي هذا القول استعارة لانه كنى عن ابتداء الساعة بالنسم . والنسم والنسيم جميعاً اسم لابتداء الريح وهي ضعيفة قبل شدتها . . » (٧٨) . وقوله الأخير هذا يغنينا في خلطه بين الكناية والاستعارة أو في الأصح عده الكناية من الاستعارة .

واذا كان أولئك العلماء قد اكتفوا بتخصيص فصل أو باب في كتبهم التي ألفوها فقد خص الكناية والتعريض أبو منصور الثعالبي ت ٤٢٩ هـ بكتاب مستقل يغنينا عن وصفه قوله في مقدمته :

« . . . ان هذا الكتاب خفيف الحجم ، ثقيل الوزن ، صغير الجرم ، كبير الغنم في الكنايات عما يستهجن ذكره ، ويستقبح نشره ، أو يستحيى من تسميته ، أو يتطير منه أو يسترفع ويصان بألفاظ مقبولة تؤدي المعنى ، وتفصح عن المغزى ، وتحسن القبيح ، وتلطف الكثيف ، وتكسوه المعرض الأنيق في مخاطبة الملوك ومكاتبة المحتشمين ، ومذاكرة أهل الفضل ، ومحاورة ذوي المروءة والظرف ، فيحصل المراد ، ويلوح النجاح ، مع العدول عما ينبو عنه السمع ، ولا يأنس به الطبع إلى مايقوم مقامه ، وينوب منابه ، من كلام تأذن له الآذان ، ولا يحجب القلب . وما ذلك الا من البيان في النفوس وخصائص البلاغة ، ونتائج البراعة ، ولطائف الصناعة .

وأراني لم اسبق الى تأليف مثله ، وترصيف شبهه ، وترصيع عقده ، من كتاب الله وأخبار النبي صلى الله عليه وسلم ، وكلام السلف ، ومن قلائد الشعراء ، ونصوص البلغاء ، وملح الظرفاء في أنواع النثر والنظم ، وفنون الجد والهزل .

---

(٧٨) نفسه ـ ٣٤ ـ ٣٥ .

وقد كنت ألفته سنة أربعمائة . . . . . . وسبكته ثانية بعد أولى ، ورددت في تبويبه وترتيبه ، وتأنقت في تهذيبه وتذهيبه ، وترجمته بكتاب « الكناية والتعريض » . . وأخرجته في سبعة أبواب ، يشتمل كل باب منها على عدة فصول مترجمة بمودعاتها :

فالباب الأول : في الكناية عن النساء والحرم وما يجري معهن ويتصل بذكرهن من سائر شئونهن وأحوالهن ، وفصوله خمسة .

والباب الثاني : في ذكر الغلماء ، ومن يقول بهم ؛ والكناية عن أوصافهم وأحوالهم وفصوله خمسة .

والباب الثالث : في الكناية عن بعض فضول الطعام ، وعن المكان المهيأ له ، وفصوله أربعة .

والباب الرابع : في الكناية عن المقابح والعاهات ، وفصوله اثنا عشر .

والباب الخامس : في الكنايات عن المرض والشيب والكبر والموت ، وفصوله ثمانية .

والباب السادس : فيما يوجبه الوقت والحال من الكناية عن الطعام والشراب وما يتصل بهما في فصلين .

والباب السابع : في فنون شتى من الكناية والتعريض مختلفة الترتيب ، وفصوله سبعة (٧٩) .

ولم يزد ابن رشيق القيرواني – ٤٥٦ ﻫ على عدها من المجاز ، وخلطها بالتورية ، والاشارة الى اشتقاق الكنية منها ، والتمثيل لها بعدد قليل من الآيات الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة ، وأقوال العرب ، فقال :

« أما كون التشبيه داخلاً في حد المجاز . . . انما يتشابهان على المسامحة .

---

(٧٩) الكناية والتعريض – المقدمة .

وكذلك الكناية في مثل قوله عزوجل اخباراً عن عيسى ومريم عليهما السلام : « كانا يأكلان الطعام » [٧٥ المائدة ٥] كناية عما يكنون به من حاجة الانسان .

وقوله تعالى حكاية عن آدم وحواء صلى الله عليهما : « فلمـــا تغشاها »[١٨٩ الاعراف ٣] كناية عن الجمـــاع وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « العين وكاء السه » وقوله لحادٍ كان يحدو به « اياك والقوارير » كناية عن النساء لضعف عزائمهن . . (٨٠) .

وأما الثورية في اشعار العرب فانما هي كناية بشجرة أو شاة أو بيضة أو ناقة أو مهرة أو ما شاكل ذلك كقول المسيب بن علس :

دعـــا شجر الأرض داعيهـــم
ليـــنصـــــره السدر والأثْـأبُ

فكنى بالشجر عن الناس . وهم يقولون في الكلام المنثور : جاء فلان بالشوك والشجر : إذا جاء بجيش عظيم .

والعرب تجعل المهاة شاة ، لانها عندهم ضائنة الظباء ، ولذلك يسمونها نعجة وعلى هذا المتعارف في الكناية جاء قول الله عزوجل في اخباره عن خصم داود عليه السلام « ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ، ولي نعجة واحدة »]٢٣ ص ٣٨] كناية بالنعجة عن المرأة . وقال امرىء القيس :

وبيضة خـــدر لا يرام خباؤها
تمتعت من لهوٍ بها غير معجل

كناية بالبيضة عن المرأة .

ومن الكناية اشتقاق الكنية ، لانك تكني عن الرجل بالأبوة فتقول : أبو فلان باسم ابنه ، أو ماتعورف في مثله ، أو ما اختاره لنفسه . تعظيماً له وتفخيماً.

---

(٨٠) العمدة ــ ٢٦٨/١ .

وتقول ذلك للصبي على جهة التفاؤل بأن يعيش ويكون له ولد » (٨١) .

وتحدث ابن سنان الخفاجي – ٤٦٦ هـ عن الارداف والتتبيع بمثل ما تحدث به أبو هلال العسكري وقدامة بن جعفر قبله فقال :

ومن نعوت البلاغة والفصاحة أن تراد الدلالة على المعنى ، فلا يستعمل اللفظ الخاص الموضوع له في اللغة ، بل يؤتى بلفظ يتبع ذلك المعنى ضرورة فيكون في ذكر التابع دلالة على المتبوع . وهذا يسمى الارداف والتتبيع ، لأنه يؤتى فيه بلفظ هو ردف اللفظ المخصوص بذلك المعنى وتابعه .

والأصل في حسن هذا أن يقع فيه من المبالغة في الوصف ، مالا يكون في نفس اللفظ المخصوص بذلك المعنى وجاء بقول عمر بن أبي ربيعة « بعيدة مهوى القرط . . » وقول امرىء القيس « وتضحي فتيت المسك . . الخ » وقوله :

وقد اغتدي والطير في وكناتها

بمنجرد قيـــد الأوابد هيكل

واشار الى مافي الكنايات من المبالغة والاستحسان ، وعقب قائلاً : وأصحاب صناعة البلاغة يذكرون الارداف ، ولايشرحون العلة من سببه ، وحسنه من المبالغة التي نبهنا ، عليها ومنه في النثر قول اعرابية وصفت رجلاً فقالت : لقد كان منهم عمار ، وما عمار ؟ طلاّب بأوتار ، لم تخمد له قَطّ نار ، وأنها أرادت بقولها : لم تخمد له نار كثرة اطعامه الطعام . . . وقول الأخرى : له ابل قليلات المسارح ، كثيرات المبارك ، اذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك .

واختتم ما جاء به يقول البحتري وما حمله عليه فقال :

(٨١) العمدة – ١/٣١١ – ٣١٢ .

ومن هذا الفن من الارداف قول أبي عبادة :

فأوجرته أخرى فأضللت نصله

بحيث يكون اللب والرعب والحقد .

ومما يجري مجرى قول أبي عبادة قول غيره

الضاربين بكل أبيض مخذم

والطاعنين مجامع الأضغان (٨٢)

كما أنه تحدث عن المماثلة بمثل ما تحدث به أبو هلال العسكري، فقال : « ومن نعوت الفصاحة والبلاغة أن يراد معنى فيوضح بألفاظ تدل على معنى آخر ، وذلك المعنى مثال للمعنى المقصود . وسبب حسن هذا مع ما يكون فيه من الايجاز ، أن يمثل المعنى ويوضحه ويخرجه الى الحس والمشاهدة .

وهذه فائدة التمثيل في جميع العلوم، لان المثال لابد من أن يكون أظهر من الممثل ، فالغرض بايراده إيضاح المعنى وبيانه » وجاء ببيت الرمّاح بن ميادة

ألَم تك في يُمْنى يديك جعلتني

فلا تجعلني بعدها في شمالكا

وقول الآخر :

تــركت يدي وشـــاحـــاً لـــه

وبعض الفـــوارس لا يعتـــنق

وقول زهير :

ومن يعص أطراف الزجاج فانه

يطيع العوالي رُكِّبَت كل لهذم

(٨٢) سر الفصاحة ـ ٢٧٠ ـ ٢٧٣ .

ومن النثر ماكتبه مروان بن محمد للوليد بن يزيد وقد بلغه توقفه عن البيعة :
أما بعد فأني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى ، فأذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام .

وما كتب به الحجاج الى المهلب حين حضّه على قتال الأزارقة وتوعده ، فقال :
فأن أنت فعلت ذلك ، وإلا شرعت إليك صدر الرمح .

فأجابه المهلب ، وقال : فان يشرع الأمير الي صدر الرمح قلبت له ظهر المجن

وعقب ابن سنان قائلاً : وهذا كله إنما حسن، لما فيه من الايضاح والايجاز، وقدمنا تأثيرهما في الفصاحة والبلاغة (٨٣) .

وتحدث عن الكناية بصريح لفظها في موضع آخر ، وعدها من حسن اختيار الألفاظ ، واستخدامها في مواضعها اللائقة بها ، فقال :

«ومن هذا الجنس حسن الكناية ، عما يجب أن يكنى عنه ، في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح ، وذلك أصل من أصول الفصاحة ، وشرط من شروط البلاغة ، وإنما قلنا : في الموضع الذي لايحسن فيه التصريح ، لأن مواضع الهزل والمجون ، وإيراد النوادر يليق بها ذلك ، ولا تكون الكناية فيها مرضية ، فأن لكل مقام مقالا ، ولكل غرض فناً وأساوباً .

ومما يستحسن من الكنايات قول امرىء القيس

فصرنا إلى الحسنى ودَقّ كلامنا
ورضت فذلت صعبة أيّ إذلال

لانه كنى عن المباضعة بأحسن مايكون من العبارة .

ونقل اطلاق بعضهم لفظ الوديعة، على ابنته التي أنفذها إلى زوجها ، وإعجاب الكتّاب بهذه الكناية فاعتمدوها .

(٨٣) سر الفصاحة ـ ٢٧٣ ـ ٢٧٥ .

ومثل تكنيتهم عن الهزيمة بالتحيز إتباعاً لقول الله تعالى : « ومن يولهم يومئذٍ دبره إلا متحرِّفاً لقتال أو متحيِّزاً إلى فئة » [١٦ الانفال ٨] حيث صارت هذه العبارة للكتّاب سُنَّة .

وقول وزير المقتدر بالله للغزّال الذي أحضر لاستخلاص خيوط الذهب من العلم المذهَّب الخَلِق : كيف السبيل الى أخذ ما على هذا من الذهب ؟؟ قال : يحرق . فصاح به صيحة عظيمة ، وقال : ويلك ، ماهذا التهجم ؟؟ أتحرق أعلام أمير المؤمنين ؟ ؟ وأمر باخراجه ، واعتذر عنه من في المجلس بعدم الفهم ، وأعيد بعد أن لقِّن ماينبغي قوله . فما أن سأله الوزير بعد أن أدخل عليه حتى قال له : مايرسمه سيدنا الوزير ، فقال له الوزير : قل يستخلص ، فقالها وأخذ العلم وانصرف ، واحضر ماخرج منه من الذهب .

كما أورد ابن سنان بيتين للمتنبي قائلاً :

ومن هذا الفن أيضاً — من حسن الكناية — قول أبي الطيب :

تدَّعي ما ادعيت من ألم الشو
ق إليها ، والشوق حيث النحول

لانه كنى عن كذبها فيما ادعته من شوقها بأحسن كناية ، وكذلك قوله :

لـــو أن فَنَّاخُسرَ صَبَّحكم
وبرزت وحـــدك عاقه الغـــزل

لانه أراد : انهزم ، فكنى عن هزيمته بعاقه الغزل ، وتلك احسن كناية في هذا الموضع (٨٤) .

والذي أراه أن البيت الأول انما هو تعريض أكثر منه كناية ، فالتشكيك بصحة دعواها أخذ من عرض البيت ، وليس من لفظ بذاته أو عبارة بعينها ، وعبارة

(٨٤) سر الفصاحة ـ ١٩٢ ـ ١٩٥ .

(والشوق حيث النحول) ليست كناية – بذاتها – عن الكذب ، لولا معاضدة (تدعي) ولولا امتلاء جسم هذه المدعية ، ولو كانت نحيلة لكانت العبارة لها ، وليست عليها .

كما أرى أنه أبعد في عَدّ (عاقه الغزل) في البيت الثاني كناية عن الهزيمة . فمن ذا يَعُدُّ الذي عاقه الغزل عن القتال ، أو عن أي شيء آخرمنهزماً ؟؟ . والذي يبدو لي أن المتنبي أراد المبالغة في وصف جمال المتغزل بها ، لدرجة صارت معها تشغل الساعي بهمة وَجَدٍّ واقتدار إلى مهمة ، عن أداء مهمته . وشتان بين الانشغال بالغزل ، وما فيه من اقبال على المتغزل بها ، والهزيمة وما فيها من إدبار المنهزم عمن هزمه .

والقصيدة – بعد هذا . في مدح فناخسر (عضد الدولة) فكيف يلحق به المتبني الهزيمة تصريحاً أو تلميحاً ؟؟ .

وابن سنان الذي تأول مثل هذه العبارات كنايات أنكر على من ذهب – من المفسرين الى أن قوله تعالى : « كانا يأكلان الطعام » [٧٥ المائدة ٥] كناية عن قضاء الحاجة فقال : (وليس الأمر على ماقال ، بل معنى الكلام على ظاهره ، لأنه كما لايجوز أن يكون المعبود محدثاً . كذلك لايجوز أن يكون طاعماً ، وهذا شيء ذكره الجاحظ وهو صحيح .

مع أن القول للنظّام وكان جديراً به أن يعزوه لقائله بدلاً من ذاكره .

ومتابعة ابن سنان لأبي هلال في الارداف والمماثلة والكناية غير خافية .

وجاء عبد القاهر الجرجاني ت ٤٧١ هـ ، فخصص فَصْلاً للفظ يطلق والمراد به غير ظاهره قال فيه :

« اعلم أن لهذا الضرب اتساعاً لا إلى غاية ، إلا أنه على اتساعه – يدور في الأمر الأعم على شيئين : الكناية والمجاز .

والمراد بالكناية هها : أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره

باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجييء الى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومىء به إليه ، ويجعله دليلاً عليه . مثال ذلك قولهم (هو طويل النجاد) يريدون طويل القامة و (كثير رماد القدر) يعنون : كثير القرى . وفي المرأة (نؤوم الضحى) والمراد : أنها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها . فقد أرادوا بهذا كله – كما ترى – معنى ، ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به ، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود ، وأن يكون إذا كان ، أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد ، وإذا كثر القرى كثر رماد القدر ، وإذا كانت المرأة مترفة لها من يكفيها أمرها ، ردف ذلك أن تنام إلى الضحى . . . . .

وقد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الافصاح ، والتعريض أوقع من التصريح ، وأن للاستعارة مزية وفضلاً ، وأن المجاز أبداً أبلغ من الحقيقة ... فنحن وإن كنا نعلمُ أنك إذا قلت : هو طويل النجاد ، وهو جم الرماد ، كان أبهى لمعناك وأنبل من أن تدع الكناية وتصرح بالذي تريد . . . . ونقطع على ذلك ، حتى لايخالجنا شك فيه ، فانما تسكن أنفسنا تمام السكون إذا عرفنا السبب في ذلك ، والعلة ، ولِـم كان كذلك ، وهيأنا له عبارة تفهم عنا من نريد إفهامه ، وهذا هو القول في ذلك :

اعلم أن سبيلك أولاً أن تعلم أن ليست المزية التي تثبتها لهذه الأجناس على الكلام المتروك على ظاهره ، والمبالغة التي تدعى لها في أنفس المعاني التي يقصد المتكلم إليها بخبره ، ولكنها في طريق إثباته لها ، وتقريره إياها . تفسير هذا أن ليس المعنى إذا قلنا : ان الكناية أبلغ من التصريح أنك لما كنيت عن المعنى زدت في ذاته ، بل المعنى أنك زدت في إثباته ، فجعلته أبلغ وأكثر واشد . فليست المزية في قولهم : جم الرماد أنه دل على قرى اكثر ، بل إنك أثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ ، وأوجبته إيجاباً هو اشد ، وادعيته

دعوى أنت بها أنطق ، وبصحتها أوثق . . . . . . أما الكناية فأن السبب في أن كان للاثبات بها مزية لاتكون للتصريح أن كل عاقل يعلم إذا رجع الى نفسه ، أن إثبات الصفة باثبات دليلها ، وايجابها بما هو شاهد في وجودها أكد وأبلغ في الدعوى من أن تجييء إليها فتثبتها هكذا ساذجاً غفلا . وذلك أنك لاتدعى شاهد الصفة ودليلها ، إلا والأمر ظاهر معروف ، وبحيث لايشك فيه ، ولايظن بالمخبر التجوز والغلط (٨٥) .

وتحدث في فصل آخر عن كناية النسبة فقال :

« هذا فن من القول دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، وهو أنّا نراهم كما يصنعون في نفس الصفة ، بأن يذهبوا بها مذهب الكناية والتعريض ، كذلك يذهبون في إثبات الصفة هذا المذهب . وإذا فعلوا ذلك بدت هناك محاسن تملأ الطرف ، ووقائق تعجز الوصف . ورأيت هناك شعراً شاعراً ، وسحراً ساحراً ، وبلاغة لايكمل لها الا الشاعر المفلق ، والخطيب المصقع . وكما أن الصفة اذا لم تأتك مصرحاً بذكرها ، مكشوفاً عن وجهها ، ولكن مداولاً عليها بغيرها ، كان ذلك أفخم لشأنها ، والطف لمكانها ، كذلك إثباتك الصفة للشيء . تثبتها له ، إذا لم تلقه الى السامع صريحاً ، وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرمز والاشارة ، كان له من الفضل والمزية ، ومن الحسن والرونق مالايقل قليله ، ولا يجهل موضع الفضيلة فيه .

وتفسير هذه الجملة وشرحها أنهم يرومون وصف الرجل ومدحه ، وإثبات معنى من المعاني الشريفة له ، فيدعون التصريح بذلك ، ويكنون عن جعلها فيه ، بجعلها في شيء يشتمل عليه ، ويتلبس به ، ويتوصلون في الجملة إلى ماأرادوا من الاثبات ، لامن الجهة الظاهرة المعروفة ، بل من طريق يخفى ، ومسلك يدق . ومثاله قول زياد الأعجم

(٨٥) دلائل الاعجاز – ٤٤ – ٤٨ .

إن السماحة والمروءة والندى
في قبة ضربت على ابن الحشرج

أراد كما لايخفى أن يثبت هذه المعاني والأوصاف خلالاً للممدوح ، وضرائب فيه فترك أن يصرح ، فيقول : إن السماحة والمروءة والندى لمجموعة في ابن الحشرج أو مقصورة عليه ، أو مختصة به ، وما شاكل ذلك مما هو صريح في اثبات الاوصاف للمذكورين بها ، وعدل إلى ماترى من الكناية والتاويح ، فجعل كونها في القبة المضروبة عليه عبارة عن كونها فيه ، وإشارة إليه ، فخرج كلامه بذلك إلى ماخرج إليه من الجزالة ، وظهر فيه ماأنت ترى من الفخامة . ولو أنه أسقط هذه الواسطة من البيتين لما كان إلا كلاماً غفلاً ، وحديثاً ساذجاً فهذه الصنعة في طريق الأثبات هي نظير الصنعة في المعاني إذ جاءت كنايات عن معان أخر نحو قوله :

وما يك فيَّ مِنْ عَيبٍ فاني
جبان الكلب مهزول الفصيل (٨٦)

وجاء بعدد من الكنايات عن نسبة الصفة الى الموصوف اكثر مما جاء به من الكنايات عن الصفات ذاتها ، وأشار الى تفاوتها في المزية والفضل ، منها قول يزيد بن الحكم في يزيد بن المهاب وهو في حبس الحجاج :

أصبح في قيدك السماحة والمجـ د وفضل الصلاح والحسب

وقول أبي نواس

فما جازه جود ولا حَلَّ دونه
ولكن يصير الجود حيث يصير

وقول الشنفرى يَصف امرأة بالعفة

(٨٦) دلائل الاعجاز ـ ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

يبيت بمنجاة من اللوم بيتها
اذا ما بيــوتٌ بالمــلامــة حلَّت

وقول حسان :

بنى المجد بيتاً فاستقرت عماده
علينا فأعيــا الناس أن يتحــولا

وقول البحتري :

أو ما رأيت المجد القى رَحْلَهُ
في آل طلحــة ثم لم يتحول

وقول أبي تمام :

أَبَيْنَ فما يَزُرْنَ سوى كريمٍ
وحسبك أنْ يَزُرْنَ أبا سعيد

وقولهم : المجد بين ثوبيه ، والكرم في برديه ، وغيرها (٨٧) وهكذا تحدث الجرجاني عن الكناية في المثبت ، والكناية في الاثبات ، أو الكناية عن الصفة ، والكناية عن النسبة . وهو في حديثه عن الكناية في المثبت لم يكن اكثر من شارح أو مفسر لما ذهب إليه قدامة بن جعفر قبله في الارداف ، وإذا خالفه في شيء ، إنما خالفه في تفسير الكناية بالارداف . والكنــاية عن الصفة خاصة وهو مالم يذهب إليه قدامة ولا غيره ممن وقفنا على أقوالهم فيهــا ، كما انفرد بالحديث عن كناية النسبة مثل هذا الحديث المفصل غير أنه لم يربطها بالارداف على نحو ما رأيناه في حديثه عن كناية الصفات . كمــا أنه تجنب إيراد الأمثلة والشواهد من القرآن الــكريم والحديث النبوي الشريف ، وأما الجرجاني (أحمد بن محمد ت ٤٨٢ هـ) فقد قال في مقدمة كتابه

(٨٧) نفسه ـ

(المنتخب من كنايات الأدباء واشارات البلغاء) ذاكراً فوائد كتابه وما تضمنه (. . فمن فوائده التحرز عن ذكـر الفواحش السخيفة بالكـنايات اللطيفة وإبدال مايفحشُ ذكره في الاسماع بما لا تنبو عنه الطباع . قال تعالى (وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراما) أي كنوا عن لفظه ولم يوردوه فأنهم اكرموا أنفسهم عن التلفظ به ، كما روي عن بنت أعرابي صرخت صَرخةً عظيمة فقال لَها أبوها ما الَكِ ؟ قالت لدغتني عقرب. قال لها أين ؟ قالت : في الموضع الذي لايضع فيه الراقي أنفه . وكانت اللدغة في إحدى سوأتيها ، فتنزهت بذكرها عن لفظها .

ومنها ترك اللفظ المتطير من كُرهٍ إلى ماهو أجمل منه كقولهم لعِقَ فلانٌ إصبعه ، واستوفى أكله ، ولحق باللطيف الخبير ، يكنون به عن الموت . فعدلوا إلى هذه الألفاظ تطيّراً من ذكره بلفظه ، وكقولهم للمهلكة مفازة تفاؤلاً بذكرها .

ومنها الكناية عن الصناعة الخسيسة بذكر منافعها ، كما قيل للحائك ما صناعتك ؟ قال : زينة الأحياء وجهاز الموتى ، وكما قال ابن الباقلاني :

أنا ابن الذي لاينزل الدهر قدره

وإن نزلت يومـاً فسوف تعود

ترى الناس أفواجاً الى ضوء ناره

فمنهـم قيـام حولهـا وقعـود

ومنها القصد إلى الذم بلفظ ظاهره المدح ، كقول العرب أرانيه الله أغرَّ مُحجَّلا أي مقيداً ، فظاهر اللفظ المدح وباطنه الذم .

ومنها الأمور الجارية بين البلغاء والأدباء مداعباتهم بمعاريض لايفطن لها إلا البلغاء ، كما في الروضة عن المبرد ، أنه حكى أن رجلاً من تميم قال لشريك النميري مافي هذه الجوارح أحب اليك من البازي ، قال : نعم إذا كان يصيد

القَطا . وكل منهما قصد مقصداً فهمه الآخر .

ومنها التوسع في اللغات والتفنن في الألفاظ والعبارات ، فانا إذا كنينا عن الملوك بقوم موسى ، وعن الشفيع المقبول بالشفيع العريان ، وعن المشهور أمره بقائد الجمل ، وعن الشيخ بقائد العنز ، وعن جامع كل شيء بسفينة نوح ، وعن الكثير السفر بخليفه الخضر ، وعن الكذاب بالفاخته ، وعن النّمام بالزجاجة ، اتسعت عبارة المتكلم بها وكثرت الفاظه ، الى غير ذلك

واعلم أن الأصل في الكنايات عبارة الانسان عن الأفعال التي تستر عن العيون عادة ، من نحو قضاء الحاجة والجماع بألفاظ تدل عليها ، غير موضوعة لها ، تنزها عن إيرادها على جهتها ، وتحرزاً عما وضع لأجالها ، إذ الحاجة إلى ستر أقوالها كالحاجة الى ستر أفعالها فالكناية عنها حرز لمعانيها ، قال تعالى (ولكن لاتواعدوهن سراً) فكنى عن الجماع بالسر لأنه يكون بين الآدميين على السر غالباً وما عدا الآدميين لايسره إلا الغراب . . . . . .

(. . فمبلغ ابوابه أربعة وعشرون باباً (الأول) في الكنايات الواردة في القرآن والآثار (الثاني) في الكنايات عن الزنا وما يتعلق به . . . .) (*).

وتحدث أبو طاهر محمد بن حيدر البغدادي – ٥١٧ ﻫ عن الارداف في موضعين من كتابه ، اقتصر في الموضع الأول على إيراد الأمثلة المنثورة بعد أن ذكر حَدّ الارداف المعروف عند كل من سبقوه (٨٨) .

وكرر ذكر هذا الحد في الموضع الثاني غير أنه اقتصر فيه على إيراد الشواهد الشعرية له (٨٩) .

كما أنه تحدث عن التمثيل والمماثلة في موضعين من كتابه كذلك ، الأول في

(*) المنتخب من كتابات الأدباء – المقدمة .

(٨٨) قانون البلاغة : ٤٧ – ٤٩ .   (٨٩) نفسه : ٩٣ .

المنثور (٩٠) والثاني في المنظوم (٩١) .

واشار الى أن التمثيل معاكس لمذهب الارداف إذ كان في ذلك قوة الاسهاب والبسط – كما ذهب – وفي هذا قوة الايجاز والجمع (٩٢) .

واكتفى في الحديث عن الكناية والتعريض بقوله :

« وأما الكناية والتعريض فكقول القائل :

وأحمر كالديباج أمّا سمــــاؤه
فَريّا وأمـــا أرضـــه فَمُحُولُ

حسن جمعه بين سراته وقوائمه على تفاوتهما في خلقة الفرس لأنه ألف بينها بنسبين هما الأرض والسماء، والنسب الثاني أنه ضاد بينهما بضدين محمودين : اندماج السراة وريّها ، ونحض القوائم وظمئها) (٩٣) .

ووقف الزمخشري – ٥٣٨ هـ عند كثير من الكنايات القرآنية فقال في الآية : « احل لكم ليلة الصيام الرفث . . » [١٨٧ البقرة ٢] أي أحَلّ الله . وقرأ عبدالله : الرفوث ، وهو الافصاح بما يجب أن يكنى عنه كلفظ النيك . وقد أرفث الرجل، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه أنشد وهو مُحرِم.

وهن يمشيـــن بنـــا همـــيسا
إن تصــــدق الطيـــر ننك لميسا

فقيل له : أرفثت ، فقال : إنما الرفث ماكان عند النساء .

وقال تعالى : « فلارفث ولافسوق» [١٩٧ البقرة ٢] فكنى به عن الجماع ، لانه لايكاد يخلو من شيء من ذلك (فأن قلت) : لم كنى عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح ، بخلاف قوله :

---

(٩٠) قانون البلاغة : ٤٩ – ٥٠ .
(٩١) نفسه : ١٠٥ .
(٩٢) نفسه : ٥٠ .
(٩٣) نفسه : ١٠٩ .

(وقد أفضى بعضكم الى بعض) [٢١ النساء ٤] ، (فلما تغشاها) [١٧٩ الاعراف ٧] ، (باشروهن) [١٨٧ البقرة ٢] ، (أولا مستم النساء) [٤٢ النساء ٤] ، (دخلتم بهن) [٢٣ النساء ٤] ، (فأْتوا حرثكم) [٢٢٣ البقرة ٢] ، (من قبل أن تمسوهن) [٢٣٧ البقرة ٢] ، (فمـــا استمتعتم به منهن) [٢٤ النساء ٤] ، (ولا تقربوهن) [٢٢٣ البقرة ٢] (قلت) استهجاناً لما وجد منهم قبل الاباحة ، كما سماها اختتاناً لأنفسهم (فأن قلت) لم عَدَّى الرفث بإلى (قلت) لتضمينه معنى الافضاء . ولمّا كان الرجل والمرأة يعتنقان ، ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه ، قال الجعدي (٩٤) .

اذا ما الضجيع ثنى عطفها

تثنت فكـــانت عليـــه لباسا

وقال :

« (فان قلت) فالاصبع التي تسد بها الاذن إصبع خاصة ، فلم ذكر الاسم العام دون الخاص (قلت) لان السَّبّابة فعّالة ، من السّبّ ، فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن ، ألا ترى أنهم قد استبشعوها ، فكنوا عنها بالمسبحة والسبّاحة والمهللة والدّعّاءة (فان قلت) فهلا ذكر بعض هذه الكنايات (قلت) هي ألفاظ مستحدثة ، لم يتعارفها الناس في ذلك العهد ، وإنما أحدثوها بعد »(٩٥).

وقال : « وأحيط به عبارة عن إهلاكه ، وأصله من أحاط به العدو ، لأنه إذا أحاط به فقد ملكه ، واستولى عليه . ثم استعمل في كل هلاك ، ومنه قوله تعالى : « إلا أن يحاط بكم) [٦٦ يوسف ١٢] ومثله قولهم : أتى عليه ، إذا أهلكه ، من أتى عليهـــم إذا جاءهم مستعليـــاً عليهم . وتقليب

(٩٤) الكشـاف ــ ١/٢٤٩ .
(٩٥) نفسـه ــ ١/١٦٧ .

الكفين : كناية عن الندم والتحسر ، لأن النادم يقلب كفيه ظهراً لبطن ، كما كني عن ذلك بِعَضِّ الكف ، والسقوط في اليد . ولأنه في معنى الندم عُدِّي تعديته بعلى ، كأنه قيل : فأصبح يندم) (٩٦) .

وقال في الآية : « وحملناه على ذات ألواح ودسر) [١٣ القمر ٥٤] (أراد السفينة ، وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات ، فتنوب منابها ، وتؤدي مؤداها ، بحيث لايفصل بينها وبينها . ونحوه :

* ولكن قميصي مسرودة من حديد *

أراد : ولكن قميصي درع . وكذلك : * ولو في عيون النازيات باكرع — أراد : ولو في عيون الجراد .

ألا ترى أنك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة أو بين الدرع والجراد وهاتين الصفتين لم يصح ، وهذا من فصيح الكلام وبديعه . . » (٩٧)

وقال في الآية : « أن تقول نفس ياحسرتا على مافرطت في جنب الله » [٥٦ الزمر ٣٩] والجنب : الجانب ، يقال : أنا في جنب فلان ، وجانبه : يريدون في ، حقه قال سابق البربري :

أما تتقين الله في جنب وامق

له كبـــد حرّى عليك تقطّـــع

وهذا من باب الكناية ، لانك إذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه . ألا ترى الى قوله :

إن السماحة والمروءة والندى

في قبة ضربت على ابن الحشرج

(٩٦) الكشـاف ــ ٢/٢٠٩ .

(٩٧) نفسـه ــ ٣/١٤٩ .

ومنه قول الناس : لمكانك فعلت كذا : يريدون لأجلك .

وفي الحديث : من الشرك أن يصلي الرجل لمكان الرجل ، وكذلك فعلت هذا من جهتك . فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع الى أداء الفرض بين ذكر المكان وتركه قيل : فرطت في جنب الله ، على معنى فرطت في ذات الله .

(فأن قلت) : فمرجع كلامك الى أن ذكر الجنب كلا ذكر ، سوى مايعطي من حسن الكناية وبلاغتها ، فكأنه قيل : فرطت في الله ، فما معنى فرطت في الله (قلت) لابد من تقدير مضاف محذوف ، سواء ذكر الجنب أو لم يذكر ، والمعنى : فرطت في طاعة الله ، وعبادة الله ، وما اشبه ذلك (٩٨) وأشاد بكنايات القرآن الكريم في اكثر من موضع فقال :

« . . ولانرى أحسن ، ولاألطف ، ولاأحد للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه » (٩٩) وقال : « وقوله : (هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرهن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المطهرين ، نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » [٢٢٣ البقرة ٢] من الكنايات اللطيفة ، والتعريضات المستحسنة ، وهذه وأشباحها في كلام الله آداب حسنة ، على المؤمنين أن يتعلموها ، ويتأدبوا بها ، ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم ..» (١٠٠)

واشار الى ما تفيده الكناية من بلاغة وايجاز فقال :

« . . والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصاراً ووجازاً ، تغنيك عن طول المكنى عنه ، ألا ترى أن الرجل يقول : ضربت زيداً في موضع كذا على صفة كذا ، وشتمته ، ونكلت به ، ويعد كيفيات وأفعالاً ، فتقول له : بئسما فعلت ، ولو ذكرت ماأنبته عنه لطال عليك) (١٠١) .

(٩٨) الكشاف ـ ٣١/٣ .
(٩٩) نفسه ـ ٢٤١/٢ .
(١٠٠) نفسه ـ ٢٦٤/١ .
(١٠١) نفسه ـ ١٩٢/١ .

وقال : « ـ. وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغـــة، وفائدته الايجاز الذي هو من حلية القرآن وتهويل شأن العناد بانابة اتقاء النار منابه . . . . » (١٠٢) .

كما أنه فرق بين الكناية والتعريض فقال :

« فأن قلت : أي فرق بين الكناية والتعريض ؟؟ (قلت) : الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له ، كقولك : طويل النجاد والحمائل لطويل القامة وكثير الرماد للمضياف .

والتعريض : أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره ، كما يقول المحتاج للمحتاج إليه: جئتك لأسلم عليك، ولأنظر الى وجهك الكريم، ولذلك قالوا :

* وحسبك بالتسليم مني تقاضيا *

وكأنه إمالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ، ويسمى التاويح لأنه ياوح منه ما يريده) (١٠٣) .

وخصص اسامة بن منقذ ت٥٨٤ هـ باباً بعنوان : الكناية ـ والاشارة وفرق بينهمابأن الاشارة الى كل شيء حسن والكناية عن كل شيء قبيح فقوله تعالى : «فيهن قاصرات الطرف » [٥٦ الرحمن ٥٥] اشارة الى عفافهن ، وقوله تعالى « كانا يأكلان الطعام » [٧٥ المـــائدة ٥] كناية عن قضاء الحاجة . وحشد في هذا الباب جل أمثلة الكناية ، التي وقف عليها في كتب السابقين، بعنوان الارداف والتتبيع أو المماثلة أو الاشارة أو التعريض أو الكناية ذاتها ، فجاء بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية والابيات الشعرية ، والعبارات المنثـورة ويكفينا الوقوف على نماذج مما أورده كقول عنترة :

بطل كأن ثيابه في سرحـــة
يحذى نعـــال السبت ليس بتوأم

---

(١٠٢) الكشـاف ـ ١/١٩٣ .
(١٠٣) نفسه ـ ١/٢٧١ .

اشار بقوله : كأن ثيابه في سرحة الى طول قامته ، وبقوله : يحذى نعال السبت الى أنه ملك . وبقوله : ليس بتوأم الى أنه قوي شديد .

وقول ابن مقبل : * هرت الشقاشق ظلامون للجزر *

اشار الى فصاحتهم ، ونحرهم الابل من غير علة . ومنه

* كأن أخمصها بالشوك منتعل * وأضاف قائلاً :

ومنه أن يريد المتكلم شيئاً فيعبر عنه بلفظ غير لفظه كقولهم : فلان نقي الثوب أي لاعيب فيه ، وطاهر الجيب : أي ليس بغادر ، وطيب الحجز ، : أي عفيف ، ودنس الثوب : أي فاجر ، وغمر الرداء : أي كثير المعروف ، وطرب العنان : أي فرس مسرع ، ومغلول اليدين : أي بخيل .

ويقال : كبا زنده ، وأفل نجمه ، وذهب ريحه ، وطفئت جمرته ، وأخلف نوؤه ، وانكسرت شوكته ، وكلّ حده ، وفُلّ غربه ، وتضعضع ركنه ، وفت عضده ، ولانت عريكته . وكل هذه اسماء المماثلة والمشابهة . . .

ومن مليح التعريض الجيد ماكتبه عمرو بن مسعدة الى المأمون . . أما بعد ، فقد استشفع بي فلان في إلحاقه بنظرائه ، فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب الشافعين ، ولو فعلت ذلك لتعديت طاعته والسلام . فوقع المأمون في كتابه : قد عرفنا تصريحك له ، وتعريضك بنفسك ، فأجبناك اليهما ...) (١٠٤)

فجاء بهذا كله من أمثلة التعريض والمماثلة مع أنه لم يسبق له أن تحدث عنهما بشيء . ولم يسبق لنا أن وقفنا على من خص الاشارة بالحسن .

ولخص الفخر الرازي ت٦٠٦هـ – ماذهب إليه عبدالقاهر الجرجاني في الفصل الأول من الفصول الثلاثة التي تحدث بها عن الكناية (١٠٥) وأوضح في الثاني منها أن الكناية ليست من المجاز فقال : « وبيانه أن الكناية عبارة عن أن تذكر

---

(١٠٤) البديع في نقد الشعر – ٩٩ – ١٠٤ .

(١٠٥) نهاية الايجاز – ١٠٢ – ١٠٥ .

لفظة وتفيد بمعناها معنى ثانياً هو المقصود . واذا كانت تفيد المقصود بمعنى اللفظ ، وجب أن يكون معناه معتبراً . وإذا كان معتبراً ، فما نقلت اللفظة عن موضوعها ، فلا يكون مجازاً .

مثاله : إذا قلت : كثير الرماد فأنت تريد أن تجعل حقيقة كثرة الرماد دليلاً على كونه جواداً . فأنت قد استعملت هذه الألفاظ في معانيها الأصلية ، ولكن غرضك في إفادة كونه كثير الرماد معنى ثان يلزم الأول ، وهو الجود . وإذا وجب في الكناية اعتبار معانيها الأصلية ، لم تكن مجازاً أصلاً) وأوضح ضعف ماذهب إليه الشيخ عبدالقاهر في تعليل بلاغة الكناية ، وترجيحها على التصريح فقال :

« الفصل الثالث في ترجيح الكناية على التصريح ، وترجيح الاستعارة على التصريح والتشبيه : . . . . اعلم أن السبب في كون الكناية أبلغ من الافصاح هو أن الكناية ذكر الشيء بواسطة ذكر لوازمه ، ووجود اللازم يدل على وجود الملزوم . ومعلوم أن ذكر الشيء مع دليله أوقع في النفوس من ذكر الشيء لامَعَ دليله ، فلاجل ذلك كانت الكناية أبلغ . هذا ماقاله الشيخ ، وهو عندي ضعيف لوجهين :

الأول : انك إذا قلت فلان طويل النجاد ، فطول النجاد مشكوك فيه كما أن أن طول القامة مشكوك فيه ، وليس أحدهما أظهر – عند العقل – من الآخر ، حتى يستدل بالأعرف على الأخفى ، اللهم إلا اذا جعلنا الطريق الى معرفة طول النجاد الحس ، ولكنه أيضاً كان في معرفة طول القامة فظهر ضعف هذه العلة .

الثاني : وهو ا ستدلال باللازم على الملزوم طريقة باطلة ، فأن الحياة لازمة للعلم ، ولا يمكن الاستدلال بوجود الحياة على وجوده ، فبطل ماقاله » وهكذا أوغل في الحجاج المنطقي ؛ و الاحتكام الى العقل ، وإقحام اللازم والملزوم ، والاعراض

عن الارداف والتوابع من غيرما ذكر أو إشارة الى موضع المزية ، ومكان الفضل في التعبير بالكناية والاستعارة على التصريح ، والغريب أن الرازي أعرض هنا عن تبيان وجه المزية التي ناقش الجرجاني فيما ذهب إليه فيه ، وتولى تبيانها في مؤلف آخر من مؤلفاته فقال : « وأما تلطيف الكلام ، فهو : أن النفس إذا وقفت على تمام المقصود ؛ لم يبق لها شوق إليه أصلاً ، لأن تحصيل الحاصل محال ، وإن لم تقف على شيء منه أصلاً لم يحصل لها شوق إليه . فأما إذا عرفته من بعض الوجوه دون البعض ، فأن القدر المعلوم يشوقها الى تحصيل العلم بما ليس بمعلوم ، فيحصل لها بسبب علمها بالقدر الذي علمته لذة ، وبسبب حرمانها من الباقي ألم ؛ فتحصل هناك لذات وآلام متعاقبة ، واللذة إذا حصلت عقيب الألم كانت أقوى ، وشعور النفس بها أتم .

وإذا عرفت هذا ، فنقول : إذا عبر عن الشيء باللفظ الدال عليه على سبيل الحقيقة ، حصل كمال العلم به ، فلا تحصل اللذة القوية أما إذا عبر عنها بلوازمها الخارجية ، عرف لا على سبيل الكمال ، فتحصل الحالة المذكورة التي هي : « كالدغدغة النفسانية » .

فلأجل هذا كان التعبير عن المعاني بالعبارات المجازية ، ألذ من التعبير عنها بالألفاظ الحقيقية ، والله أعلم » (١٠٦) .

وهذا الذي ذهب اليه صحيح في جملته ،غير أنه لايمكن أن يكون السبب الوحيد في حصول المزية في المجازات كلها ، مع اختلافها ، وتعدد أغراضها وقد احتكم فيه الى النفس ونوازعها ، في حين أنه احتكم الى العقل ونص عليه في دفع ماذكره الجرجاني ، ولو احتكم فيه الى النفس أو إلى العرف لكان له منه موقف آخر .

ومهما يكن من شيء ، فان اللزوم الذي أبرزه الرازي كان له أثره غير

(١٠٦) المحصول في أصول الفقه ــ حـ ١ ق ١ ص ٤٦٦ ــ ٤٦٧ .

الحميد ، في توجيه دراسة هذا اللون من ألوان التعبير وجهة منطقية ، أضرت به اكثر مما أفادته ، إذ شغل الدارسون بعده باللازم والملزوم ، وتعذر الانتقال من اللازم الى الملزوم ، مالم يكن اللازم ملزوماً بنفسه ، أو بانضمام قرينة إليه . لجواز أن يكون اللازم أعم ، ولا دلالة للعام على الخاص . فضلاً عما قيل فيهما ، من أنهما عقليان أو عرفيان ،وعفى هذا الجدل العقيم على الناحية الفنية في ،هذا اللون من التعبير الفني الرائع .

وذهب السكاكي ت ٦٢٦ ه الى أن « الكناية ترك التصريح بذكر الشيء الى ذكر مايلزمه ، لينتقل من المذكور الى المتروك . كما تقول : فلان طويل النجاد ، لينتقل منه الى ما هو ملزومه ، وهو طول القامة . وكما تقول : فلانة نؤوم الضحى ، لينتقل منه الى ماهو ملزومه ، وهو كونها مخدومة ، غير محتاجة الى السعي بنفسها في اصلاح المهمات . . .

وسمي هذا النوع كناية ، لما فيه من إخفاء وجه التصريح ، ودلالة كنى على ذلك لأن (ك ن ى) كيفما تركبت ، دارت مع تأدية معنى الخفاء ، من ذلك كنى عن الشيء ، يكني : إذا لم يصرح به ، ومنه الكنى وهو : ابو فلان ، وابن فلان ، وبنت فلان . سميت كنى لما فيها من اخفاء وجه التصريح باسمائهم الأعلام ، ومن ذلك نكى في العدو ينكى : إذا أوصل اليه مضار من حيث لا يشعر بها ، ومنه نكايات الزمان لجوائحها الملمة على بنيه من حيث لا يشعرون ... ثم إن الكناية تتفاوت الى تعريض ، وتلويح ، ورمز ، وإيماء ، وإشارة : ومساق الحديث يحسر لك اللثام عن ذلك .

والفرق بين المجاز والكناية يظهر من وجهين :

احدهما : أن الكناية لاتنافي إرادة الحقيقة بلفظها ، فلا يمتنع في قولك : فلان طويل النجاد ، أن تريد طول نجاده ، من غير ارتكاب تأول ، مع إرادة

طول قامته ، وفي قولك نؤومة الضحى ، أن تريد انها تنام ضحى ، لاعن تأويل يرتكب في ذلك ، مع ارادة كونها مخدومة مرفهة ، والمجاز ينافي ذلك ، فلا يصح في نحو رعينا الغيث ، أن تريد معنى الغيث ، وفي نحو قولك : في الحمام اسد ، ان تريد معنى الاسد من غير تأول ، وأنّى والمجاز ملزوم قرينة معاندة لارادة الحقيقة كما عرفت ، وملزوم معاند الشيء ، معاند لذلك الشيء .

والثاني : ان مبنى الكناية على الانتقال من اللازم الى الملزوم ، ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم الى اللازم ، كما سنعود الى هذا المعنى عند ترجيح الكناية على التصريح .

واذ قد سمعت أن الكناية ينتقل فيها من اللازم الى الملزوم ، فاسمع أن المطلوب بالكناية لايخرج عن أقسام ثلاثة :

احدها : طلب نفس الموصوف . وثانيها : طلب نفس الصفة ، وثالثها : تخصيص الصفة بالموصوف . والمراد بالوصف هاهنا كالجود في الجواد ، والكرم في الكريم ، والشجاعة في الشجاع وما جرى مجراها .

القسم الأول : في الكناية المطلوب بها نفس الموصوف ، الكناية في هذا القسم تقرب تارة وتبعد أخرى ؛ فالقريبة : هي أن يتفق في صفة من الصفات اختصاص بموصوف معين عارض ، فتذكرها متوصلاً بها الى ذلك الموصوف ، مثل أن تقول : جاء المضياف ، وتريد زيداً ، لعارض اختصاص للمضياف بزيد .

والبعيدة : هي أن تتكلف اختصاصها بأن تضم الى لازم آخر وآخر فتلفق مجموعاً وصفياً مانعاً عن دخول كل ماعدا مقصودك فيه ، مثل أن تقول في الكناية عن الانسان ، حي مستوي القامة ، عريض الاظفار .

القسم الثاني : في الكناية عن المطلوب بها نفس الصفة : ان الكناية في هذا القسم أيضاً تقرب تارة وتبعد أخرى ، فالقريبة هي أن تنتقل الى مطلوبك من

أقرب لوازمه إليه، مثل أن تقول: فلان طويل نجاده، أو طويل النجاد، متوصلاً به الى طول قامته، أو مثل أن تقول: فلان كثير أضيافه، أو كثير الأضياف، متوصلاً به الى أنه مضياف.

واعلم أن بين قولنا طويل نجاده، وقولنا طويل النجاد فرقاً، وهو أن الأول كناية ساذجة، والثاني كناية مشتملة على تصريح، فتأمل واستعن في درك ماقلت، بالبحث عن تذكير الوصف، في نحو فلانة: حسن وجهها، وعن تأنيث فلانة حسنة الوجه، وباستحضار ماتقدم لي في (حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر) في باب التشبيه. وان هذا النوع القريب تارة يكون واضحاً كما في المثالين المذكورين، وتارة خفياً كما في قولهم: عريض القفا، كناية عن الأبله، وفي قولهم: عريض الوسادة كناية عن هذه الكناية.

وأما البعيدة: فهي أن تنتقل الى مطلوبك من لازم بعيد، بوساطة لوازم متسلسلة مثل أن تقول: كثير الرماد، فتنتقل من كثرة الرماد الى كثرة الجمر ومن كثرة الجمر الى كثرة احراق الحطب تحت القدور، ومن كثرة احراق الحطب الى كثرة الطبائخ، ومن كثرة الطبائخ الى كثرة الأكلة، ومن كثرة الأكلة الى كثرة الضيفان، ثم من كثرة الضيفان الى أنه مضياف، فانظر بين الكناية وبين المطلوب بها كم ترى من لوازم . . . .

القسم الثالث: في الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف، هي أيضاً تتفاوت في اللطف، فتارة تكون لطيفة، وأخرى ألطف، وأنا أورد عدة أمثلة منها قول زياد الاعجم وهو لطيف:

ان السماحة والمروءة والندى

في قبة ضربت علي ابن الحشرج (١٠٧)

---

(١٠٧) مفتاح العلوم ــ ٢١٣ ــ ٢٢٠ .

وخصص ابن الاثير ت٦٣٧هـ النوع التاسع عشر من كتابه للكناية والتعريض ، وكتب فيه مايزيد على خمس وعشرين صفحة (١٠٨) ، أشار فيها الى خلط كثير من البلاغيين بينهما وذكر منهم الغانمي ، وابن سنان الخفاجي ، وأبا هلال العسكري ، ووعد بالتفريق بينهما ، فبدأ بالكناية وقال أنها حُدِّتْ : (باللفظ الدال على شيء ، على غير الوضع الحقيقي ، بوصف جامع بين الكناية والمكنى عنه) وأشار الى فساده ، لأنه يمكن أن يكون حداً للتشبيه كذلك .

وأورد ماذهب اليه علماء أصول الفقه من أنها : (اللفظ المحتمل) .

وذهب الى أنهم يريدون به اللفظ الذي يحتمل الدلالة على المعنى وخلافه . ونَبَّهَ على فساده أيضاً لأن كل كناية لفظ محتمل ، وليس كل لفظ محتمل كناية .

وانتهى الى أن حد الكناية الجامع لها هو (أنها كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز ، بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز) . وأضاف أنها مشتقة من الستر ، يقال : كنيت عن الشيء إذا سترته ، وأجرى هذا الحكم في الألفاظ التي يسترُ فيها المجاز بالحقيقة ، فتكون دالة على الساتر والمستور معاً . غير أنه تأولها تأويلاً آخر ، فذهب الى انها مأخوذة من الكنية ، التي يقال فيها أبو فلان . . .

كما رأى أنها جزء من الاستعارة لانها لاتكون إلا بطي المكنى عنه ، ونسبتها الى الاستعارة نسبة خاصٍ الى عام ، فكل كناية استعارة ، وليست كل استعارة كناية ، والاستعارة لفظها صريح ، والصريح هو مادل عليه ظاهر لفظه ، والكناية ضد الصريح ، لانها عدول عن ظاهر اللفظ ، وثالث هذه الفروق : حملها على جانب الحقيقة والمجاز ، خلافاً للاستعارة التي لاتحمل على غير المجاز ، فنسبة الكناية الى المجاز ، نسبة جزء الجزء وخاص الخاص . وذكر مايجوز أن يكون

(١٠٨) المثل السائر - ٤٩/٣ - ٧٥ .

كناية واستعارة ، باختلاف النظر إليه بمفرده ، والنظر الى مابعده ، ومثل لهذا بقول نصر بن سيار :

أرى خلل الرماد وميض جمر
ويوشك أن يكـون له ضرام

وأورد تقسيم البلاغين للكناية أقساماً ثلاثة فقال : وقد ذهب قوم الى أن الكناية تنقسم أقساماً ثلاثة : تمثيلاً ، وإردافاً ، ومجاورة .

وبعد أن أوضح المقصود بكل منها ، انتهى الى انه تقسيم غير صحيح ، لأن من شرط التقسيم أن يكون كل قسم منه مختصاً بصفة خاصة ، تفصله عن عموم الأصل ، لأن الكنايات عنده كلها تمثيل ، والمماثلة فيها تقل و تزداد تبعاً للافراد والتركيب لاغير ، فتقل في المفرد وتزداد في المركب ، فقال :

(ألاترى الى قوله تعالى : (انّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ، ولي نعجة واحدة) [٢٣ ص ٣٨] فانه أراد الاشارة الى النساء ، فوضع لفظاً لمعنى آخر ، وهو النعاج ، ثم مثل به النساء . وهكذا يجرى الحكم في جميع مايأتي من الكنايات ، لكن منها مايتضح التمثيل فيه ... ومنه مايكون دون ذلك في الشبهية .

وقد تأملت ذلك وحققت النظر فيه ، فوجدت الكناية إذا وردت على على طريق اللفظ المركب ، كانت شديدة المناسبة واضحة الشبهية ، وإذا وردت على طريق اللفظ المفرد لم تكن بتلك الدرجـة في قوة المناسبة والمشابهة ، ألا ترى الى قولهم (فلان نقي الثوب) وقولهم (اللمس) كناية عن الجماع ، فان نقاء الثوب اشد مناسبة وأوضح شبهاً ، لأنا اذا قلنا : نقاء الثوب من الدنس كنزاهة العرض من العيوب ، اتضحت المشابهة ، ووجدت المناسبة بين الكناية والمكنى عنه شديدة الملاءمة ، واذا قلنا : (اللمس كالجماع) لم يكن بتلك الدرجة في قوة المشابهة. وهذا الذي ذكر في أن من الكناية تمثيلاً وهو كـذا وكذا غير سائغ ولاوارد ، بل الكناية كلها هي ذاك . والذي قدمته من القول

هو الحاصر لها ، ولم يأت به أحد غيري) مع أنه بعد ذلك كله فسر الأمثلة التي أوردها على انها كنايات عن طريق الارداف وكنايات عن طريق التمثيل .
وميز التعريض بقوله :

« وأما التعريض فهو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي فأنك ان قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طاب : والله اني لمحتاج ، وليس في يدي شيء . . . فأن هذا واشباهه تعريض بالطاب ، وليس هذا اللفظ موضوعاً في مقابلة الطلب لاحقيقة ولا مجازاً ، انما دل عليه من طريق المفهوم ، بخلاف دلالة اللمس على الجماع . وعليه ورد التعريض في خطبة النكاح ..

فالتعريض أخفى من الكناية ؛ لان دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز ، ودلالة التعريض من جهة المفهوم ؛ لاباالوضع الحقيقي ولا المجازي ، وقد سمي تعريضاً لان المعنى فيه يفهم من عُرضه أي من جانبه . كما أن الكناية تشمل المفرد والمركب معاً ، و التعريض مختص بالمركب ، ولا يأتي في المفرد البتة .

واكتفى ابن الزملـكاني ت ٦٥١ هـ بتلخيص ما ذهب اليه الشيخ عبدالقاهر الجرجاني في الكناية عن الصفة وكناية النسبة والتمثيل لهما من غير ماشارة اليه (١٠٩) .

كما اكتفى ابن أبي الاصبع ـ ٦٥٤ هـ بقوله في باب الكناية :

« هي أن يعبر المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن ، وعن الفاحش بالطاهر » واستشهد بالكنايات القرآنية التي توارثتها الكتب البلاغية ، وأردفها بشاهد من السنة النبوية ، وعدد غير قليل من الشواهد الشعرية (١١٠) .

---

(١٠٩) التبيان ـ ٣٧ .
(١١٠) تحرير التحبير ـ ١٤٣ ـ ١٤٦ .

واكتفى العز بن عبد السلام ت ٦٦٠ هـ بايراد قول احدى النسوة في حديث أم زرع : زوجي رفيع العماد ، طويل النجاد ، عظيم الرماد ، قريب البيت من الناد . والاشارة الى مافيه من كنايات . ولعل أبرز ماجاء به أن الكناية ليست من المجاز فقال : (والظاهر أن الكناية ليست من المجاز لانها استعملت اللفظ فيما وضع له وأرادت به الدلالة على غيره ، ولم تخرجه عن أن يكون مستعملاً فيما وضع ، له ، وهذا شبيه بدليل الخطاب في مثل قوله (ولاتقل لهما أفٍ) [٢٣ الاسراء ١٧] وفي مثل نهيه عن التضحية بالعوراء والعرجاء) وقد سبقه الى هذا الفخر الرازي (١١١) .

وذهب التنوخي – من علماء القرن السابع – الى القول :

« ومن البيان الكناية والتعريض ، وهما معنيان متقاربان جداً وربما التبس على كثير من الفضلاء أمرهما ، فمثل احدهما بما يستحق أن يكون مثالاً للآخر ، وربما كان ذلك لكون اللفظ صالحاً للكناية من وجه ، والتعريض من وجه . والفرق بينهما أن الكناية وضع لفظ يراد به معنى ، يعرف من لفظ آخر هو أحق به ، لكن يعدل عنه لقبحه في العادة ، أو لعظمه ، أو لستره ، أو لما ناسب ذلك من الأغراض .

والتعريض : أن يذكر شيء يفهم منه غير ماوضع له ، لمناسبة بين المعنيين ... وقد نوع الكناية أهل البيان ، وسموا كل نوع باسم ، فمنها التمثيل . . . والكناية التي لاتحتمل الحقيقة مثل قول عنترة :

فشككت بالرمح الأصم ثيابه

ليس الكريم على القنا بمحرم .

وقد سمى بعض الناس هذا مجاورة ، وهو داخل تحت حد التمثيل . .

(١١١) الاشارة الى الايجاز – ٩٣ – ٦٤ .

ومن ذلك ماجاء بالأمثال السائرة . . . ومنها الارداف . . ومن الكناية ماليس بتمثيل ولا ارداف ولا مجاورة وهو كالذي سبق من الضمير ، والموصول وغيره . . .) (١١٢) .

وأخذ شهاب الدين الحلبي ت ٧٢٥ ﻫ ما ذهب اليه عبدالقاهر الجرجاني في الكناية ، وما ذهب اليه الرازي في خروجها عن المجاز فقال في نهاية حديثه عنها :

« واعلم أن الكناية ليست من المجاز ، لانك تعتبر في الفاظ الكناية معانيها الأصلية ، وتفيد بمعانيها معنى ثانياً ، هو المقصود ، فتريد بقولك (كثير الرماد) حقيقته ، وتجعل ذلك دليلاً على كونه جُداداً ، فالكناية ذكر الرديف وإرادة المردوف.

وأما التعريض : فهو تضمين الكلام دلالة ليس لها ذكر ، كقولك (ماأقبح البخل) لمن تعرض بأنه بخيل . .) (١١٣) .

وتابعه في هذا متابعة تكاد تكون تامة شهاب الدين النويري ت ٧٣٣ ﻫ بل أخذ الفاظه ذاتها في اخراج الكناية من المجاز (١١٤) .

ولخص القزويني ت ٧٣٩ ﻫ القسم الثالث من مفتاح السكاكي ، غير أن له في إيضاحه لهذا التلخيص مالم يكن له فيه كما صرح في مقدمته ولهذا عمدنا اليه ، ومما جاء في قوله :

« الكناية : لفظ أريد به لازم معناه ، مع جواز إرادة معناه حينئذ . . . . فالفرق بينها وبين المجاز من هذا الوجه . . . فأن المجاز ينافي ذلك . . . لأن المجاز ملزوم قرينة معاندة لارادة الحقيقة كما عرفت ، وملزوم معاند الشيء معاند لذلك الشيء .

(١١٢) الأقصى القريب ــ ٧٢ ــ ٧٤ .
(١١٣) حسن التوسل ــ ١٤١ ــ ١٤٧ .
(١١٤) نهاية الارب : ٧/٥٩ ــ ٦١ .

وفرق السكاكي وغيره بينهما بوجه آخر أيضاً ، وهو أن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم الى الملزوم ، ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم الى اللازم وفيه نظر ، لأن اللازم مالم يكن ملزوماً يمتنع أن ينتقل منه الى الملزوم ، فيكون الانتقال حينئذ من الملزوم الى اللازم . ولو قيل : اللزوم من الطرفين من خواص الكناية دون المجاز ، أو شرط لها دونه اندفع هذا الاعتراض ، لكن اتجه منع الاختصاص والاشتراط .

ثم الكناية ثلاثة أقسام ، لأن المطلوب بها إما غير صفة ولانسبة أو صفة ، أو نسبة . .) (١١٥) .

ولم يذهب الذين داروا في فلك القزويني الى غير ماذهب إليه مما يستوقف الباحث ، من هؤلاء : بهاء الدين السبكي ــ ٧٧٣ هـ (١١٦) ، وسعد الدين التفتازاني ــ ٧٩١ هـ (١١٧) وجلال الدين السيوطي ــ ٩١٠ هـ (١١٨) ، وأبو يعقوب المغربي ــ ١١١٠ هـ (١١٩) وابن معصوم ــ ١١٢٠ هـ (١٢٠) ، ومحمد عرفة الدسوقي ــ ١٢٣٠ هـ (١٢١) ، محمد البناني ــ ١٢٨٠ هـ(١٢٢).

واذا كان القزويني قد أخذ ماذهب اليه السكاكي أو اكثر ماذهب إليه بحكم تلخيصه لمفتاحه ، فقد أخذ العلوي ــ ٧٤٩ هـ ماذهب إليه عبد القاهر الجرجاني ، وصرح بهذا قائلاً :

---

(١١٥) الايضاح ــ ضمن شروح التلخيص ٤/٢٣٧ ــ ٢٧٣ .
(١١٦) الموضع نفسه .
(١١٧) الموضع نفسه .
(١١٨) عقود الجمان ــ ١٠٣ ــ ١٠٦ .
(١١٩) مواهب الفتاح ــ الموضع السابق .
(١٢٠) انوار الربيع ــ ٥/٣٠٩ ــ ٣١٦ .
(١٢١) حاشية الدسوقي ــ الموضع السابق .
(١٢٢) حاشية البناني ــ ٢/٣٠٠ ــ ٣١٢ .

« اعلم أن الكناية في لسان علماء البيان، ماعول عليه الشيخ عبدالقاهر الجرجاني، وحاصل ماقاله : هو أن يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له ، بل يأتي بتاليه ، فيومىء به إليه ، ويجعله دليلاً عليه .
وتلخيص ماقاله : هو اللفظ الدال على ماأريد به بالحقيقة والمجاز جميعاً .
وقولهم : فلان كثير رماد القدر ، فأن هذا الكلام عند اطلاقه قد دل على حقيقته ومجازه معاً ، فأنه دال على كثرة الرماد ، وهو حقيقته ، وقد دلّ على كثرة الضيفان وهو مجازه ، وهذا يخالف الاستعارة ، فأنك إذا قلت : جاءني الاسد ، وأنت تريد الانسان فأنه دال على المجاز لاغير ، والحقيقة متروكة .
والتفرقة بين التعريض والكناية ، هو أن الكناية دالة على ماتدل عليه بجهة الحقيقة والمجار جميعاً بخلاف التعريض ، فأنه غير دال على مايدل عليه حقيقة ، ولا مجازاً ، وانما يدل عليه بالقرينة ، فافترقا) (١٢٣) .

ولم أر الجرجاني ذكر المجاز فيما تحدث به عن الكناية ، ولاقابل بينه وبين الحقيقة ، ولاعمد الى كنايات القرآن الكريم ، ولافرق بين الكناية والتعريض فالظاهر أن العلوي انما عول على الجرجاني في مفهوم الكناية وتصرف فيما سواه (١٢٤) .

واذا كان العلوي قد عول في اكثر ماذهب اليه في الكناية على الجرجاني فقد عول ابن قيم الجوزية ــ ٧٥١ هـ على ماذهب إليه ابن الاثير بتصرف يسير وقد صرح بهذا قائلاً :

« . . . قال علماء البيان : ان الكناية ، هي اطلاق لفظ حسن يشير الى معنى قبيح . . . . قال بعض المتأخرين من الحذاق في هذا الفن :

الكناية ــ في اللغة ــ الستر ، وفي الصناعة : أن تقصد مجازاً بعيداً مناسباً

---

(١٢٣) الطراز ــ ٣/٣٣٩ ــ ٣٤٠ .
(١٢٤) الطراز ــ الموضع نفسه وانظر قول الجرجاني في هامش ٨٥ و ٨٦ في هذا البحث .

للحقيقة ضمنه أي ارادتها ، واذا استعمل اللفظ في ذلك كان ضرباً من الاستعارة . . . » وأما الثالث : – (يريد انواع الكناية). فقد اختلفت عبارات أهل هذه الصناعة فيها ، وآثرها ماذكره ابن الأثير في جامعة (١٢٥) .

وعوّل بدر الدين الزركشي ت ٧٩٤ هـ اكثر ماعول على ماذهب إليه القاضي ابراهيم بن علي الطرسوسي ت ٧٥٨ هـ ، حتى لكأنه أخذ جلّ ماجاء به عنه، إن لم يكن كله . فقال :

« اعلم أن العرب تعد الكناية من البراعة والبلاغة ، وهي عندهم أبلغ من التصريح .

قال الطرسوسي : واكثر أمثالهم الفصيحة على مجاري الكنايات ، وقد الف أبو عبيد وغيره كتباً في الأمثال ، منها قولهم : فلان عفيف الازار ، طاهر الذيل ، ولم يحصن فرجه . وفي الحديث : « كان إذا دخل العشر أيقظ أهله ، وشدّ المئزر» فكنوا عن ترك الوطء بشد المئزر ، وكنى عن الجماع بالعسيلة، وعن النساء بالقوارير ، لضعف قلوب النساء ، ويكنون عن الزوجة بربة البيت ، وعن الأعمى بالمحجوب والمكفوف ، وعن الابرص بالوضاح وبالابرش ، وغير ذلك .

وهو كثير في القرآن قال الله تعالى : « ولاجناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم » [٢٣٥ البقرة ٢] .

والكناية عن الشيء الدلالة عليه من غير تصريح باسمه .

وهي عند أهل البيان . . . . » (١٢٦) فاكتفى بما ذهب إليه عبدالقاهر الجرجاني، من غير ما اشارة إليه . وأضاف أنه اختلف في أنها حقيقة أو مجاز

(١٢٥) الفوائد ـ ١٢٦ ـ ١٢٧ .

(١٢٦) البرهان في علوم القرآن ـ ٢/٣٠٠ ـ ٣٠١ .

قائلاً « وقد اختلف في أنها حقيقة أو مجاز ، فقال الطرسوسي في العمدة : « قد اختلف في وجود الكناية في القرآن وهو كالخلاف في المجاز ، فمن أجاز وجود المجاز فيه أجاز الكناية ، وهو قول الجمهور ، ومن أنكر ذلك أنكر هذا .

وقال الشيخ عز الدين : الظاهر انها ليست بمجاز . . . . » (١٢٧).

ونقل عشرة أسباب من أسباب الكناية (١٢٨) .

وجاء الشريف الجرجاني – ٨١٦ هـ باكثر من تعريف للكناية ولم يشر الى من عرفها بما جاء به ، في غير تعريف واحد ، عزاه الى علماء البيان ، فقال : الكنية : ماصدر بأب أو أم أو ابن أو بنت .

الكناية : كلام استتر المراد منه بالاستعمال ، وإن كان معناه ظاهراً في اللغة سواء كان المراد به الحقيقة أو المجاز ، فيكون تردد فيما أريد به ، فلابد من النيّة ، أو مايقوم مقامها ، من دلالة كحال مذاكرة الطلاق ليزول التردد ويتعين ماأريد منه .

والكناية عند علماء البيان : هي أن يعبر عن شيء ، لفظاً كان أو معنى ، بلفظ غير صريح في الدلالة عليه ، لغرض من الأغراض ، كالابهام على السامع ، نحو جاء فلان ، أو لنوع فصاحة ، نحو فلان كثير الرماد : أي كثير القرى . الكناية : ماأستتر معناه ، لاتعرف إلا بقرينة زائدة ، ولهذا سموا التاء في قولهم : أنت ، والهاء في قولهم : إنه ، حرف كناية ، وكذا قولهم هو ، وهو مأخوذ من كنوت الشيء وكنيته ، أي : سترته) (١٢٩) .

وأما ابن حجة الحموي ت ٨٣٧هـ فقال : الكناية هي الارداف بعينه عند علماء البيان ، وانما علماء البديع أفردوا الارداف عنها . وعرفها بما عرفها به عبدالقاهر

---

(١٢٧) البرهان في علوم القرآن ٢/٣٠١ .
(١٢٨) نفسه – ٢/٣٠١ – ٣٠٩ . (١٢٩) التعريفات – ١٦٤ – ١٦٥ .

من غير ماشارة إليه . وأضاف أن الأبلغ في هذا الباب والابدع ان يكني التكلم عن اللفظ القبيح باللفظ الحسن ، والمعجز في ذلك قوله تعالى ، (كانا يأكلان الطعام) كناية عن الحدث . وقوله جـــل جلاله (وقد أفضى بعضكم الى بعض) [٢١ النساء ٤] يريد بذلك مايكون بين الزوجين، وقال : وعلى الجملة لاتجد معنى من هذه المعاني في الكتاب العزيز إلا بلفظ الكناية ، لان المعنى الفاحش متى عبر المتكلم عنه بلفظه الموضوع له ، كان الكلام معيباً من جهة فحش المعنى . . . والقرآن منزه عن ذلك ، واشار الى كثرتها في السنة النبوية وفي كلام العرب ، وأورد أمثلة محدودة منهما (١٣٠) .

ونقل السيوطي ت ٩١١ هـ – تعريف القزويني لها ، من غير ما اشارة إليه ، وصرح بنقله عن ابن الزملكاني ، فقال : وعبارة التبيان . . . .

كما صرح بنقله عن المصباح اسباب العدول عن التصريح الى الكناية ، فقال « قال في المصباح : وانما يعدل عن التصريح الى الكناية لنكتة كالايضاح أو بيان حال الموصوف ، أو مقدار حاله ؛ أو القصد إلى المدح أو الذم ، أو الاختصار ، أو الستر والصيانة أو النعمية والألفاز أو التعبير بالسهل أو عن المعنى القبيح باللفظ الحسن .

وعد قولهم : كثير الرماد في ساحة زيد قسماً رابعاً ، مع ما نبه عليه السكاكي والقزويني من أنها كنايتان عن صفة ، عن نسبة هذه الصفة ، إلى الممدوح أو الموصوف ، وليست قسماً رابعاً ، وأشار إلى الاعتذار بأنهما كنايتان .

وذهب الىأن الزمخشري استنبط كناية خامسة : وهي الجملة التي معناها على خلاف الظاهر ، فتؤخذ منها الخلاصة من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة والمجاز ، فيعبر بها عن المقصود ، كما في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) [٥طه٢٠] كناية عن الملك ، فان الاستواء على العرش لا يحصل إلا مع الملك

(١٣٠) الخزانة ـ ٣٥٩ ـ ٣٦١ .

فتجعل كناية عنه، و كذا قوله تعالى «والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه»[٦٧ الزمر ٣٩] كناية عن مقصود عظمته وكُنْهِ جلاله (١٣١) . والحق أن الزمخشري ليس بمستنبط لهـذا النوع من الكناية ، إذ معروف أن الكناية تكون بالمفرد والمركب ، وقد سبق لابي عبيد وغيره من المعنيين بالأمثال ، أن أشاروا الى مثل هذه الكنايات (١٣٢) .

وآثر ابن معصوم ت ١١٢٠ﻫ أنها في اللغة ترك التصريح ، وفي الاصطلاح ترك التصريح بذكر الشيء الى ذكر لازمه المساوي لينتقل الذهن منه الى الملزوم المطوي ذكره . ونقل انها أبلغ من التصريح إجماعاً ، لكونها كالدعوى التي معها دليلها ، ونقل عن بعضهم أنه لايعدل عن التصريح الى الكناية إلا لسبب ، ولها اسباب ذكر ستّة منها هي المدح ، والذم ، وترك اللفظ الى ماهو أجمل منه ، وترك مايستهجن ذكره ، والمبالغة ، والاختصار . وعقب قائلاً : الى غير ذلك من الاسباب التي لايكاد يضبطها حصر .

ولم أقف للبلاغيين المحدثين والمعاصرين على ما يخالف هذا الذي انتهى اليه البلاغيون المتأخرون خلافاً جوهرياً ،وان كانت لكل منهم ملاحظاته وطريقة تناوله (١٣٣) .

من هذا الاستقراء يمكن الانتهاء إلى أن الكناية ـ لغة ـ إنما هي العدول عن لفظ الى آخر دال عليه ، وهذا العدول عنه لايعني ستره واخفاءه ، كما لا يعني ابرازه واظهاره ، وانما هو مجرد تركه ، والاعراض عنه لا اكثر ، فالمكنى عنه ليس بالواضح وضوح المذكور صراحة ، ولاهو بالخفي الذي لاتكاد تتبينه إلا بتدقيق وإمعان نظر . فهو اشبه مايكون بالمكسو بثوب رقيق

---

(١٣١) عقود الجمان ـ ١٠٣ ـ ١٠٦ .
(١٣٢) الأمثال ـ المقدمة .
(١٣٣) انوار الربيع ـ ٣٠٩/٥ ـ ٣١٤ .

شفاف ، فلاهو عار ، ولا هو مستور ستر المورى عنه ، وأية دلالة أخرى انما هي مقحمة دخيلة على مادة اللفظ كلها لا الكناية وحدها .

ودلالتها اللغوية هذه خير ألف مرة من دلالتها الاصطلاحية ، لانها اكثر منها انطباقاً عليها ، واستيعاباً لانواعها ، واشد وضوحاً منها ، فضلاً عن بعدها عن المنطق ومصطلحاته ، من لازم ، وملزوم ، ولزوم ، أو تلازم ، وما إليها . فلقد انتهى البلاغيون المتأخرون إلى أنها : لفظ أريد به لازم معناه مع جواز ارادة المعنى ذاته . وفي هذا مافيه من جور على الكناية ، وتضييق لدلالتها ليس له مايبرره ، فليست العلاقة بين المكنى عنه والمكنى به منحصرة في اللزوم ، موقوفة عليه ، بل ان هذه العلاقة عرفية اكثر من كونها لزومية ، فأي تلازم بين الغائط ، والحش ، والنجو ، والخلاء ، وغيرها ، وما هي كنايات عنه ؟؟ فالناس كانوا قد اعتادوا اقضاء حاجة ذي البطن في هذه المواضع ، وعدلوا عن ذكر اللفظ الخاص بما يلقى فيها إليها ، وظلوا يكنون عن الحاجة بهذه الألفاظ ، وان لم تلق في أيٍّ منها ، ولم تعد لها أية علاقة غير العرف ، ولهذا وغيره عدل القائلون باللزوم أنفسهم الى اللزوم العرفي ، عن اللزوم العقلي المنطقي ، مع أن اللزوم من المصطلحات العقلية المنطقية .

والقول بارادة اللازم يقتضي ذكر الملزوم ، ولايعني قولهم : لفظ أريد به لازم معناه غير هذا (ذكر الملزوم وإرادة لازمه) وقد رأى القائلون به أنفسهم أن اللازم مالم يكن ملزوماً يتعذر الأنتقال من الملزوم الى اللازم ، هذا فضلاً عما ذهبوا اليه من جواز ارادة المعنى ذاته « الملزوم » مع إرادة لازمه . وهكذا أفضت الدلالة الاصطلاحية الى ما لم تفض إليه الدلالة اللغوية من اقحام لعلم المنطق ومصطلحاته ، وما قادت إليه هذه المصطلحات من جدل عقيم ، أبعد مايكون عن الفن وطبيعته ، وما فيه من روعة وجمال ، فلم تجن الكناية من هـــذا كله ، غير غرقها في ضباب اللزوم ، وغموضه ، وتعقيده ، وحلولها

– بسببه – في واد غير واديها الأدبي ، وفقدها الكنايات الأدبية ، مع أن هذه الكنايات هي بذرة وجودها ، وصرنا نرى نوعين من الكنايات : كنايات أدبية وأخرى بلاغية ، مع أنهما نوع واحد ، أساسه العدول عن التعبير المباشر الى غير المباشر ، أو العدول عما لايليق ذكره الى مايليق ، وعما يليق الى ماهو أليق لاغير ، من غير ما لازم ، ولا ملزوم ، ولا كون اللازم مازوماً . أو غير ملزوم ، وغير ذلك .

ولقد أحسن علماؤنا الأوائل في إبقائهم الكناية على دلالتها اللغوية ، وأصابوا كبد الحقيقة في طبيعة الكناية ، والغرض منها ، ودور المجتمع فيها ، وسبقوا باشاراتهم الموجزة أشهر الباحثين العالميين ، في أحدث ما انتهوا إليه في الكناية ، من انها الصورة المهذبة لما عرف بتحريم المفردات .

فقد ذهبوا الى أننا عندما نقيم ائتلافاً بين الاسم ومسماه ، إنما نجري على عادة نفسية قديمة قدم العالم نفسه . فقد ظل الاسم زمناً طويلاً جزءاً لايتجزأ من مسماه ، يشاركه مميزاته وخصائصه ، وليس مجرد علامة عليه . وليس لنا أن نسخر من هذا المعتقد البدائي ، إذ لا يزال سارياً – بشكل أو بآخر – حتى يومنا هذا .

ومصداق ماذهبوا إليه ، يمكن أن يتجلى فيما يحظى به اسم من نحب ، وصورته عندنا من مكانة ، تقرب من مكانة صاحبهما ، وإن لم نصل بهما إلى درجة الاتحاد . كما أنهم ذهبوا الى أن الكناية من تغيير الكلمات مراعاة للياقة ، وأن الأسباب الاجتماعية واضحة جداً في هذا التغيير ، اذ ليس من اللائق أن يتكلم أحد في المجتمعات عن أفعال معروفة بالفظاظة ، أو بأنها مما يجرح الحياء . وتستبعد الألفاظ التي تعبر عنها من بين المفردات التي يستعملها الاشخاص المهذبون . فالتعبير عن هذه الأفعال عبارات متنوعة ، تبقى مستعملة حتى تصير بدورها خشنة ، جارحة للأذن ، فيستبدل بها غيرها .

وهناك أفكار يعبر عنها بالكناية غالبا ، ومنها فكرة الموت وأشباهها ، والذي يقطع بكون الكلمة لائقة أو غير لائقة هو العرف . لذا فأن عدد الكلمات الجارحة وطبيعتها يختلفان باختلاف البيئات والعهود ، فيزداد عددها بالطبع في عصر الرقة ، حيث يصطبغ المجتمع بالصبغة التي تضفيها عليه النساء . ويصل الحال الى التضييق في دائرة المفردات شيئا فشيئا ، حتى لايكاد يتكلم الناس إلا تلميحا (١٣٤) .

ولست هنا بصدد الموازنة بين هذا الذي انتهى إليه المعاصرون ، وما ذهب اليه علماؤنا الأوائل فيها ، وإن كانوا قد ذهبوا الى خير من هذا الذي انتهى إليه المعاصرون ، ويكفي في هذا الوقوف على ما ذكره الجاحظ وابن قتيبة والمبرد فضلاً عن غيرهم ممن جاء بعدهم في أضرب الكنايات ، وكثرتها ، وتنوع ماكني عنه من الاعضاء والأفعال والعيوب الخلقية والخليقة وكثرة ماكني به عن المكنى عنه الواحد وتنوعها ، وما كني عنه تنزهاً وتفضلاً وتلطفاً وافتناناً .

ومهما يكن من شيء ، فالكنايات بدائل ، وهذه البدائل فردية اجتماعية، فهي وإن كانت وليدة فرد من أفراد المجتمع ، إلا أنها ربيبة المجتمع ذاته ، فالمجتمع هو الذي اشعر الفرد بالحاجة إليها ، ودفعه إلى ايجادها ، فلولا المجتمع ما كانت هناك ألفاظ يضطر الفرد الى العدول عنها ، وايجاد البدائل لها ، فالفرد لـم يستر عن نفسه شيئـاً من أعضائه وأفعاله كيمـا يستر اسمـاءها أو يهجرها . فقائمة الألفاظ المحرمة إن صح التعبير تكاد تنعدم عند الفرد ، وتقتصر على أقل من القليل مع من سقطت بينه وبينهم الكلفة ، كزوجته مثلاً ، وتزيد شيئاً مامع خاصة أصدقائه وخلصائه ، وتطرد الزيادة مع الغرباء عنه ، وتتضاعف في محادثته الجنس الآخر ، أو في مجلس يضم الجنسين . كما تختلف قلة وزيادة في الأحوال المختلفة ، فتقل في مجالس اللهو والعبث والمجون ، وتزيد في مجالس الجد كمجالس العلم والوعظ والارشاد وغيرها من مجالس الحشمة والوقار .

(١٣٤) اللغة ، فندريس : ٢٨٠ ـ ٢٨٣ .

ويمكن أن يقال مثل هذا في اختلافها كماً و كيفاً ، باختلاف المجتمعات وعصورها والبقاع التي تحتلها ، كما تختلف البدائل عنها كذلك ، فالكناية لغة اللياقة والاناقة ، والذوق ، والتهذيب . ولهذا فأذا ماكثر استخدام كناية من الكنايات وطال ، وقاربت التصريح فيما جيء بها كناية عنه ، عدل عنها الى غيرها ، على نحو ماعدل عن صريح اللفظ إليها ، وهذا من جملة مايفسر لنا كثرة الكنايات عن المكنى عنه الواحد ، كالعورة ، والغائط ، والنكاح مع أن هذه الألفاظ ذاتها كنايات عن غيرها .

فالكناية – كما تقدم – وليدة فرد من أفراد المجتمع ، ولكنها ربيبة المجتمع ، ونصيب المجتمع فيها لايقتصر على تهيئة الباعث للفرد على استحداثها ، وانما هو الذي يتلقاها بالقبول ، ويمنحها الرضى ، ويتولى إذاعتها ونشرها ، وهو الذي يعرض عنها ، ويستبدل بها غيرها ، إذا ماذوت وفقدت رونقها ، والغرض الذي تقبلها من أجله ، فنصيب المجتمع فيها ، اكبر من نصيبه في الأمثال السائرة . ولو أن الذين جاؤا عقب أولئك العلماء الأوائل ، انتهجوا منهج اسلافهم في تناول الكناية ، لكان لها شأن غير هذا الذي هي عليه الآن ، ولكنهم – أو في الأصح غير قليل منهم – اختطوا لأنفسهم منهجاً آخر غير الذي اختطوه ، ففاتهم الشيء الكثير .

فلقد عدل قدامة بن جعفر ت ٣٣٧هـ الى الارداف عنها في حديثه عن ائتلاف اللفظ والمعنى ، وحديثه عن الارداف صحيح دقيق لا غبار عليه ، وقد أخذه عنه الذين جاءوا بعده ، ومن ابرزهم أبو هلال العسكري وابن سنان الخفاجي . ولم يذهب أي ممن أخذ هذا عنه الى انه أراد به الكناية . بل لقد جاء أبو هلال وابن سنان بما يقطع بأن الارداف الذي أخذه عن قدامة بن جعفر غير الكناية ، لأن كلاً منهما تحدث عن الكناية بلفظها ، في غير الموضع الذي تحدث به عن الارداف ، فضلاً عما جاء في حديثهما عنهما ، وامثلتهما لهما .

غير أن الشيخ عبدالقاهر الجرجاني ت ٤٧١ هـ أخذ حديث قدامة بن جعفر عن الارداف ، وحصر الكناية – ولاسيما الكـــناية عن المثبت – فيه ، وقصرها عليه . وفي هذا ما فيه من جور على الكناية ، وتضييق لمدلولها الواسع الموروث قبله ، ولهذا أعرض عن الكنايات الأدبية ، التي لا تنضوي تحت لواء الأ رداف لما قبل الاسلام وبعده ، وكنايات القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف كلها ، واقتصر على ما أخذه من أمثلة قدامة للارداف وما اشبهها ، مع أنَّ الثعالبي ت٤٣٠هـ كان قد ألَّف كتاباً كاملاً في الكناية والتعريض قبله ، جمعه مما بُثَّ في الكتب التي سبقته وعاصرته

ومن هذا يتضح أنَّ الشيخ عبدالقاهر الجرجاني ، هو الذي بذر علاقة اللزوم في مفهوم الكناية أو دلالتها ، وإن لم يذكر اللزوم بلفظه ، فلقد قال معقباً على أمثلتها مانصه :

« فقد أرادوا بهذا كله – كما ترى – معنى ، ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به ، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر ، من شأنه أن يردفه في الوجود ، وأن يكون إذا كان ، أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد . . . . » .

وصرح الفخر الرازي ٦٠٦ هـ – ملخص كتابيه الدلائل والاسرار – بما المح إليه الشيخ عبدالقاهر من علاقة اللزوم فقال :

« اعلم أن السبب في كون الكناية أبلغ من الافصاح ، هو أن الكناية ذكر الشيء بواسطة ذكر لوازمه ، ووجود اللازم يدل على وجود الملزوم . . . »
ومن هنا دخل اللزوم في حد الكناية عند السكاكي والقزويني ومن تابعهما فصارت عندهم : لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته ، وصار هذا حداً عند هؤلاء البلاغيين ، وعند المحدثين منهم والمعاصرين ، مع ما فيه من جور عليها ، وتضييق لمفهومها ، في واقعها الأدبي قديماً وحديثاً ، فلا يعـــدو هذا الذي حُدَّت به عن أن يكون قسماً من أقسامها ، ونوعاً من أنواعها لا اكثر ،

فهي كناية الردف أو الارداف لا غير ، فأين كناية المجاورة ؟؟ وأين كناية المماثلة ؟؟ قد كانت هذه الأنواع معروفة ولها أمثلتها الى النصف الثاني من القرن الثامن الهجري ، ومن أواخر من ذكرها التنوخي ت ٧٤٩ هـ فالغائط والحش والخلاء ، والمتوضأ ، والنجو وغيرها لايمكن أن تحمل على غير المجاورة ،

وقول العرب : « أخي وأخوك أينا البطش » يريدون : أنا وأنت نصطرع فننظر أينا أشدّ ؟ كنى بأخيه عن نفسه لأن أخاه كنفسه . وتكنيتهم عن المرأة باللباس القلص والبيضة والنعجة ، وغيرها إنما حمل على المماثلة ، وكذلك كثير من الأمثال إن لم أقل اكثرها . وقد وقفنا على قول أبي عبيد القاسم بن سلام في مقدمة كتابه الأمثال ، ومن ذهب مذهبه في عد الأمثال كنايات ، ولا يضعف من هذا مانزعمه من أن المسائل البلاغية لم تتبلور مفاهيمها آنذاك فلقد رأينا مثل هذا الذي ذهب اليه ابن سلام عند ابن الأثير ٦٣٠ هـ حيث ذهب إلى ان الكنايات كلها تمثيل ، والمماثلة فيها تقل وتزداد تبعاً للافراد والتركيب لاغير ، فتقل في المفرد ، وتزداد في المركب وتابعه ، فيه التنوخي .

فأخراج هذا النوع من رحاب الكناية وضمه الى الاستعارة إنما يدل على ضعف القدرة في التمييز بينهما ، فالكناية ربيبة العرف الاجتماعي كالامثال السائرة ، أو الشعبية ، وكالمصطلحات العرفية ، أما الاستعارة فهي فردية وليست جتماعية ، وإن استحسنها غير الذين ابتدعوها ، فالألفة الاجتماعية أو الشعبية في الكناية أوضح بكثير مما هي عليه في الاستعارة إن لم تكن ميزة الكناية دون الاستعارة . والاستعارة أدخل من الكناية في الابداع الفردي والخيال الخاص ، ولهذا تظل الاستعارات وقفاً على أصحابها ومن ماثلهم من أفراد المجتمع ، ولا تشيع شيوع الكنايات ، فالأصل في الكناية مراعاة اللياقة ، فاللياقة بذرتها ، وهي مقياس المجتمع ومعياره ، خلافاً للاستعارة القائمة على

المماثلة أو تصورها ، والارتقاء فيها إلى إتحاد المتماثلين ، وانعدام الاثنينية بينهما ، فهي قمة الخيال الفردي ولبنة البناء الشعري .

وقد يبدو هذا المقياس في التفريق بينهما على شيء من الغرابة ، وليس الأمر كذلك، فقد انتزع البلاغيون أنفسهم ، من الاســـتعارة ذاتها بعض ما ميزوه عنها بمجرد الشيوع والذيوع ، فقد ذهبوا إلى أنَّ الأمثال إنما هي استعارات تمثيلية فشا استعمالها ، فلم يفرقوا بين الأمثال والاستعارات التمثيلية بغير الشيوع والذيوع .

ومهما يكن من شيء فالكناية معنية باللياقة ، مرتبطة بالعرف الاجتماعي ، والاستعارة وليدة التصورات والأخيلة الفردية ،فهي منها ولها قبل أي شيء آخر .

وإذا صح هذا الذي ذهبت إليه ، فكناية المماثلة أخص من عموم الاستعارة فما كل استعارة بكناية ، ولكن كل كنايات المماثلة استعارات ، فلم يبعد ابن الأثير في ربطها بالاستعارة ، وعدها جزءاً منها ، ولكنه أبعد في عده الكنايات بكل أنواعها كنايات مماثلة ، وانتهائه – لهذا – الى أن الاستعارة أعم من الكناية.مع أن الكنايات أنواع منها كنايات المماثلة،ومنها كنايات المجاورة ، ومنها كنايات الارداف ، وغير هذه الانواع ،في حين أن الاستعارة منحصرة في استعارة المثيل لمثيله لاغير ، فالكناية بكل أنواعها أعم من الاستعارة لأخذها من المثيل والمجاور والردف وغير ذلك مما له أدنى ملابسة – كما ذهب القدماء – بالمكنى عنه ، واقتصار الاستعارة على المثيل لاغير .

ولو بحثت أنواع الكناية على هذه الشاكلة لكان هذا أجدى على الكناية خاصة ، والبحوث البلاغية عامة ، من تقسيمها الذي انتهت إليه : كناية عن صفة : وكناية عن موصوف ، وكناية عن نسبة الصفة الى الموصوف ، وإن كان هذا التقسيم لايخلو من فائدة ، غير أن الاقتصار عليه اضاعة لفوائد ليست بأقل منه فائدة إن لم تكن اكثر .

أما الخلاف في حقيقة التعبير الكنائي أو مجازيته ، فيبدو لي أن ماذهب إليه الاصوليون في احتمالها للحقيقة والمجاز خير مما ذهب إليه غيرهم ، فكيف يمكن أن تكون الكناية حقيقية وهي تعبير غير مباشر ؟؟ وكيف يمـن أن تكون مجازاً مع احتمالها للحقيقة ، وامكان الوقوف عندها ، دون تجاوزها الى مايفضي إليه معنى ظاهر اللفظ ؟؟ فأذا كانت الكناية معنى المعنى فأن لفظها محتمل للمعنى ، ومعنى المعنى في الوقت ذاته ، فمن وقف على المعنى فهو في إطار الحقيقة ومحيطها ، ومن انتهى الى معنى المعنى فقد تجاوز الحقيقة والتعبير المباشر .

وأخيراً وليس آخراً ، فأن الكناية بحاجة الى دراسات أخرى تتناول أنواعها واغراضها ، وما أثر منها وما استحدث ، واستبدال ماستبدل منها بغيرها وأثر البيئة فيها بكل أبعادها الزمانية والمكانية والتطورات الاجتماعية ، مما لم يتسع لمثله هذا البحث ، الذي لم أرد منه أكثر من أن يكون حافزاً لاعادة النظر في هذا التراث الخالد ، وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون.



كتاب الفَرْقِ

لأبي حاتم السِّجِسْتانيّ
المتوفى سنة ٢٥٥ هـ

تحقيق

الدكتور
حاتم صالح الضامن

جامعة بغداد ـ كلية الآداب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

موضوع الفَرْق ، وهو اختلاف تسمية أعضاء الجسم ، وأسماء الأولاد والجماعات وأصواتها بين الانسان والحيوان ، من الموضوعات المهمة التي لفتت أنظار اللغويين القدامى ، فألفوا فيها واهتموا بها .

ولاتكتفي هذه الكتب بذكر أعضاء الجسم ووظائفه ، بل تبحث في حركات الكائن الحي وأصواته ومكان اقامته ، وما يخرج منه من العرق واللعاب والفضلات ، وتذكر حالاته في ارادة التكاثر ، والحمل والوضع ، واسنان الاولاد ، والفرق بين أسماء الذكور والإناث ، وأسماء الجماعات من جميع الأجناس ، وحالات الهرم ثم الموت .

وقد احتفظت العربية الفصحى ، في كل هذه الأمور ، بثروة لفظية كبيرة ، فحافظت بذلك على احساس الإنسان الأول ، بأنّ العضو الواحد ، وإنْ خُلِقَ لوظيفة معينّة ، في كلّ من الإنسان والحيوان ، فأنّ شكله

المختلف ، وتكوينه المتباين ، عند كلّ نوعٍ من هذه الأنواع ، قد كانَ مبرراً كافياً لدى هذا الانسان الأول ، ليخالف التسمية باختلاف شكل المسميات ، فجعل (الشـــفة) للأنسان ، و (المشـــفر) للابل ، و (المنقار) للطائر غيرالجارح و (المنسر) للطائر الجارح . . . الى غير ذلك من الأسماء .

والكتاب الذي ننشره اليوم أوّل مرة من الكتب النادرة ، وهو — فيما أرى — لأبي حاتم السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥ هـ

فالحمدُ لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله .



تراث الفرْق في العربيــة

أَلَّفَ كثيرٌ من العلماء في هذا الموضوع ، وقد ذكرت كتب التراجم والطبقات أسماء مَنْ ألّف في الفَرْق وهم مرتبون ترتيباً زمنياً :

١ ـ أبو زياد الكلابي ، يزيد بن عبدالله بن الحر ، كان في زمن الخليفة العباسي المهدي . (ينظر : الفهرست ٥٠ ، إنباه الرواة ٤ـ ١٢١ ، خزانة الأدب ٣ـ ١١٩ واسمه فيها : الفروق) .

٢ ـ قُطرب ، أبو علي محمد بن المستنير ، ت بعد ٢١٠ هـ . (ينظر : الفهرست ٥٨ ، معجم الادباء ١٩/٥٣ ، إنباه الرواه ٣/ ٢٢٠ وفيات الأعيان ٤/٣١٢). وقد نشر جابر قسماً منه بعنوان : ماخالف فيه الإنسان البهيمة .

٣ ـ أبو عبيدة ، معمر بن المثنى ، ت ٢١٠ هـ . (ينظر : الفهرست ٥٩ ، معجم الأدباء ١٩ـ ١٦١ ، إنباه الرواة ٣ـ ٢٨٦ ، وفيات الأعيان ٥ـ ٢٣٩) .

٤ ـ أبو زيد الأنصاري ، سعيد بن أوس ، ت ٢١٥ هـ . (ينظر : الفهرست ٦٠ ، وفيات الأعيان ٢ـ ٣٧٩) .

٥ ـ الأصمعي ، عبدالملك بن قريب ، ت ٢١٦ هـ . (ينظر الفهرست ٦١ ، فهرسة ابن خير ٣٧٥ ، إنباه الرواة ٢ـ ٢٠٢ ، ، الوافي بالوفيات ٢ـ ٣٥٨) . وقد نشره ملر .

٦ ـ ابن السكيت ، يعقوب بن اسحاق ، ت ٢٤٤ هـ . (ينظر : الفهرست ٧٩ ، فهرسة ابن خير ٣٨٢ ، معجم الأدباء ٢٠ـ ٥٢ ، إنباه الرواة ٤ـ ٥٥ ، وفيات الأعيان ٦ـ ٤٠٠) .
ومنه نقول في المعرّب ٣٤٩ والتكملة والذيل والصلة ٢ـ ٢١ .

٧ ـ أبو حاتم السجستاني ، سهل بن محمد ، ت ٢٥٥ هـ . (ينظر : الفهرست ٦٤ ، فهرسة ابن خير ٣٦١ ، إنباه الرواة ٢ـ ٦٢ ، وفيات الأعيان ٢ـ ٤٣٢) .

ونقل منه ابن دريد في جمهرة اللغة ٣ـ ١٨٠ .

٨ ـ ثابت بن أبي ثابت ، من علماء القرن الثالث الهجري ، وهو صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ . (ينظر : الفهرست ٧٦ ، فهرسة ابن خير ٣٨٢ ، إنباه الرواة ١ـ ٢٦١ ، بغية الوعاة ١ـ ٤٨١) .

وقد نشر الكتاب عن نسخة ناقصة الاستاذ محمد الفاسي في الرباط بالمغرب سنة ١٩٧٣ .

ثم أعاد تحقيقه على نسختين د . حاتم صالح الضامن ونشره في مجلة المورد سنة ١٩٨٤ .

٩ ـ الزجاج ، أبو اسحاق ابراهيم بن السري ، ت ٣١١ هـ . (ينظر : الفهرست ٦٦ ، نزهة الألباء ٢٤٤ ، معجم الأدباء ١ـ ١٥١ ، إنباه الرواة ١ـ ١٦٥ . . . .) .

١٠ ـ أبو بكر الجعد ، محمد بن عثمان ، ت بعد سنة ٣٢٠ هـ . (ينظر : الفهرست ٩٠ ، معجم الأدباء ١٨ـ ٢٥١ ، إنباه الرواة ١ـ ٢٦٩ . . .) .

١١ ـ الوشاء ، أبو الطيب محمد بن أحمد ، ت ٣٢٥ هـ . (ينظر : الفهرست ٩٣ ، معجم الأدباء ١٧ـ١٣٣ ، إنباه الرواة٣ـ ٦٢ ، بغيةالوعاة ١ـ١٨) .

١٢ ـ ابن فارس ، أحمد ، ت ٣٩٥ هـ . (ينظر : معجم الأدباء ٤ـ ٨٤ ، الوافي ٧ـ ٢٧٩ . . . .) .

وقد حقق الكتاب د . رمضان عبدالتواب

١٣ ـ أبو الجود العجلاني ، القاسم بن محمد بن رمضان ، ت نحو سنة ٤٠٠ هـ .

(ينظر : الفهرست ٩٢ ، معجم الأدباء ١٧ـ ٥ ، إنباه الرواة ٣ـ٢٨) .

١٤ ـ أبو الفضل محمد بن أبي غسان البكري (؟) . (ينظر : الفهرست ٩٤) .

كتـاب الفَـرْق

توثيق نسبته :

نُسب الكتاب في صفحة العنوان الى الهذيلي (؟) وهو مجهول لم نقف عليه فيمن ألّفَ في الفرق .

ونسبه د . رمضان ششن في كتابه : نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا ١ – ٢٦١ إلى أبي عبيدة معمر بن المثنى ، وهو وهم منه . وسبب هذا الوهم أنّ الكتاب الذي بعد كتاب الفرق في هذا المجموع نُسب الى أبي عبيدة وهو : (ضروب المنطق مما لا يستغني عنه الناس) .

وعند دراستي للكتاب لفت نظري أمر مهم هو :

أنّ المؤلف روى في الكتاب عن أربعة علماء فقط من شيوخه وهم :

أ – الأصمعي : ورد ذكره في خمسة مواضع :

١ – قال : وسألتُ الأصمعي . . . .

٢ – وأنشدنا الأصمعي . . . .

٣ – قال : وأنشد الأصمعي . . . .

٤ – ويقال : اللحم أقل الطعام نجواً . ذكره الأصمعي .

٥ – وذكر الأصمعي أنّ الصارف ليس من كلام العرب ، وإنما ولَّده أهل الأمصار .

ب – أبو عبيدة : ورد ذكره مرة واحدة :

(وسمعتُ أبا عبيدة يقول : . . . .) .

ج – أبو زيد الأنصاري : ورد ذكره مرة واحدة .

(وقال أبو زيد : يقال : حبلى ، في كلّ ذات ظفر . وأنشدنا . . . .) .

د – أبو مالك (عمرو بن كركرة الأعرابي) : ورد ذكره مرة واحدة :

(قالَ : وأنشد أبو مالك . . . . .) .
فمؤلف الكتاب إذن أخذ عن هؤلاء الشيوخ .
وبعد البحث والدراسة وقفت عند أبي حاتم السجستاني لأمور هي :
١ ـ أنّه أخذ عن هؤلاء الأربعة جميعاً .
٢ ـ أنّ له كتاباً اسمه الفرق .
٣ ـ جعل ابن النديم في الفهرست ٦٤ والقفطي في إنباه الرواة ٢ ـ ٦٢ كتاب الفرق كتابين مستقلين : الأول باسم (الفرق) ، والثاني باسم (الفرق بين الآدميين وبين كلّ ذي روح) .
٤ ـ قال ابن دريد في جمهرة اللغة ٣ ـ ١٧٩ : (ونم الذباب إذا ذرق ، ينِمُ ونماً ونيماً . وانكر أبو حاتم هذا ولم يعرفه ، ولاالبيت الذي احتجبه وشرحه في كتاب الفرْق ، وأنشد بيتاً ، واستضعفه أيضاً ، والبيت للفرزدق :

وقد ونم الذباب عليه حتى كأنّ ونيمه نقط المداد)

اقول : وجاء هذا البيت في باب قضاء الحاجة من هذا الكتاب بلاعزو .
٥ ـ قال محمد بن الطيب الفاسي في تحرير الرواية في تقرير الكفاية ٣٥٠ : (وقال أبو حاتم : الطلا ولد الظبية ساعة يُولد ، ثم هو غزال وهي غزالة . . . .) .
وكلام أبي حاتم في هذا الكتاب في باب أسماء الأولاد مع خلاف قليل .
٦ ـ إذا نظرنا الى كتب الفرق الاخرى التي سلف ذكرها أسقطنا منها كتب أبي زياد الكلابي وقطرب وأبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي وثابت وابن السكيت للأسباب الآتية :
أ ـ أنّ أبا زياد الكلابي كان في زمن الخليفة العباسي المهدي المتوفى سنة ١٦٩ هـ ، وهو متقدم .

ب –أنّ كتب الفرق لقطرب والأصمعي وثابت مطبوعة .

ج –أنّ مؤلف الكتاب روى عن أبي عبيدة وأبي زيد كما سلف .

د –هناك نصان مقتبسان من كتاب الفرق لابن السكيت ليسا في كتابنا هذا وهما :

–قال الجواليقي في المعرب ٣٤٩ : (وروى ابن السكيت في كتاب الفرق لسُراقة البارقي :

فقلت له لادَهْلَ مِلكملِ بعدَما رَمَى نَيْفقَ التُّبانِ منه بعاذِرِ

وقال : هذا أوله بالنبطية . يقول : لا تخفِ الجَمَلَ) .

–وقال الصغاني في التكملة والذيل والصلة ٢– ٢١ : (ودَحَّها : جامعها ، ذكره ابن السكيت في كتاب الفرْقِ) .

وبعدُ فهذه الملاحظات التي ذكرناها ترجح نسبة هـذا الكتاب الى أبي حاتم السجستاني والله تعالى أعلمُ .

★ ★ ★

أبوابه :

قسم المؤلف كتابه على ثمانية وعشرين باباً هي :

١ –الفم .

٢ –الشفة .

٣ –الأنف .

٤ –الظفر .

٥ –الرجل .

٦ –الصدر .

٧ –الثدي .

٨ –الفرج .

٩ ــفرج المرأة .
١٠ ــالدبر .
١١ ــالمخاط .
١٢ ــالبزاق .
١٣ ــالعرق .
١٤ ــالجلوس .
١٥ ــالضراط .
١٦ ــقضاء الحاجة .
١٧ ــالغلمة .
١٨ ــالنكاح .
١٩ ــالحمل .
٢٠ ــالولادة بعد الحمل .
٢١ ــأسماء الأولاد .
٢٢ ــأسماء جماعات الأشياء :
٢٣ ــالأصوات :
٢٤ ــأصوات الطير :
٢٥ ــأصوات السباع والوحوش والهوام :
٢٦ ــالزجر :
٢٧ ــالذراع :
٢٨ ــانتهاء السن :

* * *

شواهده :

استشهد المؤلف بثلاث آيات كريمة وحديثين شريفين وأربعة أمثال :
أما الأشعار والأرجاز فقد بلغت ستة وثلاثين بيتاً من الشعر وسبعةً من

أنصاف الأبيات . وبلغت واحداً وأربعين شطراً من الرجز .

أما الشعراء والرجاز الذين ورد ذكرهم في الكتاب فهم :

رؤبة والعجاج وأبو دُواد والحطيئة والأعشى وزهير والنابغة وساعدة بن جؤية الهذلي والراعي والجعدي والشماخ وذو الرمة وأبو النجم والأخطل ولبيد وطرفة والقطامي وهميان بن قحافة ويزيد بن مفرغ وأبو الزحف وأبو ذؤيب.

* * *

أهميته :

تكمن أهمية الكتاب في كونه من الكتب المؤلفة قديماً وهو خامس كتاب من كتب الفَرْق يرى النور بعد كتاب قطرب والأصمعي وثابت وابن فارس .

وهذا الكتاب والكتب الاخرى كانت نواة لأصحاب معجمات المعاني كابن سيده الذي نثر هذه الكتب جميعاً في كتابه المخصص .

وفي الكتاب شواهد من الأشعار والأرجاز لم نقف عليها في الكتب الأخرى .

* * *

مصادره :

أشار المؤلف في كتابه الى الشيوخ الذين أخذ عنهم ، وفي مقدمتهم الأصمعي ثم أبو عبيدة وأبو زيد وأبو مالك .

ومن اللافت للنظر هذا التشابه الكبير بين هذا الكتاب وكتابي الأصمعي وثابت . فالعبارات في كثير من المواضع هي هي في الكتب الثلاثة . ومن الواضح أنّ أبا حاتم قد استفاد من شيخه الأصمعي ، وربما من كتاب ثابت أيضاً وإن لم يشر إليه ، والله أعلم .

وأخذ أيضاً عن كتابي شيخيه أبي عبيدة وأبي زيد في الفَرْق

* * *

المؤلف

أبو حاتِم سَهْل بن محمد بن عثمان السِّجِستاني .

لم تشر المصادر الى سنة ولادته ، وكلّ ماأفادته أنه كان فتى يطاب العام بالبصرة ، واختلف الى علماء عصره فأخذ عنهم علوم اللغة والقراءات والشعر .

ويُعَدُّ أبو حاتم في المفسرين والمقرئين والمحدثين واللغويين والنحويين والرواة والبارعين في المُعَمَّى من الشعر .

واختلف في سنة وفاته فهي ٢٤٨ هـ أو ٢٤٩ هـ أو ٢٥٠ هـ أو ٢٥٥ هـ . ولعل اقرب هذه الروايات هي رواية تلميذه ابن دريد ، قال : (مات أبو حاتم بالبصرة في رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، ودُفِنَ بسرة المصلى ، وصلّى عليه سليمان بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب وكان والي البصرة يومئذ) (*) .

شيوخه :

١ – أبو عامر العقدي المحدث المقرئ ، ت ٢٠٤ هـ .

٢ – أبو مالك عمرو بن كركرة ، تَ ٢٠٥ هـ .

٣ – روح بن عبادة المحدث ، ت ٢٠٥ هـ .

٤ – يعقوب بن اسحاق الحضرمي ، ت ٢٠٥ هـ .

٥ – وهب بن جرير البصري ، ت ٢٠٦ هـ .

٦ – يزيد بن هارون ، ت ٢٠٦ هـ .

(*) انباه الرواة ٢/٦١ . ولابد ان اشير هنا الى انني لم أفصل القول في حياته ، لأن الأخ د. خليل العطية قد أشبع الموضوع بحثا في مقدمة تحقيقه لكتاب (فعلت وافعلت) . وكذا الأخ سعيد الزبيدي في رسالته للماجستير الموسومة ب (أبو حاتم السجستاني الراوية) . وقد افدت منهما اذ لهما فضل السبق .

٧ ـ أبو عبيدة معمر بن المثنى ، ت ٢١٠ هـ .
٨ ـ أبو عبدالرحمن بن المقرىء ، ت ٢١٣ هـ .
٩ ـ أبو زيد الأنصاري ، ت ٢١٥ هـ .
١٠ ـ الأخفش سعيد بن مسعدة ، ت ٢١٥ هـ .
١١ ـ الأصمعي عبدالملك بن قريب ، ت ٢١٦ هـ .
١٢ ـ محمد بن سلام ، ت ٢٣١ هـ .
١٣ ـ شيبان بن فرّوخ الأُبُلِّي ، ت ٢٣٦ هـ .
١٤ ـ حفص بن عمر الدوري ، ت ٢٤٦ هـ .

وأخذ أبو حاتم أيضاً عن أمّ الهيثم الأعرابية وأبي مجيب وأبي الحجاج ومحمد بن عبدالملك الأسدي من الأعراب .

وروى القراءات عن اسماعيل بن أبي أويس ومحمد بن يحيى القطعي وسلام الطويل وأيوب بن المتوكل (غاية النهاية في طبقات القراء ١ـ٣٢٠) .

تلاميذه :

١ ـ أبو عمرو شمر بن حمدويه ، ت ٢٥٥ هـ .
٢ ـ أبو سعيد السكري ، ت ٢٧٥ هـ .
٣ ـ أبو داود سليمان بن الأشعث صاحب السنن ، ت ٢٧٥ هـ .
٤ ـ ابن قتيبة عبدالله بن مسلم الدينوري ، ت ٢٧٦ هـ .
٥ ـ المبرد أبو العباس محمد بن يزيد ، ت ٢٨٥ هـ .
٦ ـ البزاز أحمد بن سلمة صاحب المسند ، ت ٢٨٦ هـ .
٧ ـ يموت بن المزرع ، ت ٣٠٣ هـ
٨ ـ النسائي المحدث صاحب السنن ، ت ٣٠٣ هـ .
٩ ـ محمد بن جرير الطبري المفسر ، ت ٣١٠ هـ .
١٠ ـ ابن خزيمة محمد بن اسحاق صاحب الصحيح ، ت ٣١١ هـ .

١١ ـ ابراهيم بن حميد الكلابزي ، ت ٣١٦ هـ
١٢ ـ ابن دريد محمد بن الحسن ، ت ٣٢١ هـ

وأخذ عنه القراءة : أحمد بن حرب وأحمد بن الخليل العنبري والحسين ابن تميم وأبو سعيد العسكري النفاط وعلي بن أحمد المسكي ومحمد بن سليمان الزردقي ومسبح بن حاتم (غاية النهاية في طبقات القراء ١ ـ ٣٢٠) .

آثاره :

المطبوعة :

١ ـ الأضداد .
٢ ـ فعلت وأفعلت .
٣ ـ الكرم .
٤ ـ المعمرون والوصايا .
٥ ـ النخلة .

المخطوطة :

١ ـ تفسير ما في كتاب سيبويه من الأبنية
٢ ـ الفرق .
٣ ـ المذكر والمؤنث .

الكتب التي لم نقف عليها :

١ ـ الإبل .
٢ ـ الإتباع .
٣ ـ اختلاف المصاحف .
٤ ـ الادغام .
٥ ـ الأزمنة .
٦ ـ اصلاح المزال والمفسد . وسمّاه الصغاني في الشوارد : تقويم المفسد والمزال عن جهته من كلام العرب .

٧ ــاعراب القرآن .

٨ ــالجراد .

٩ ــجماهير العرب .

١٠ ــالحر والبرد والشمس والقمر والليل والنهار . ويحتمل أن تكون أسماء كتب ثلاثة .

١١ ــالحشرات .

١٢ ــالخصب والقحط :

١٣ ــخلق الإنسان .

١٤ ــالدرع والترس :

١٥ ــالزرع .

١٦ ــالسيوف والرماح .

١٧ ــالشتاء والصيف :

١٨ ــالشجر والنبات :

١٩ ــالشوق الى الأوطان :

٢٠ ــالطير .

٢١ ــالعشب والبقل :

٢٢ ــالعظمة .

٢٣ ــالفصاحة :

٢٤ ــالقراءات :

٢٥ ــالقسي والنبال والسهام :

٢٦ ــاللبأ واللبن والحليب :

٢٧ ــماتلحن فيه العامة :

٢٨ ــالمختصر في النحو :

٢٩ ـ المقاطع والمبادىء .
٣٠ ـ المقصور والممدود .
٣١ ـ النحل والعسل .
٣٢ ـ النقط والشكل .
٣٣ ـ النوادر .
٣٤ ـ الهجاء .
٣٥ ـ الوحوش .
٣٦ ـ الوقف والابتداء .

الكتب التي نُسبت إليه غلطاً :

١ ـ الزينة : نسبه إليه الصغاني في مقدمة العباب . وهو لأبي حاتم الرازي (ت ٣٣٢ هـ) واسمه : الزينة في الكلمات الاسلامية .

٢ ـ المذكر والمؤنث : طُبع ببغداد مرتين باسم التذكير والتأنيث مرةً وباسم المذكر والمؤنث أخرى . عن مخطوطة دار الكتب المصرية .

وفات الناشرين أن الكتاب ليس لأبي حاتم ويدل على هذا كثرة النصوص المنقولة عن الكتاب في الكتب الاخرى .

وكتاب المذكر والمؤنث حققه د . محمد نهاد جتن ، وهو تحت الطبع .

٣ ـ المياه : نسبه إليه البغدادي في هدية العارفين . ولم يشر إليه غيره .

٤ ـ الهمزة : نسبه إليه البغدادي في ايضاح المكنون ، ولم يشر إليه غيره من المتقدمين . وكتاب الهمز مطبوع ، وهو لأبي زيد الأنصاري (*) .

* * *

(*) ينظر عن أبي حاتم وآثاره المصادر الآتية ، وهي مرتبة ترتيبا تاريخيا :
الجرح والتعديل ٢/١/٢٠٤ .

=

مراتب النحويين ١٣٠ .
أخبار النحويين البصريين ٩٣ .
تهذيب اللغة ١/٢٢ .
طبقات النحويين واللغويين ٩٤ .
الفهرست ٦٤ .
تاريخ العلماء النحويين ٧٣ .
فهرسة ابن خير ٣٤٨ ، ٣٦١ .
نزهة الألباء ١٨٩ .
الأنساب ٧/٨٦ .
معجم الأدباء ١١/٢٦٣ .
الكامل في التاريخ ٧/١٣٦ .
اللباب في تهذيب الأنساب ١/٥٣٣ .
انباه الرواة ٢/٥٨ .
نور القبس ٢٢٥ .
وفيات الأعيان ٢/٤٣٠ .
سير أعلام النبلاء ١٢/٢٦٨ .
العبر في خبر من غبر ١/٤٥٥ .
دول الاسلام ١/١٥١ .
معرفة القراء الكبار ١٧٩ .
مرآة الجنان ٢/١٥٦ .
البداية والنهاية ١١/٢ .
البلغة في تاريخ ائمة اللغة ٩٣ .
غاية النهاية في طبقات القراء ١/٣٢٠ .
الفلاكة والمفلوكون ١١٣ .
طبقات النحاة واللغويين ٢٩٩ .
تهذيب التهذيب ٤/٢٥٧ .
تقريب التهذيب ١/٣٣٧ .
النجوم الزاهرة ٢/٣٣٢ .

بغية الوعاة ١/٦٠٦ .
المزهر ١/٨٤ ، ٢/٤٠٨ ، ٤١٩ ، ٤٤٥ ، ٤٦٤ .
خلاصة تذهيب الكمال ١/٤٢٧ .
طبقات المفسرين ١/٢١٠ .
مفتاح السعادة ١/١٥٧ .
كشف الظنون ٣٣ ، ١١٥ ، ١٢٣ ، ١١٨٩ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ، ١٤٢٣ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣٦ ، ١٤٣٩ ، ١٤٤٦ ، ١٤٤٩ ، ١٤٥٢ ، ١٤٥٤ ، ١٣٥٧ ، ١٤٥٨ ، ١٤٦٢ ، ١٤٦٦ ، ١٤٦٩ ، ١٥٧٧ ، ١٧٨١ .
شذرات الذهب ٢/١٢١ .
ايضاح المكنون ٢/٢٦٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٣٠٧ ، ٣٢٢ ، ٣٤٢ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ .
هدية العارفين ١/٤١١ .

ومن المراجع :

الأعلام ٣/٢١٠ .
تاريخ الأدب العربي لبروكلمن ٢/١٦٠ .
معجم المؤلفين ٤/٢٨٥ .



وصف مخطوطة الكتاب

تقع مخطوطة الكتاب في اثنتين وعشرين ورقة من مجموع تحتفظ به مكتبة أسعد أفندي باستانبول تحت رقم ٣٢٤٣ . وهي نسخة فريدة .

وعدد أسطر كل صفحة ثلاثة عشر سطراً .

وقد كتبت النسخة بخط واضح مقروء مضبوط بالشكل .

وعلى صفحة العنوان عدة تملكات ، أُرخ احداها سنة اثنتين وخمسين وستمئة .

وعلى الصفحة الأولى فهرس لأبواب كتاب الفرق .

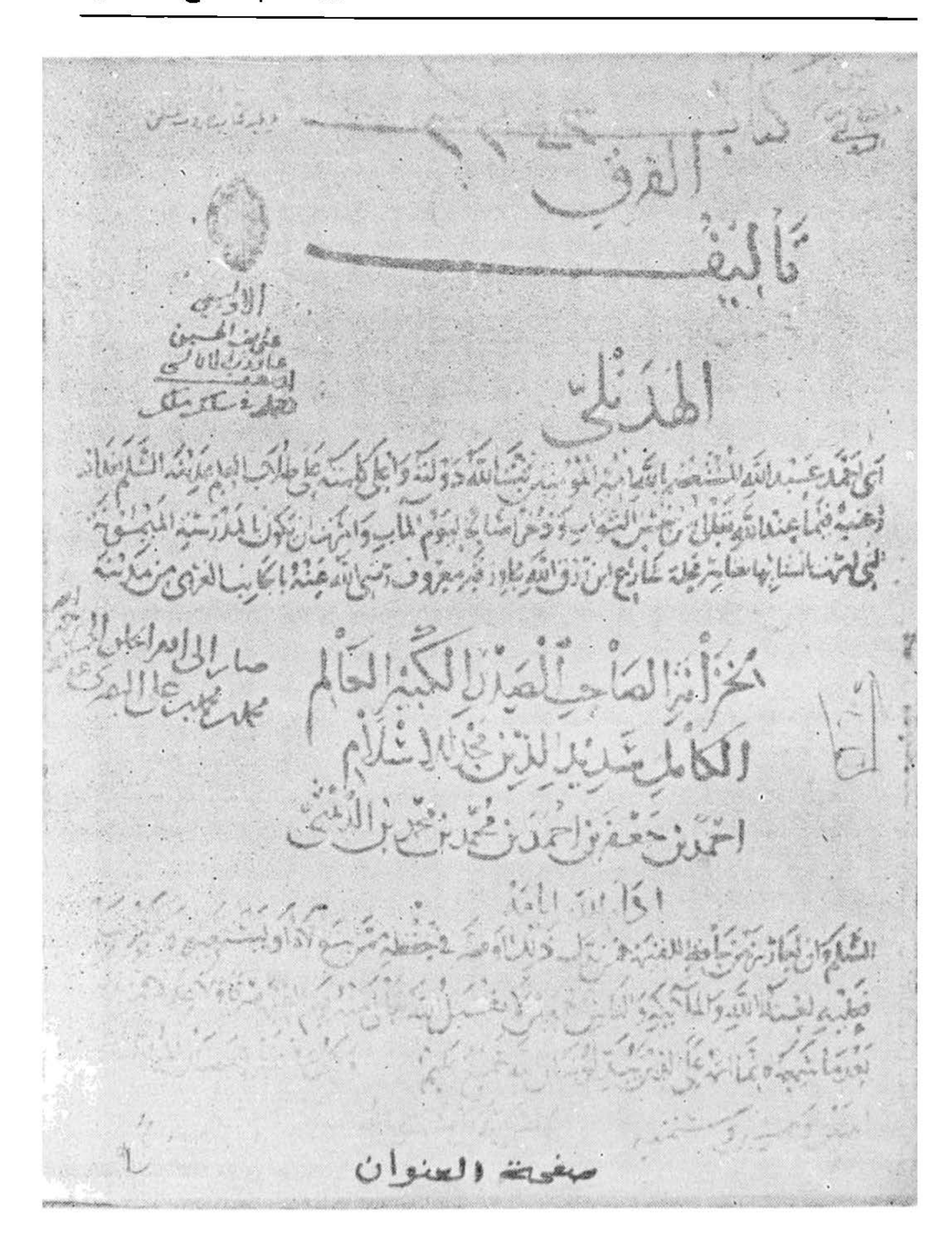
ولا وجود لتاريخ النسخ ولا لاسم الناسخ في آخر الكتاب .

وقد تفضل السيد أحمد شوكة فدائي أحد طلبة الدكتوراه في قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة بغداد بتصوير هذه المخطوطة فله خالص شكري وتقديري .

والحمدُ لله أولاً وآخراً إنّه نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير .

حاتم صالح الضامن

كلية الآداب – جامعة بغداد

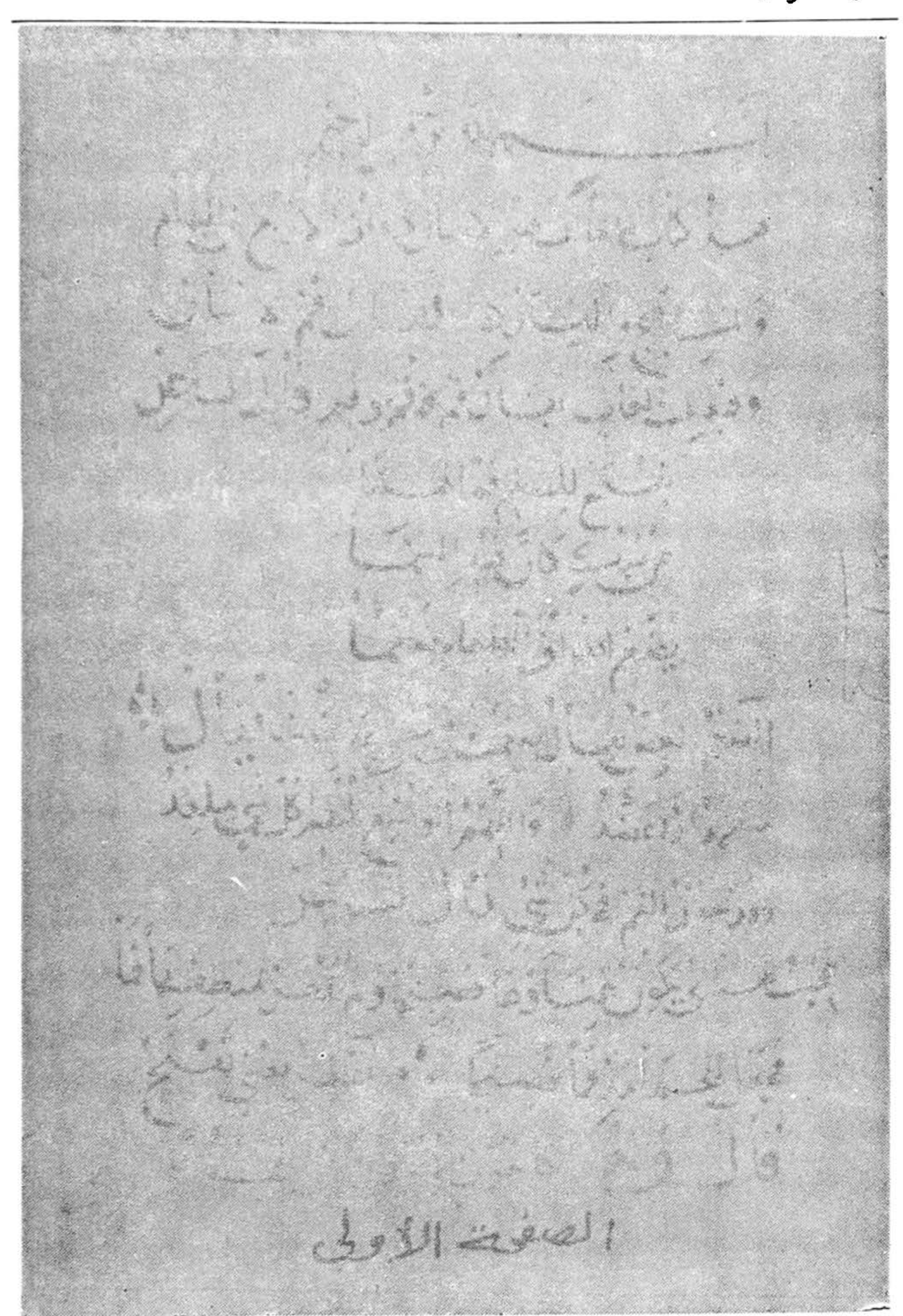


الفرق

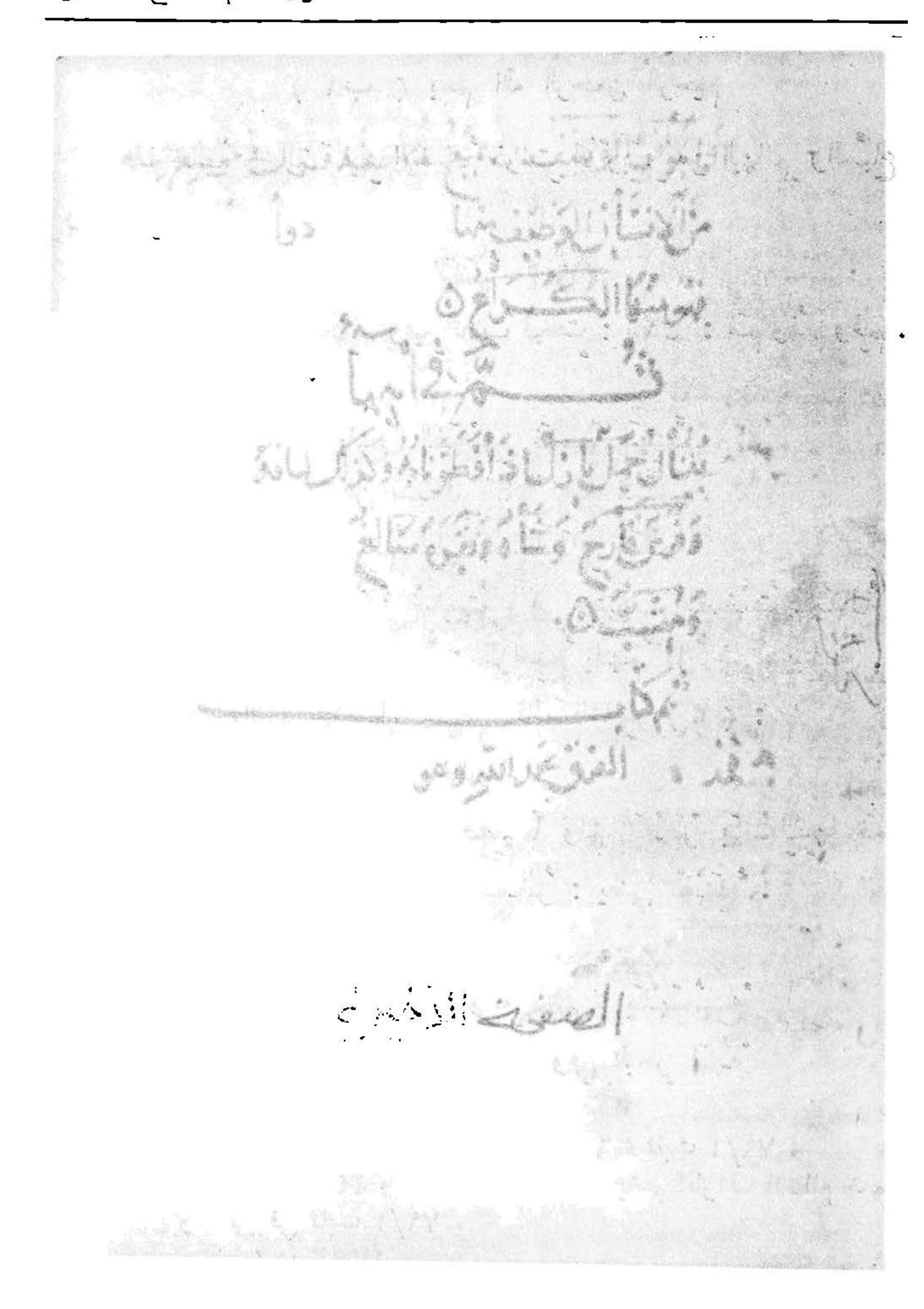
تأليف

الهذلي

صفحة العنوان



الصفحة الأولى



الصفحة الأخيرة

(١ب) بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتابُ ماخالفَ فيهِ الإنسانُ ذواتِ الأَرْبَعِ من البهائمِ والسِّباعِ والطَّيْرِ .

[الفَمُ] (١)

يُقالُ : فَمُ الإنسانِ . وفيهِ ثلاثُ لُغاتٍ : يُقالُ : فَم وفُم وفِم .
قالَ الشاعِرُ (٢) :

يفتحُ للضَغْمِ فَماً لَهِماً
عن سُبُكِ كأنّ فيه السَّمَّا
يضغمُ أطرافَ الطَّعامِ ضَغْما

الضَّغْمُ : العَضُّ . يُقالُ : ضغمتُ ، في معنى : عَضضْتُ . يُقالُ : ضَغَمَهُ ، إذا عَضَهُ . واللَّهِمُ : الواسعُ يلتهمُ كلَّ شيءٍ يبتلعهُ .
وقد يجوزُ الفَمُ في كلِّ شيءٍ . قالَ الشاعِرُ (٣) :

عَجِبْتُ لها أنّى يكونُ غِناؤها
فَصِيحاً ولم تَفْغَرْ بِمَنْطِقِها فَمَا

فجعلَ للحمامةِ فَماً فصيحاً . تَفْغَرُ : يعني تَفْتَح .
قالَ رُؤبَةُ (٤) :

كالحُوتِ لا يَرْوِيهِ شيءٌ يَلْهَمُهْ
(٢آ) يُصبِحُ ظَمْآنَ وفي البحرِ فَمُهْ

---

(١) زيادة ليست في الأصل . وينظر : الاصمعي ٦ ، ثابت ١/٧٩ .
(٢) بلا عزو في الوحوش ٢٤ ورواية الثالث فيه : يضم أطراف العظام ضما . والأول والثاني في ثابت ١/٧٩ .
(٣) حميد بن ثور ، ديوانه ٢٧ .
(٤) ديوانه ١٥٩ .

ويُقالُ : هذا فَمُ زَيْدٍ ، وهذا فُو (٥) زَيْدٍ ، ورأيتُ فَا زَيْدٍ ، ووَضَعْتُ الشيءَ في فِي زَيْدٍ .

فإذا أضَفْتَ لم تُبالِ أيَّهُما جِئْتَ بهِ . وإذا لم تُضِفْ ، وأفرَدْتَ ، لم يكنْ إلاّ فَمٌ ، نحو قولكَ : رأيتُ لكَ فَماً حَسَناً ، ولا يُقالُ : فَاً حَسَناً ، وهذا فِيَّ لافُوكَ فَماً حَسَناً . إلاّ أنَّهُ قَدْ جاءَ في الشعْرِ ، وليسَ كلُّ مايجوزُ في الشعْرِ يجوزُ في الكلامِ ، لأنَّ الشعْرَ مَوْضِعُ اضْطِرارٍ . قالَ العَجّاجُ (٦) :

خالَطَ من سَلْمَى خياشِيمَ وفَا

* * *

ثُمَّ الشَفَةُ

فهي من الانسانِ الشَّفَةُ ، بالتاء مَفْتُوحَة ، والجميعُ : الشِفاهُ ، وهُما الشفتانِ (٧) .

وهُما من البعيرِ المِشْفرانِ ، والواحِدُ : (٢ب) مِشْفَرٌ ، والجميعُ : المشافِرُ .

وهُما من ذواتِ الحافِرِ الجَحْفَلَتانِ ، والواحدةُ : جَحْفَلَةٌ ، والجميعُ : جحافِلُ .

ويُقالُ له من ذواتِ الأَظلاف : المَقَمَّةُ والمَرَمَّةُ ، الأوليانِ بالفتحِ ، والأُخريانِ بالكسرِ : المِقَمَّةُ والمِرَمَّةُ .

قالَ : وسألتُ الأصمعيَّ (٨) فأبَى إلاّ الكَسْرَ : مِقَمّة ومِرَمَّة .

---

(٥) في الأصل : فوه زيد . وهو خطأ. والنص الى قول العجاج عند ثابت ١/٨٠.
(٦) ديوانه ٢٢٥ .
(٧) ينظر : الأصمعي ٦ ثابت ١/٨٠ ، ابن فارس ٥١ .
(٨) عبدالملك بن قريب ، ت ٢١٦ هـ . (مراتب النحويين ٤٦ ، تهذيب اللغة ١/١٤) .

قالَ : وسمعتُ الفَتْحَ من غيرِ الأصمعيّ .

ويُقالُ له من السِّباعِ : الخَطْمُ والخُرْطومُ .

ومن الطائرِ : المِنْقارُ والمِنْسَرُ جميعاً . ويُقالُ : نَقَرَهُ نَقْراً ، ونَسَرَهُ نَسْراً .

ورُبَّما أُقيمَ بعضُ هذهِ الأشياءِ مقامَ بَعْضٍ إذا اضْطَرَّ الشاعرُ الى ذلكَ : قال أبو دُوَادٍ الإياديّ (٩) :

فبِتْنا عُراةً لدَى مُهْرِنا
نُنَزِّعُ من شَفَتَيْهِ الصَّفارا

قالَ الحُطَيْئَةُ (١٠) : (٣آ)

قَرَوْاجارَكَ العَيْمانَ لمّا جَفَوْتَهُ وقَلَّصَ عن بَرْدِ الشَّرابِ مشافِرُهْ

أي شَفَتاهُ . وقَرَوْا : من القرى ، أي أطعموهُ وسَقَوْهُ . وقَلَّصَ : يعني أنَّهُ كانَ في شتاءٍ قد بَرَدَ فيه الماءُ فتَقَلَّصَتْ شفتاهُ عن بَرْدِ الماء . ويُقالُ : إنَّما كَرِهَ الماءَ من العَيْمَةِ الى اللَّبَنِ .

* * *

ثُمَّ الأَنْفُ

فأَدْنَى العَدَدِ : آنُفُ . وهو أَنْفُ الإنسانِ (١١) ، مفتوحٌ ، والجميعُ أُنُوفٌ .

ويُقالُ لهُ : المَعْطِسُ ، والجميعُ : المعاطِسُ . ويُقالُ : أرْغَمَ اللهُ مَعْطِسَهُ . أي أَنْفَهُ .

---

(٩) شعره : ٣٥٢ . والصفار : يبيس البهمى ، وهو نبات شائك . (ينظر : النبات لأبي حنيفة ٥٥ ــ ٥٦) . وفي الأصل : نفرع من شفتيه .

(١٠) ديوانه ١٨٤ . والعيمان : الذي يشتهي اللبن .

(١١) ينظر : الأصمعي ٧ ، ثابت ٨٣/١ ، ابن فارس ٥٥ .

ويُقالُ : أَرْغَمَ اللهُ أَنْفَهُ (١٢) . أي أَلْصَقَهُ بالرَّغامِ ، وهو الرَّمْلُ والتُّرابُ .

ويُقالُ لهُ : المَرْسِنُ . وأَصْلُهُ للدَّوَابِّ ، لأنَّ المَرْسِنَ (٣ب) مَوْضِعُ الرَّسَنِ . وقد قِيلَ للإنسانِ . قالَ العَجّاجُ (١٣) :

وفاحِماً ومَرْسِناً مُسَرَّجا

ويُقال له من السباعِ : الخَطْمُ والخُرْطومُ والفِنْطِيسَةُ ، والجميعُ : الفَناطيسُ . وذكروا أنَّ أعرابيّاً وَصَفَ خنازيرَ فقالَ : كأنَّ فَناطيسَها كراكِرُ الإبلِ (١٤).

* * *

ثُمَّ الظُّفْرُ

يُقالُ : ظُفْرُ الإنسانِ ، وجميعُهُ : أظفارٌ . وأُظْفورٌ ، و [جَمْعُهُ] أَظافيرُ (١٥) .

وقد يجوزُ الظُّفْرُ لكلِّ شيءٍ . قالَ الأعشى (١٦) :

في مِجْدَلٍ شُيِّدَ بُنْيانُهُ
يَزِلُّ عنهُ ظُفُرُ الطائِرِ

وقالَ الآخرُ (١٧) :

مابينَ لُقْمَتِهِ الأولى إذا ازدردتْ
وبينَ أُخرى تَلِيها قِيسُ أُظْفُورِ

---

(١٢) الزاهر ١/٣٣٠ ، شرح أدب الكاتب ١٥٦ .
(١٣) ديوانه ١/٣٤ .
(١٤) الاصمعي ٧ ، ثابت ١/٨٤ .
(١٥) ينظر : الاصمعي ٧ ، ثابت ١/٨٥ ، ابن فارس ٦٣ .
(١٦) ديوانه ١٠٨ . ومجدل : حصن .
(١٧) البيت لأم الهيثم في جمهرة اللغة ٢/٣٧٨ .

(٤آ) قالَ زُهَيْرٌ (١٨) :

لدَى أسَدٍ شاكي السِّلاحِ مُقَذَّفٍ

له لِبَدٌ أظْفارُهُ لم تُقَلَّمِ

شاكِ : حديد السلاح . مُقَذَّفٌ : قد قُذِفَ باللَّحْمِ ، أي رُمِيَ به رَمْياً .
واللبدُ : ما قَد التبدَ على ظَهْرِهِ من وَبَرِهِ وشَعْرِهِ .

ويُقالُ لِما كانَ من سِباعِ الطَّيْرِ : المِخْلَبُ ، والجميعُ : المخالِبُ .
ويُقالُ : خلَبَهُ بالمِخْلَبِ .

وما لمْ يكُنْ من سِباعِ الطيرِ فهو منهُ : البُرْثُنُ ، للحَمَامِ والغُرابِ
وغير ذلك . والجميعُ : البَراثِنُ .

وقالَ بَعْضُهمُ : البُرْثُنُ مِثلُ الاصْبَعِ ،والمِخْلَبُ : ظُفْرُ البُرْثُنِ .

وقالَ النابغةُ (١٩) :

وقُلْتُ ياقومِ إنَّ اللَّيْثَ مُنْقَبِضٌ

على بَراثِنِهِ للوَثْبَةِ الضاري

(٤ب) أي تَقَبَّضَ وقام على براثِنِهِ يُريدُ المُواثَبَةَ .

قالَ ساعِدَةُ بنُ جُؤَيَّةَ الهُذَلِيُّ (٢٠) :

حتى أُتِيحَ لهــا وطالَ إيابُها

ذو رُجْلَةٍ شَثْنُ البراثِنِ جَحْنَبُ

أُتِيحَ : قُدِّرَ . طال إيابُها : أي طالَ عليها رُجُوعُها . ذو رُجْلَةٍ : أي
قوِيٌّ على المشْيِ . وذو رُجْلَةٍ : لادابَّةَ لهُ . شَثْنٌ : غليظٌ .

---

(١٨) ديوانه ٢٣ . وفي الأصل : شاك .
(١٩) ديوانه ٨١ .
(٢٠) ديوان الهذليين ١/١٨٠ ، شرح أشعار الهذليين ١١١٠ . وجحنب : قصير قليل . والبيت في وصف النحل .

البراثنُ : تكونُ للسِّباعِ إلاّ أنَّهُ جَعَلَها ها هُنا للرجلِ على التشبيه ، وهي الأصابعُ .

والبُرْثُنُ من السَّبُعِ بمنزلةِ الإصبَعِ من الإنسانِ ، والمِخْلَبُ في البُرْثُنِ هو الظُّفْرُ . وإنَّما هذا اضطِرارٌ ، والأصلُ ماذَكَرْناهُ .

ويُقالُ لهُ من البعيرِ : المَنْسِمُ ، والجميعُ : المناسِمُ ، وهو طَرَفُ الخُفِّ ؛

ويُقالُ لهُ من الشَّاءِ والبَقَرِ والظِباءِ وما أَشْبَهَ ذلكَ : الظِلْفُ ، (٦٥آ) والجميعُ : الاظْلافُ ؛

ويُقالُ للغِطاءِ الذي يَسْتُرُ مِخْلَبَ الأسدِ : الكُمُّ والمِقْنَبُ .

ويُقالُ : مَنْسِمٌ للنَّعامَةِ ، كما قالوا للبَعيرِ .

* * *

ثُمَّ الرِّجْلُ

يُقالُ : رِجْلُ الإنسانِ ، وقَدَمُ الإنسانِ ، وهما سواءٌ ، والجميعُ : أَرْجُلٌ وأقدامٌ (٢١) .

ويُقالُ : حافِرُ الفَرَسِ ، في مَوْضِعِ القَدَمِ من الإنسانِ ،والجميعُ : الحَوافِرُ .

ويُقالُ : خُفُّ الجَمَلِ ، والجميعُ : الأَخْفافُ .

ويُقالُ للنَّعامَةِ أيضاً خُفٌّ . قالَ الراعِي (٢٢) :

ورِجْلٍ كرِجْلِ الأَخْدَرِيِّ يَشُلُّها
وَظِيفٌ على خُفِّ النعامَةِ أَرْوَحُ

(٢١) ينظر : الاصمعي ٨ ، ثابت ١/٩٠ ، ابن فارس ٦٢ .
(٢٢) يصف ناقته ، ديوانه ٤١ .

خُفُّ النعامَة : أي كأنّهُ وَظِيفُ النعامة . والأرْوَحُ من الدوابِّ :
(٥ب) المُتَباعِدُ مابينَ الرُّسْغِ الى الساقِ . والرُّسْغُ : المَفْصلُ الذي بينَ الحافِرِ والوَظيفِ .

* * *

ثُمَّ الصَّدْرُ

يُقالُ : الصَّدْرُ مِنَ الإنسانِ ، والزَّوْرُ من البهائِمِ والناسِ والطيرِ أيضاً (٢٣) . قالَ (٢٤) :

كأنَّ قُرادَيْ زَوْرِهِ

وهو من الطيرِ أيضاً .

ويُقالُ للسباعِ والطير إذا أكَلَتْ فارتَفَعَتْ حواصِلُها: قدْ زَوَّرَتْ تَزْويراً .

ويُقالُ لهُ من الشَّاءِ : القَصُّ والقَصَصُ . وقد يُقالُ ذاكَ للإنسانِ على التَّشْبيهِ . فأمَّا الأصلُ فلِلشّاةِ . قالَ رُؤْبَةُ (٢٥) :

قُلْتُ لعبدِ اللهِ [مِنْ] تَوَدُّدِي
أُدْنيكَ من قَصِّي ولمَّا تَمْعُدِ

ويُقالُ : هو أَلْزَمُ [لكَ] (٢٦) من شَعَراتِ قَصِّكَ

ويُقالُ (٦آ) لهُ مِنَ الرَّجُلِ والفَرَسِ وغَيْرِهِ : البِرْكَةُ والبَرْكُ .

---

(٢٣) ينظر : الأصمعي ٨ ، ثابت ١/٨٧ ، ابن فارس ٥٧ .
(٢٤) ابن ميادة أو ملحة الجرمي أو عدي بن الرقاع . ينظر : شعر ابن ميادة ٢٥٥ وتتمته :
.... طبعتهما بطين من الجولان كتاب اعجم
(٢٥) لابنه عبدالله يعاتبه ، ديوانه ٤٩ والزيادة منه .
(٢٦) من الأصمعي وثابت .

وكانَ أَهْلُ الكوفةِ يُسمّونَ زياداً أَشْعَرَ بَرْكاً (٢٧) . أي أَشْعَرَ الصَّدْرِ

وقالَ الجَعْدِيُّ (٢٨) :

ولَوْحُ ذِراعَيْنِ في بِرْكَةٍ
الى جُؤْجُؤٍ رَهِلِ المَنْكِبِ

لَوْحٌ : عظيمٌ ،وكلُّ عَظْمٍ عَريضٍ : لَوْحٌ . والرَّهِلُ : المُسْتَرْخي الجِلْدِ الواسِعُهُ (٢٩). وهو مما يُنْعَتُ به الفَرَسُ ويُستَحبُّ فيه .

ويُقالُ : كِرْكِرَةُ البَعيرِ ، وهي المُسْتَديرةُ في صَدْرِهِ. وهي البَلْدَةُ أَيْضاً .

ويُقالُ لِمَوْضِعِها من الفَرَسِ : بَلْدَةٌ أيضاً . وقالَ ذو الرُّمَّةِ (٣٠):

أُنيخَتْ فأَلْقَتْ بَلْدَةً فوقَ بَلْدَةٍ
قليلٍ بها الأصواتُ إلاّ بُغَامُها

يُقالُ : نَزَلْنا بَلْدَةً طيِّبَةً ، أي أرضاً . وكلُّ أرضٍ بَلْدَةٌ (٦ب) وبَلْدٌ وبلادٌ . تَبَغُّمُها : وهو صوتٌ لاترفَعُهُ .

. والكَلْكَلُ : الصَّدْرُ من كُلِّ شيءٍ ؛ قالَ الشاعِرُ (٣١) :

تَنْجُو بكَلْكَلِها والرأْسُ معكوسُ

أي مَجْذوبٌ بالزمامِ .

(٢٧) الاصمعي ٨ ، ثابت ٨٧/١ ، الكامل ٧٣٤ . وزياد بن أبيه ، ت ٥٣ هـ . (فوات الوفيات ٣١/٢ ، الأعلام ٨٩/٣) .

(٢٨) شعره : ٣١ .

(٢٩) في الأصل : الواسعة .

(٣٠) ديوانه ١٠٠٤ . وفي الأصل : الا نعامها .

(٣١) المتلمس ، ديوانه ١٠٢ وصدره :

جاوزته بأمون ذات معجمة

والحَيْزُومُ : الصَّدْرُ وما انتطق به (٣٢) .

ويقالُ للكِرْكِرَةِ : الرَّحَى . قالَ الشاعرُ ، وهو الشَّمَّاخُ (٣٣) :

رَحَى حَيْزُومِها كرَحَى الطَّحينِ

ويُقالُ للكِرْكِرَةِ : السَّعْدانَةُ .

ويُقالُ له من الطَّيْرِ : حَوْصَلَةٌ وحَوْصَلاءُ . قالَ أبو النَّجْمِ (٣٤):

هادٍ ولو جارَ لحوصلائِهِ

جارَ : أي لم يأخُذْ على القَصْدِ ، يَذْكُرُ نَهِيماً .

ويُقالُ للصَّدْرِ أيْضاً : الجَوْشَنُ والجُؤْشُوشُ . قالَ رُؤْبَةُ (٣٥):

حتى تَرَكْنَ أعْظُمَ الجُؤْشُوشِ

(٦٧) والجُؤْجُؤُ ، والجَمْعُ : الجآجِيءُ .

• • •

ثُمَّ الثَّدْيُ

الثَّدْيُ ، مفتوحٌ . والثُّنْدُؤَةُ ، مَهْمُوزَةٌ وغير مَهْمُوزَةٍ : وهي مَغْرِزُ الثَّدْيِ ، والجميعُ : الثَّنادِيءُ (٣٦) .

والسَّعْدانَةُ : ما أحاطَ بالثَّدْيِ مِمّا خالفَ لونُهُ لونَ الثَّدْيِ .

والحَلَمَةُ : الهُنَيَّةُ الشاخِصَةُ من ثَدْيِ المرأةِ والرَّجُلِ. ويُقال لها : القُرادُ . ويُقالُ : رَجُلٌ حَسَنُ قُرادِ (٣٧) الصَّدْرِ .

---

(٣٢) في الأصل : الجيروم ... وما انطبق به . والصواب ما اثبتنا .

(٣٣) ديوانه ٣٢٤ وصدره :

فنعم المرتجى رحلت اليه

(٣٤) ديوانه ٥٦ .

(٣٥) ديوانه ٧٩ .

(٣٦) ينظر : الأصمعي ٩ ، ثابت ١/٨٩ ، ابن فارس ٥٨ .

(٣٧) في الأصل : فؤاد . وهو خطأ .

ويُقالُ لهمن ذواتِ الأظْلاف والأخفافِ: الضَّرْعُ. والجميعُ: الضُّروع.
ومَوْضِعُ يَدِ الحالِبِ منها يُقالُ له: الخِلْفُ. والجميعُ: الأخْلافُ.
ويُقالُ لهُ من ذي الحافِرِ والسِّباعِ: الطُّبْيُ. والجميعُ: أطْباءٌ، ممدودٌ. ويُقالُ: (٧ب) أطْباءُ الفَرَسِ، وأطْباءُ الكَلْبَةِ، وأطْباءُ اللَّبُؤةِ.

* * *

ثُمَّ الفَرْجُ

يُقالُ: فَرْجُ الإنسانِ، وأيْرُهُ، وزُبُّهُ (٣٨).
ويُقالُ لهُ من ذَوَاتِ الحافِرِ: الغُرْمُولُ. والجميعُ: الغَراميلُ.
والجُرْدانُ. قالَ الشاعِرُ (٣٩):

وخِنْذِيذٍ تَرَى الغُرْمُولَ مِنْهُ
كَطَيِّ الزِّقِّ عَلَّقَهُ التِّجارُ

والقُنْبُ: وِعاؤُهُ.
ويُقالُ لهُ مِن البَعيرِ: المِقْلَمُ. ووِعاؤُهُ من البعيرِ: الثِّيلُ.
ويُقالُ: قَضِيبُ التَّيْسِ والثورِ.
والقَضِيبُ يجوزُ في كلِّ ذي ذَكَرٍ.
ويُقالُ له من السِّباعِ: عُقْدَةُ السَّبُعِ، وعُقْدَةُ الكلبِ.
ويُقالُ له من الخِنْزِيرِ خاصة: فُرْطوس.
(٣٨) سَمِعْتُ أبا عُبَيْدَةَ (٤٠) يقولُ: المَتْكُ: طَرَفُ الزُّبِّ.

---

(٣٨) ينظر: الأصمعي ٩، ثابت ٩١/١، ابن فارس ٦٤.
(٣٩) بشر بن ابي خازم، ديوانه. والخنذيذ: الكريم من الخيل، ويقال: المشرف الطويل.
(٤٠) معمر بن المثنى، ت نحو ٢١٠ هـ. (انباه الرواة ٢٧٦/٣، وفيات الأعيان ٢٣٥/٥).

والمرأةُ المَتْكاءُ : البَظْراءُ (٤١) ، وهي التي لم تُخْتَن . والبَظْرُ : الموضعُ الذي يُخْتَنُ من المرأةِ ، يُقطَعُ منها .

* * *

ثُمَّ فَرْجُ المرأةِ

يُقالُ : فَرْجُ المرأةِ . والجميعُ : الفُروجُ (٤٢) .

وهو القُبُلُ . وهو الحِرُ ، والجميعُ : أَحْراحٌ .

ويُقالُ لهُ من المرأةِ : الكَعْثَبُ والأَجَمُّ . قالَ الراجِزُ (٤٣) :

جاريةٌ أَعْظَمُها أَجَمُّها
بائنةُ الرِّجْلِ فما تَضُمُّها
قَدْ سَمَّنَتْها بالسَّوِيقِ أُمُّها
فهي تبغي عَزَباً يَقُمُّها

ويُقالُ لهُ من ذواتِ الأظلافِ والأخفافِ : الحَياءُ . (٨ب) والجميعُ : أَحْيِيَةٌ .

ويُقالُ لهُ مِن الفَرَسِ : ظَبْيَةُ الفَرَسِ . و[ظَبْيَةُ](٤٤) الأتانِ .

ويُقالُ لهُ مِن السِّباعِ : الثَّفْرُ . وقالَ الأَخْطَلُ (٤٥) :

جَزَى اللهُ فيها الأَعْوَرَيْنِ ملامةً
وفَضْلَةَ ثَفْرَ الثَّوْرَةِ المُتَضاجِمِ

والأَصْلُ للسِّباعِ

* * *

(٤١) في الأصل : البضراء ، بالضاد .
(٤٢) ينظر : الأصمعي ١٠ ، ثابت ٩٣/١ ، ابن فارس ٦٤ .
(٤٣) بلا عزو في خلق الانسان لثابت ٢٩٦ . والأبيات ١ ــ ٣ في الأصمعي ١٠ والحيوان ٢٨١/٢ . ويقمها : يشتمل عليها وينكحها . وفي خلق الانسان : يشمها .
(٤٤) من ثابت .
(٤٥) ديوانه ٢٧٧ .

ثُمَّ الدُّبُرُ

يُقالُ : دُبُرُ الإنسانِ . والجميعُ : الأَدْبارُ (٤٦) .

وهو اسْتُهُ . والجميعُ : أَسْتاهٌ ، في كلِّ شيءٍ . قالَ الشاعِرُ (٤٧) :

وأَنْتَ مكانُكَ من وائِلٍ
مَكَانُ القُرادِ من اسْتِ الجَمَلْ

ويُقالُ لهُ من ذي الظِّلْفِ : المِبْعَرُ . ومن ذي الخُفِّ أيضاً .

(٦٩آ) ويُقالُ لهُ مِن ذي الحافِرِ : المَراثُ والخَوْرانُ .

ويُقالُ للاسْتِ : العَفَّاقَةُ والوَجْعاءُ والجَعْباءُ وأُمُّ سُوَيْدٍ والصَّمارَى (٤٨) .

وسأَلَ النعمانُ بنُ المُنذرِ رَجُلاً طَعَنَ رجلاً من غَنِيٍّ فقالَ : كيفَ طَعَنْتَهُ ؟ فقالَ : طَعَنْتُهُ في الكَبَّةِ ، فأَصَبْتُ السَّبَّةَ ، فأخرجتُ الرُّمْحَ من اللَّبَّةِ (٤٩) .

* * *

ثُمَّ المُخاطُ

يُقالُ : مُخاطُ الإنسانِ (٥٠) .

ومن البَقَرِ والشَّاءِ : الرُّغامُ والرُّعامُ .

---

(٤٦) ينظر : ثابت ١/٩٥ .

(٤٧) الأخطل . وقد اخل به ديوانه (ينظر : ذيل الديوان ٥٥٩) . ونسب الى عتبة بن ابي سفيان في وقعة صفين ٣٦٢ والى عتبة بن الوعل في اللآلي ٨٥٤ .

(٤٨) في الأصل : المصارية . ينظر : خلق الانسان لثابت ٣١٠ ـ ٣١١ ، وللزجاج ٤٥ .

(٤٩) خلق الانسان لثابت ٣٠٨ .

(٥٠) ينظر : الأصمعي ١٠ ، ثابت ١/١٠٥ ، ابن فارس ٦٨ .

ويُقالُ لهُ مِن ذي الحافِرِ : الرُّوالُ والرعالُ .
والذَّنِينُ : السَّيَلانُ . ذَنَّ أنفُهُ يَذِنُّ ذَنِيناً .
ورَذَمَ يَرْذِمُ رَذْماً ورِذاماً ، وهو القَطْرُ . وأنْشَدَنا الأَصمَعِيَ (٥١) :

مَنْ لِيَ منها إذا ماجُلْبَةٌ أزَمَتْ
ومن أُوَيْسٍ إذا ماأنفُهُ رَذَما

وكلُّ قاطِرٍ راذِمٌ .
والرُّعامُ من النعجةِ بمنزلةِ المُخاطِ من الإنسانِ . والرُّوالُ : هو اللُّعابُ من كلِّ شيءٍ .

* * *

ثُمَّ البُزَاقُ (٩ب)

يُقالُ : هو البُزاقُ والبُساقُ والبُصاقُ . ويُقالُ : بَزَقَ وبَسَقَ وبَصَقَ (٥٢) .
ويُقالُ له : المَرْغُ . ويُقالُ : أحمَقُ يَسيلُ مَرْغُهُ ، وأحمَقُ يسيلُ لُعابُهُ ، وأحمَقُ لايَجنأى مَرْغَهُ : أي لايحبسُهُ .
ويُقالُ لهُ من ذي الخُفِّ : [اللُّغامُ] (٥٣) .

* * *

ثُمَّ العَرَقُ

هو العَرَقُ والنَّجَدُ (٥٤) . يُقالُ : نَجِدَ الإنسانُ يَنْجَدُ نَجْداً .

(٥١) البيت لكعب بن زهير ، ديوانه ٢٢٤ وفيه : مالي منها اذا ما ازمة . والجلبة : الشدة من الزمان . واويس : اسم للذئب .
(٥٢) ينظر : الأصمعي ١٠ ، ثابت ١/١٠٥ و ٢/٨٨ ، ابن فارس ٦٨ .
(٥٣) من الأصمعي وثابت .
(٥٤) ينظر : الأصمعي ١١ ، ثابت ٢/٨٦ ، ابن فارس ٦٧ .

قالَ : وأنْشَدَ أبو مالكٍ (٥٥) :

فقُمْتُ مقاماً خائفاً مَنْ يَقُمْ بهِ
من الناسِ إلاَّ ذو الجَلادةِ يَنْجَدِ

ويُقالُ له من ذي الحافرِ : الصُّواحُ . قالَ الشاعرُ (٥٦) :

جَلَبْنا الخيلَ داميةً كُلاها يَسيلُ على سنابِكِها الصُّواحُ

(١٠ أ) ويُقالُ لهُ : الحَميمُ . قالَ الجَعْديُّ (٥٧) :

كأنَّ الحَميمَ بِها قافِلاً أشاريرُ مِلْحٍ لدَى مُجْرِبِ

والقَرْنُ : حَلْبَةٌ من عَرَقٍ . وجماعُها : القُرُونُ . ويُقالُ : احلِبْ فَرَسَكَ قَرْناً أو قَرْنين .

قالَ : وأنشد الأصمعيّ :

تُضَمَّنُ بالأصائِلِ كلَّ يومٍ
تُسَنُّ [على] سَنَابِكِها القُرونُ (٥٨)

ويُقال : عَصِيمُ العَرَقِ ، وهو أَثَرُهُ . وعَصِيمُ الحِنّاءِ : أَثَرُهُ . وعصيمُ الخِضَابِ : أَثَرُهُ .

ويجوزُ العَرَقُ في كُلِّ شيءٍ .

• • •

(٥٥) عمرو بن كركرة الأعرابي ، كان يحفظ لغات العرب . (مراتب النحويين ٤١ ، معجم الادباء ١٣١/١٦) . والبيت بلا عزو في الأصمعي ١١ وثابت ٨٦/٢ .

(٥٦) بلا عزو في الأصمعي ١١ وثابت ٨٦/٢ . وفي الأصل : على مناكبها .

(٥٧) اخل به شعره . وهو له في ثابت . وقافلا : يابسا . والأشارير : الخصف . وفي الأصل : أسارير .

(٥٨) البيت لزهير في ديوانه ١٨٧ والزيادة منه . وفيالاصل : قرون . ورواية صدر البيت في الديوان : نعودها الطراد فكل يوم .

ثُمَّ الجُلُوسُ

يُقالُ : جَلَسَ الإنسانُ يجلِسُ جُلوساً . وقَعَدَ يقعُدُ قُعوداً (٥٩).
ويُقالُ : رَبَضَ الفرسُ يربِضُ . والحمارُ وكلُّ ذي حافِرٍ .
وبَرَكَ البعيرُ يبرُكُ بُروكاً .
ويُقالُ : جَثَمَ الطائرُ يَجْثِمُ جُثوماً . ومَجْثِمُهُ : وهو مَوْضِعُهُ الذي (١٠ ب) يَجْثِمُ فيه .

* * *

ثُمَّ الضُّراطُ

يُقالُ : ضَرَطَ الإنسانُ يَضْرِطُ ضراطاً . ورَدَمَ العَيْرُ يَرْدُمُ رَدْماً ورَدَماناً (٦٠) . قالَ الشاعِرُ (٦١) :

دعا النَّقَرَى دوني رِياح سَفَاهَةً
وما كانَ يَدْري رَدْمَةَ العَيْرِ ماهِيا

ويُقالُ : مَكَتْ استُ الدابةِ : إذا صَوَّتَتْ . والمُكاءُ : الصَّفِيرُ .
ويُقالُ : حَصَمَ الفرسُ . وحَبَجَ الحمارُ . وخَبَجَ .
ويُقالُ : رَجُلٌ خُبَجَةٌ : إذا كانَ كثيرَ الضُّراطِ .
ويُقالُ : خَضَفَ العَيْرُ يَخْضِفُ . قالَ الراجزُ (٦٢) :

إنا وَجَدْنا خلَفاً بِئسَ الخَلَفْ
عبداً إذا ما ناءَ بالحِمْلِ خَضَفْ

---

(٥٩) ينظر : الأصمعي ١١ ، ثابت ٨٩/٢ ، ابن فارس ٦٦ .
(٦٠) ينظر : ثابت ١٠٣/١ ، ابن فارس ٦٩ .
(٦١) بلا عزو في نوادر ابي زيد ٣٠٩ ونوادر ابي مسحل ٤٨١ وثابت ١٠٤/١ .
(٦٢) بلا عزو في ثابت ١٠٥ واساس البلاغة ١١٤ .

أغْلَقَ عنّا بابَهُ ثُمَّ حَلَفْ
لا يُدْخِلُ البَوّابُ إلاّ من عَرَفْ

ويُقالُ : حَبِقَتِ العَنْزُ ، وحَبِقَ العَيْرُ حَبِقاً.[قالَ الشاعر](٦٣) :

فظَلَّ مُحْبَنْطِئاً ينزو له حَبَقٌ إمّا بحقٍّ وإمّا كانَ مَرْهُوبا

(١١ أ) ويُقالُ : أَنْبَقَ الإنسانُ انباقاً . وهي الضَّرطةُ الخَفِيَّة .

• • •

في قضاء الحاجةِ

يُقالُ : خَرِىءَ الإنسانُ خراءَةً ، ممدودةٌ مهموزةٌ (٦٤) .

وطافَ يطوفُ طَوْفاً .

ويُقالُ : يَبِسَ طوفُهُ في بَطْنِه .

ويُقالُ : عَسِرَ عليهِ خروجُ طوفِه .

وفي الحديثِ : (لا يتحدَّثُ اثنانِ على طَوْفِهِما فإنَّ الله مَقَتَ ذلكَ) (٦٥) .

وهو رجيعُ الإنسانِ أيضاً . والعَذِرَةُ .

والعِقْيُ : أوّلُ ما يُرْمَى به الصبيّ أوّل ما يخرجُ من بَطْنِ أُمِّهِ .

وقد عَقَى الصبيُّ يَعْقِي عَقْياً .

ويُقالُ : ذَرَقَ الطائرُ يذْرقُ ذَرْقاً .

وقد نَجَا الرجلُ وأَنجى : إذا قَضَى حاجَتَهُ .

---

(٦٣) بلا عزو في ثابت ١٠٤ وفيه : موهونا . والمحبنطيء : المنتفخ جوفه . .
(٦٤) ينظر : الأصمعي ١٢ ، ثابت ١/٩٧ .
(٦٥) في الفائق ٢/٣٧٠ والنهاية ٣/١٤٣ : نهى عن متحدثين على طوفهما . وفي الأصل : مقت على ذلك .

ويُقالُ : الدَّحْمُ أَقَلُّ الطعامِ نَجْواً . ذَكَرَهُ الأصمعيّ (٦٦) .

ويُقالُ : ذَهَبَ يَضْرِبُ الغائِطَ . وذَهَبَ يَتَغَوَّطُ : كنايةٌ (٦٧) عن الخراءةِ .

ويُقالُ (١١ ب) في [ذي] الحافِرِ : قد راثَ يروثُ رَوْثاً .

ويُقالُ في [ذوات] الخُفِّ والظِّلْفِ : قد بَعَرَتْ تَبْعَرُ بَعْراً . فإذا رَقَّ : ثَلَطَ يثلِطُ ثَلْطاً .

ويُقالُ : هي الخِثْيُ ، من البَقَرِ ، والجميعُ : أَخْثاءٌ . وخَثَتْ تَخْثي خَثْياً ، المَصْدَرُ مفتوحٌ ، والاسمُ مكسورٌ .

وصَامَ النَّعامُ ، وهو صَوْمُهُ .

وهو الوَنيمُ من الذُّباب . قالَ الشاعِرُ (٦٨) :

وقَدْ وَنَمَ الذُّبابُ عليه حتى كأنَّ وَنيمَهُ نُقَطُ المِدادِ

قالَ : والغائِطُ : أرضٌ مطمئنَّةٌ كانَ يأتيها الرجلُ يقضي حاجتَهُ ، فكَثُرَ ذلكَ حتى سَمَّوا قَضاءَ الحاجَةِ الغائِطَ (٦٩) .

* * *

ثمَّ الغُلْمَةُ

يُقالُ : قد اغتلمَ الرَّجُلُ ، وقد شَبِقَ شَبَقاً . ورجلٌ مُغْتَلِمٌ ، وامرأةٌ مُغْتَلِمَةٌ ، وشَبِقٌ وشَبِقَةٌ (٧٠) .

(٦٦) في كتابه الفرق ١٢ .
(٦٧) في الأصل : كفاية . وهو تحريف .
(٦٨) الفرزدق ، ديوانه ٢١٥ .
(٦٩) الفاخر ٤٩ ، الزاهر ١/٥١٥ .
(٧٠) ينظر : الأصمعي ١٢ ، ثابت ١/١٠٦ ، ابن فارس ٧٤ .

وقَطِمَ (١٢ أ) البعيرُ يَقْطِمُ قَطَماً . وهاجَ يَهيجُ هِياجاً وهَيْجاً . قالَ الشاعِرُ (٧١) :

حتى إذا علا بُنَيَّ واعْتَجَنْ
هاجَ وليسَ هَيْجُهُ بمؤتَمَنْ
على صماريد كأَمْثالِ الجُوَنْ

ويُقالُ لذوات الحافِرِ : قدِ اسْتَوْدَقَتِ اسْتيداقاً ، وأَوْدَقَتْ ، وهي وَدِيقٌ ووَدُوقٌ بَيِّنَةُ الوداقِ :

ويُقالُ للناقةِ : قَدْ ضَبِعَتْ تَضْبَعُ ضَبَعاً وضباعةً .

ويُقالُ للسِّباعِ : قد أَجْعَلَتِ اللبؤةُ والكَلْبَةُ . وهي كلبةٌ مُجْعِلٌ . وصَرَفَتْ ، وهي صارِفٌ .

ويُقالُ (٧٢) في الشاةِ : قد اسْتَحْرَمَتِ الماعِزةُ ، وهي ماعِزةٌ حَرْمَى ، ومُسْتَحْرِمَةٌ ، وبِها حِرامٌ .

وذكرَ الأَصمعيّ : أنّ الصّارِفَ ليسَ من كلامِ العربِ وإنّما وَلّدَهُ أَهْلُ الأمصارِ .

ويُقالُ (١٢ ب) في النَّعْجَةِ : نَعْجَةٌ حانِيَةٌ ، وقَدْ حَنَتْ تَحْنُو حُنُوّاً ، وهي نعجةٌ حانٍ ، وبِها حِناءٌ ، كما تَرَى .

ويُقالُ : قَدْ هَبَّ التَّيْسُ واهْتَبَّ .

* * *

---

(٧١) القلاخ بن حزن في الشاء ١٠ وفيه البيتان الثاني والثالث . والثاني فقط في ثابت ١/١٠٧ . والثالث في اللسان (جون) وروايته : على مصاميد . والصماريد : الأرضون الصلاب .

(٧٢) في الأصل : وقال .

ثُمَّ النِّكاحُ

يُقالُ : ناكَ الرجلُ ينيكُ نَيْكاً ، ونَكَحَ ينكِحُ نِكاحاً ، وهما سَوَاءٌ . ولامَسَ لِماساً . وباضَعَ مُبَاضَعَةً . وغَشِيَ غِشْياناً . وقد وَطِيءَ الرجلُ المرأةَ (٧٣) .

ويُقالُ : البِعالُ ، للنكاحِ . ويُروَى في الحديثِ في يومِ الأَضْحَى والثلاثةِ الأيامِ التي بَعْدَهُ : (أَنَّها أيامُ أكلٍ وشُرْبٍ وبِعالٍ) (٧٤) .

ويُقالُ : باضَعَ مُباضَعَةً وبِضاعاً . ويُقالُ في مَثَلٍ : (كمُعَلِّمَةٍ أُمَّها البِضاعَ) (٧٥) . يُضْرَبُ مَثَلاً للرجُلِ يُعَلِّمُ مَنْ هو أَعْلَمُ مِنْهُ .

ويُسَمَّى النكاحُ : البَاءَة ، ممدودةٌ . (١٣ أ) ويُقالُ : رجلٌ ضعيفُ الباءَةِ .

ويُقالُ للفرسِ : قد كامَهَا يكومُهُا كَوْماً .

ويُقالُ في الحمارِ : باكَ يَبُوكُ بَوْكاً .

ويُقالُ في الجَمَلِ : ضَرَبَ يَضْرِبُ ضِراباً . وقاعَ يَقُوعُ قَوْعاً وقِياعاً . وقَعَا يَقْعُو قُعُوّاً . وطَرَقَها الفَحْلُ ، وأَطْرَقْتُهُ أنا .

ويُقالُ : حِقَّةٌ طَرُوقَةُ الفَحْلِ ، أي يَطْرُقُها الفَحْلُ .

ويقال في التَّيْسِ : سَفِدَ (٧٦) يَسْفَدُ سِفاداً . وقَرَعَ يَقْرَعُ قَرْعاً .

---

(٧٣) ينظر : الأصمعي ١٣ ، ثابت ١/١٠٨ ، ابن فارس ٧٦ ، المخصص ٥/١١٠ – ١١٤ .

(٧٤) غريب الحديث ١/١٨٢ ، الفائق ١/١١٩ .

(٧٥) الأمثال ٢٩٣ ، جمهرة الأمثال ٢/١٥٣ ، المستقصي ٢/٢٣٣ .

(٧٦) وسفد ، بفتح الفاء ، وهي لغة كما ستأتي .

ويُقالُ : عاظَلَ معاظَلَةً وعِظالاً . قالَ أبو الزَّحْفِ (٧٧) :

تَمَشِّيَ الكَلْبِ دَنَا للكَلْبَةِ
يَبْغِي العِظالَ مُصْحِراً بالسَّوْأَةِ

ويُقالُ للسِّباعِ أيْضاً : تَنْزُو نَزْواً .
وقالَ بَعْضُهُم : كُلُّ فَحْلٍ ينزو ما خلا الجَمَلَ .
ويُقالُ للطائِرِ : قَمَطَ قَمْطاً ، وسَفَدَ سِفاداً ، وقَفَطَ قَفْطاً .

* * *

(١٣ب) ثُمَّ الحَمْلُ

يُقالُ : حَمَلَتِ المرأةُ وحَبِلَتْ ، وهي امرأةٌ حامِلٌ وحُبلَى(٧٨) .
ويُقالُ : مُجِحٌّ ، وذِئبةٌ مُجِحٌّ ، ويُقالُ للسِّباعِ كُلِّها .
وقالَ أبو زَيْدٍ (٧٩) : يُقالُ : حُبْلَى ، في كُلِّ ذاتِ ظُفُرٍ .
وأنْشَدَنا :

تراهُ ينزو بِطْنَةَ المُجِحِّ

وقال آخرُ :

أو ذِيخَةٌ حُبْلَى مُجِحٌّ مُقْرِبُ

ويُقالُ : امرأةٌ مُثْقِلٌ ، وقد أثْقَلَتْ : إذا عَظُمَ ما في بَطْنِها .
قالَ اللهُ ، عَزَّوجَلَّ : « فلمَّا أثْقَلَتْ دَعَوَا اللهَ رَبَّهُما» (٨٠) .
ويُقالُ للفرسِ إذا عَظُمَ بَطْنُها من الحملِ : فرسٌ عَقُوقٌ . وقد أعَقَّتْ إعقاقاً ، وهي مُعِقٌّ .

---

(٧٧) ثابت ١١٥/١ ، اللسان (عظل) . وفي الأصل : في الكلب دنا . وهو خطأ .
(٧٨) الأصمعي ١٤ ، ثابت ١١٥/١ ، ابن فارس ٧٦ .
(٧٩) سعيد بن أوس ، ت ٢١٥هـ . (تاريخ بغداد ٧٧/٩ ، انباه الرواة ٣٠/٢) .
(٨٠) الأعراف ١٨٩ .

فإذا دنا نِتاجُها فهي مُقْرِبٌ . وكذلكَ الشاةُ .

ويُقالُ : أَدْنَتِ الناقَةُ ، وهي مُدْنِيَةٌ ، (١٤ أ) والجميعُ : مدانٍ . فاعْلَمْ .

ويُقالُ قد أَمْكَنَتِ الضَّبَّةُ والجَرادَةُ ، إذا اجتمعَ البَيْضُ في بَطْنِها . ويُقالُ للبيض : المَكِنُ (٨١) . ويُقالُ : ضَبَّةٌ مَكُونٌ .

ونَظَمَتِ (٨٢) الدجاجةُ : إذا اجتمعَ البيضُ في بَطْنِها . وأَرْتَجَتْ أيضاً كذلك .

* * *

ثُمَّ الولادَةُ بَعْدَ الحَمْلِ

يُقالُ : وَلَدَتِ المرأةُ ووَضَعَتْ (٨٣) . قالَ اللهُ ، عزَّوجلَّ ، فيما يَحْكِي : « قالتْ رَبِّ إنِّي وَضَعْتُها أُنْثَى » (٨٤) .

ويُقالُ : قد نَفِسَتِ المرأةُ نِفاساً . وهي امرأةٌ نُفَساءُ ، وهي في نِفاسِها ما لم تطَهرْ من الوِلادة . ويُقالُ للصَّبِيِّ : مَنْفُوسٌ .

ويُقالُ للمرأةِ إذا أَلْقَتْهُ لغَيْرِ تمامٍ : أَسْقَطَتْ تُسْقِطُ إسْقاطاً . والولدُ : سَقْطٌ وسُقْطٌ وسِقْطٌ ، لغاتٌ كُلُّها (٨٥) .

(١٤ ب) ويُقالُ : انْتَجَتِ [الناقةُ] إذا وضَعَتْ من غيرِ أنْ تَلِيَها راعِيتُها . وأُنْتِجَتِ الفرسُ : إذا دَنَا نِتاجُها .

---

(٨١) والمكن ، بسكون الكاف ، أيضا .

(٨٢) في الأصل : نضمت ، بالضاد ، وهو خطأ . ينظر : اللسان (نظم) .

(٨٣) ينظر : الأصمعي ١٤ ، ثابت ١/١٢٠ ، ابن فارس ٧٨ .

(٨٤) آل عمران ٣٦ .

(٨٥) المثلث ٢/٤٠٣ ، اكمال الاعلام بتثليث الكلام ١٢ ، الدرر المبثثة في الغرر المثلثة ١٣٠ .

ويُقالُ : نُتِجَتِ الفرسُ ، وقد نَتَجْتُها أنا ، بغيرِ ألفٍ .

وكذلكَ الناقةُ : نُتِجَتْ .

وإذا أَلْقَتِ الناقةُ وَلَدَها لغير تمامٍ قِيلَ : أَعْجَلَتْ وأَخْدَجَتْ ، وخَدَجَتْ خِداجاً . والولدُ : خَدِيجٌ ومُخدَجٌ . والخِداجُ في الشّاءِ أيضاً .

ويُقالُ في الشاءِ والبعيرِ : قد وَلَدَتْ ووَضَعَتْ .

ويُقالُ في السِّباعِ أيضاً : وَضَعَتْ .

ويجوزُ في هذا كُلِّهِ ، وفي الإنسانِ ، وفي كُلِّ حامِلٍ .

ويُقالُ للشاةِ إذا وَضَعَتْ : شاةٌ رُبَّى (٨٦) ، والجميعُ : الرُّباب .

والمصدرُ منه : الرِّبابُ . وقالَ الشاعِرُ (٨٧) :

حَنِينَ أُمِّ البَوِّ في رِبابِها

وهي العائِذُ أيضاً ، والجميعُ : عَوائِذُ وعُوذٌ (٨٨) .

* * *

ثُمَّ أسماءُ الأولادِ

(١٥ أ) يُقالُ : هو الغلامُ والجاريةُ (٨٩) .

ويُقالُ لولدِ الفَرَسِ : المُهْرُ ، والأُنْثَى : مُهْرَةٌ . وجَمْعُ

---

(٨٦) بعدها في الأصل : وهي العائذ أيضا . وهي مقحمة هنا ، ومكانها بعد الشعر .

(٨٧) بلا عزو في الحيوان ٤٩٦/٥ .

(٨٨) في الأصل : والجميع عائذ عوائذ وعوذ .

(٨٩) ينظر : الأصمعي ١٥ ، ثابت ٦١/٢ ـ ٧٧ ، ابن فارس ٨٠ ، فقه اللغة ١١٣ .

مُهْرٍ (٩٠) : مِهارٌ وأمهارٌ (٩١) ، و[جَمْعُ] مُهْرَةٍ : مُهَرٌ ومُهَرَاتٌ.
قالَ العجّاجُ (٩٢) :

خُوصاً يُساقِطْنَ المِهارَ والمُهَرْ

وقالَ آخرُ (٩٣) :

يَقْذِفْنَ بالمُهَراتِ والأَمْهارِ

ويُقال له من الحِمار : الجَحْشُ ، والأُنثَى : جَحْشَةٌ ، والجميعُ : الجِحَاشُ .

والفَلُوُّ : ولدُ الخيلِ من الحِمارِ . ويُقالُ : فُلِيَ أي فُطِمَ . وأصْلُ الفِلاءِ الفِطامُ . وقد يُقالُ لها قبلَ أنْ يُفْطَمَ : الفِلاء والأَفلاء .
قالَ زُهَيْرٌ (٩٤) :

تَنْبِذُ أَفْلاءَها في كُلِّ مَنْزِلَةٍ
تَنْتِخُ أَعْيُنَها العِقْبانُ والرَّخَمُ

فَجعَلَ ما في بَطْنِها أفلاء .

ويُقالُ له من الشّاءِ : السَّخْلَةُ ، للذَّكَرِ والأُنثى . والجميعُ : السَّخْلُ (٩٥) .

ويُقالُ للذَّكَرِ : الجَدْيُ ، والأُنثَى : عَنَاقٌ .

---

(٩٠) في الأصل : وللجميع مهر ومهار وأمهار . والصواب ما أثبتنا .
(٩١) ومهارة بكسر الميم ، أيضا .
(٩٢) ديوانه ٣٢/١ .
(٩٣) الربيع بن زياد في اللسان والتاج (مهر) وصدر البيت :
ومجنبات ما يذقن عذوفا
(٩٤) يذكر الخيل في غارة وصفها ، ديوانه ١٥٤ . والنتخ : النزع والقلع .
(٩٥) وسخال ، بكسر السين . وسخلة ، بكسر السين وفتح الخاء . وسخلان ، بضم السين .

ويُقالُ (١٥ ب) لولدِ الناقَةِ : الحُوارُ (٩٦) ، والجميعُ : الحيرانُ .
فإذا فُصِلَ عن أُمِّهِ فهو فَصِيلٌ ، والجميعُ : الفِصالُ ، والأُنثى : حُوارةٌ وفصيلةٌ . و [الجميعُ] : فُصْلانٌ وفِصْلانٌ .

والطَّلاَ : الولدُ من ذواتِ الظِّلْفِ ساعةَ تُلْقيهِ أُمُّهُ . قالَ زُهَيْرٌ (٩٧) :

بها العِينُ والآرامُ يمشِينَ خِلْفَةً
وأطْلاؤُها يَنْهَضْنَ من كُلِّ مَجْثِمِ

ويُقالُ لولدِ الضَّأْنِ : الرَّخْلَةُ والرَّخْلُ ، والجميعُ : الرِّخالُ (٩٨).
والفَريرُ ، والجميعُ : الفُرارُ (٩٩) .

ويُقالُ لولدِ البقرةِ : العِجْلُ ، والأُنثَى : عِجْلَةٌ (١٠٠) .
ويُقالُ أيضاً : عِجَّوْلٌ و [الجمعُ] : عَجَاجِيلُ .

ويُقالُ لولدِ الظبيةِ : الغَزالُ ، والأُنثَى : غَزَالَةٌ . والجميعُ : الغِزْلانُ . ويُقالُ له : الرَّشَأُ أيضاً ، والخِشْفُ ، والأُنثَى : خِشْفَةٌ .

ويُقالُ لولدِ الأَرْوَى : الغُفْرُ ، مضمومٌ ساكِنٌ .

ويُقالُ لولدِ الأَسَدِ : (١٦ أ) شِبْلٌ ، والجميعُ : أَشْبالٌ وشُبُولٌ .
والجِرْوُ ، والجميعُ : الجِراءُ ، فأَدْنَى العدد : أَجْرٍ ، كما تَرَى .
والجِرْوُ يجوزُ في السِّباعِ كُلِّها والكِلابِ . قالَ زُهَيْرٌ (١٠١) :

---

(٩٦) والحوار ، بكسر الحاء ، أيضا .
(٩٧) ديوانه ٥ . وفي الاصل : خلقة .
(٩٨) والرخال ، بضم الراء ، أيضا .
(٩٩) ويكون للواحد أيضا .
(١٠٠) والجمع : عجلة ، بكسر العين وفتح الجيم .
(١٠١) ديوانه ٩٤ .

ولأَنْتَ أَشْجَعُ حِينَ تَتَّجِهُ الـ
أبطالُ من لَيْثٍ أبي أجْـــــرِ

ويُقالُ لولدِ الضَّبُعِ : الفُرْعُلُ ، والجميعُ : الفَراعِلُ .

ويُقالُ لولدِ الثَّعْلَبِ : التَّتْفَلُ والتُّتْفُلُ والتِّتْفِلُ ، ثلاثُ لُغاتٍ (١٠٢) .

ويُقالُ لولدِ الخِنْزِيرِ : الخِنَّوْصُ ، والجميعُ : الخَنَانيصُ .

ويُقالُ لولدِ القِرْدِ : القِشَّةُ . ويُقالُ للصَّبِيِّ إذا ذُكِرَ بالكَيْسِ : (هو أَكْيَسُ من قِشَّةٍ) (١٠٣) .

والسِّمْعُ : [ما يُولدُ] مِن الذِّئْبِ والضَّبُعِ .

ويُقالُ لولدِ الأَرْنَبِ : الخِرْنِقُ ، والجميعُ : الخَرانقُ .

ويُقالُ لولدِ الفَأْرَةِ : الدِّرْصُ (١٠٤) ، والجميعُ : أَدْراصٌ(١٠٥).

ويُقالُ لولدِ الضَّبِّ : الحِسْلُ ، والجميعُ : الحِسَلَةُ (١٠٦) .

ويُقالُ لولدِ النَّعامِ : الرَّأْلُ ، مهموزٌ . والجميعُ : (١٦ ب) الرِّئالُ (١٠٧) .

والدَّرْدَقُ : الصِّغارُ من كُلِّ شيءٍ .

ويُقالُ في الطَّيْرِ كُلِّها : الفراخُ ، والواحدُ : فَرْخٌ . إلاّ في الدَّجاجِ فإنّهم يقولونَ : الفَراريجُ ، واحدها : فَرُّوجٌ .

ويُسَمَّى فَرْخُ الحُبارَى : النَّهارَ .

* * *

(١٠٢) بفتح أوله وثالثه ، وبضمهما ، وبكسرهما . (الدر المبثثة ٨٣) .
(١٠٣) الدرة الفاخرة ٣٦٦ ، جمهرة الأمثال ١٧٥/٢ .
(١٠٤) والدرص ، بفتح الدال ، يضا .
(١٠٥) ودرص ودرصان ودرصة أيضا .
(١٠٦) والاحسال أيضا .
(١٠٧) ورئلان أيضا .

ومن أسماء جَماعاتِ الأشياء

يُقالُ : جماعَةٌ من الناس ، وقَطيعٌ من البَقَرِ والغَنَمِ ، وسِرْبٌ . ويجوزُ السِّرْبُ في الطير أيضاً وغيرها . والجميعُ : سُرُوبٌ (١٠٨) .

والأَجْلُ : القَطيعُ من الظِّباءِ .

والعَانَةُ : [القطيعُ] من الحُمُرِ .

ويُقالُ : ذَوْدٌ من الإبلِ ، لِما بينَ الثلاثِ الى العَشر (١٠٩) .

ويُقالُ في مَثَلٍ : (الذَّوْدُ الى الذَّوْدِ إِبِلٌ) (١١٠) . أي إذا جُمِعَ القليلُ الى القليلِ صارَ كثيراً .

وهَجْمَةٌ : للمئةِ وما داناها .

وهُنَيْدَةٌ : المئةُ .

(١٧ أ) والقَصْلَةُ والصِرْمَةُ : القليلُ أيضاً . ويُقالُ : رَجُلٌ مُصْرِمٌ : إذا كانَتْ له صِرْمَةٌ .

والكَوْرُ : القَطيعُ من الإبل والبَقَرِ ، والجميعُ : الأَكْوارُ . قالَ الشاعِرُ (١١١) :

في عَطَنٍ دَعْثَرَهُ الأكوارُ

وقالَ أبو ذُؤَيبٍ (١١٢) :

ولا مُشِبٌّ مِن الثيرانِ أَفْرَدَهُ
عنْ كَوْرِهِ كَثْرَةُ الإغْراءِ والطَّرْدُ

---

(١٠٨) ينظر : الأصمعي ١٨ ، ثابت ٧٧/٢ ، ابن فارس ٩٩ .
(١٠٩) في الأصل : العشرة .
(١١٠) جمهرة الأمثال ٤٦٢/١ ، فصل المقال ٢٨٢ ، تمثال الأمثال ٢٦٦ .
(١١١) بلا عزو في ثابت ٧٩/٢ .
(١١٢) ديوان الهذليين ١٢٦/١ ، شرح أشعار الهذليين ٦٠ .

ويُقالُ : قَوْطٌ من الغَنَمِ .
ويُقالُ للقَطيعِ من بَقَرِ الوَحْشِ : الصِّوارُ ، مكسورٌ . ورَبْرَبٌ .

* * *

ومن الأَصْواتِ

يُقالُ : صاحَ الإنسانُ وصَوَّتَ وصَرَخَ (١١٣) .
ويُقالُ : قد صَهَلَ الفَرَسُ يَصْهِلُ صَهيلاً . وحَمْحَمَ حَمْحَمَةً : إذا كانَ (١٧ ب) دُونَ الصَّهيلِ .
ويُقالُ في الحِمارِ : نَهَقَ ينهَقُ (١١٤) نَهيقاً ونُهاقاً .
ويُقالُ : شَحَجَ يشحَجُ (١١٥) شَحيجاً وشُحاجاً . قالَ الشاعِرُ (١١٦) :

كأنَّ في فيهِ إذا ما شَحَجا

ويُقالُ ذلك للبَغْلِ أيضاً . قالَ الشاعِرُ :

خلَعُوا أَرْسُنَ الجيادِ ومَرُّوا
قارِنيها بشاحِجاتِ البِغالِ

ويُقالُ في [ذي] الخُفِّ : قَدْ رَغا البعيرُ يَرْغُو رُغاءً ، وجَرْجَرَ جَرْجَرَةً . قالَ الشاعِرُ :

قد جَرْجَرَ العَوْدُ فزِدْهُ ثِقْلا

فهذانِ من الجزَعِ .
ويُقالُ : قد هَدَرَ يهدرُ هَديراً . فالهديرُ أيضاً إذا هاجَ .

(١١٣) ينظر : الأصمعي ١٨ ، ابن فارس ٧٠ ، فقه اللغة ٢١٣ .
(١١٤) وينهق ، بكسر الهاء ، وينهق ، بضم الهاء ، أيضا . (الدر المبثثة ٢٣٠) .
(١١٥) ويشحج ، بكسر الحاء ، أيضا .
(١١٦) العجاج ، ديوانه ٥٣/٢ .

ويُقالُ للناقةِ إذا مَدَّتْ صَوْتَها في [أَثَرِ] أولادِها : قد حَنَّتْ حَنيناً .

ويُقالُ : قد ثَغَتِ (١٨ أ) الشاةُ ، وهي تثغو ثُغَاءً . ويُقالُ ذلكَ في الضَّأنِ والمَعْزِ والظِّباءِ ثُمَّ يَتَفَرَّقُ .

فيُقالُ للضائِنَةِ : قد جأرَتْ وثأَجَتْ وخَارَتْ .

ويُقالُ للبَقَرَةِ أيضاً : قد جَأَرَتْ وخَارَتْ تخُورُ خُواراً . وقالَ اللهُ ، تباركَ وتعالى : « عِجْلاً جَسَداً لهُ خُوارٌ » (١١٧).

ويُقالُ للضائنةِ : قَدْ يَعَرَتْ تَيْعَرُ يُعاراً .

ويُقالُ للظبي : بَغَمَ يَبْغَمُ (١١٨) بُغَاماً (١١٩) . ويُقالُ : البُغَامُ في الإبلِ أيضاً . قالَ الشاعرُ (١٢٠) :

حَسِبْتُ بُغامَ راحِلَتي عَنَاقاً
وما هِيَ وَيْبَ غَيْرِكَ بالعَنَاقِ

ويُقالُ للظَّبْيِ : نَزَبَ يَنْزِبُ نَزِيباً .

ويُقالُ : نَبَّ التَّيْسُ والظَّبْيُ ينبُّ نَبِيباً .

* * *

ثُمَّ أَصْواتُ الطَّيْرِ

(١٨ ب) يُقالُ : قد صَرْصَرَ البازي والصَّقْرُ يُصَرْصِرُ صَرْصَرَةً(١٢١).

---

(١١٧) الأعراف ١٤٨ ، طه ٨٨ .

(١١٨) ويبغم ، بضم الغين . ويبغم ، بكسر الغين . (الدرر المبثثة ٢١٨) .

(١١٩) وبغوما ، بضم الباء ، أيضا .

(١٢٠) ذو الخرق الطهوي في نوادر أبي زيد ٣٦٦ ومجالس ثعلب ١٥٤ .

(١٢١) ينظر : الأصمعي ١٩ ، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ٦٧٨ ، فقه اللغة ٢٢٠ .

وقالَ جَرِيرٌ (١٢٢) :

باز ٍ يـُصَرْصِرُ فوقَ المَرْبأ العالي

ويـُقالُ في الغُرابِ : نَغَقَ ينغَقُ نَغيقاً ، ونَعَقَ ينعَقُ نَعيقاً ، ونَعَبَ ينعَبُ نَعيباً . قالَ رُؤْبَةُ (١٢٣) :

لايلتوي من عاطِسٍ ولا نَغَقْ

ويـُقالُ له إذا أَسَنَّ وغَلُظَ صَوْتُهُ : قَدْ شَحَجَ الغرابُ . قالَ جَرِيرٌ (١٢٤) :

إنَّ الغُرابَ بما كَرِهْتَ لَمُولَعٌ
بنَوَى الأَحِبَّةِ دائِمُ التَّشْحاجِ
ليتَ الغُرابَ غَداةَ يَنْعَبُ دائباً
كانَ الغُرابُ مُقَطَّعَ الأَوْداجِ

ويـُقالُ للديكِ : زَقَا يزقو زُقاءً ، وسَقَعَ يَسْقَعُ سُقاعاً ، (١٩أ) وصَرَخَ يَصْرُخُ صُراخاً . ويـُقالُ : قُمْنا حينَ صَرَخَ الدِّيكُ .

ويقالُ في العُقابِ : قد أَنْقَضَتْ تُنْقِضُ إنْقاضاً . ويـُقالُ في النَّعامِ والدَّجاجِ أيضاً . قالَ الشاعِرُ (١٢٥) :

تُنْقِضُ إنْقاضَ الدَّجاجِ المُخَّضِ

وقالَ في النَّعامةِ (١٢٦) :

---

(١٢٢) ديوانه ٥٨٤ وصدره : لكن سوادة يجلو مقلتي لحم . وفيه: فوقالمرقب.
(١٢٣) ديوانه ١٠٦ .
(١٢٤) ديوانه ١٣٦ وفيه : ينعب بالنوى . والودج : عرق في العنق .
(١٢٥) بلا عزو في اللسان (نقض) .
(١٢٦) ذوالرمة ، ديوانه ٤١٠ وروايته فيه :
دوية ودجا ليل كأنهما يم تراطن في حافاته الروم

تُوحي إليها بإنقاضٍ ونَقْنَقَةٍ
كما تراطَنَ في أفْدانِها الرُّومُ

ويُقالُ لصوتِ النّعامِ : العِرارُ والزِّمارُ . قالَ لبيدٌ (١٢٧) :

متى ما تَشَأْ تَسْمَعْ عِراراً بقَفْرَةٍ
تُجيبُ زِماراً كاليَراعِ المُثَقَّبِ

العِرارُ : الظّليمُ . والزِّمارُ : النّعامةُ .

ويُقالُ في الحَمامِ : قَدْ هَدَرَ يَهْدِرُ هَدِيراً .

ويُقالُ (١٢٨) في حَمامِ الوَحْشِ : قَدْ هَدَلَ يَهْدِلُ هَدِيلاً .

وقد هَدْهَدَ الحَمامُ . قالَ الشاعرُ :

هَدِيلُ حَمَامَاتٍ بنَجْرانَ هُتَّفِ

ويُقالُ في العُصْفُور : قَدْ صَرَّ يَصِرُّ صَرِيراً

ويُقالُ في المَكاكِئ والقنابرِ والخُرَّقِ (١٢٩) (١٩ ب) والحُمَّرِ :

قد صَفَرَ يَصْفِرُ صَفِيراً . قال الشاعِرُ (١٣٠) :

يا لَكِ مِن حُمَّرَةٍ بمَعْمَرِ
خَلَا لكِ الجَوُّ فبِيضي واصْفِرِي
ونَقِّرِي ماشِئْتِ أنْ تُنَقِّرِي
لابُدَّ مِن صَيْدكِ يوماً فاصْبِرِي

ويُقالُ في المُكّاءِ : قد غَرَّدَ يُغَرِّدُ تَغْرِيداً . قالَ الشاعِرُ (١٣١) :

---

(١٢٧) ديوانه ١٨ . واليراع : القصب يتخذ منه زمارات .
(١٢٨) في الأصل : وقال .
(١٢٩) ضرب من العصافير .
(١٣٠) طرفة ، ديوانه ١٥٧ ــ ١٥٨ .
(١٣١) بلا عزو في الأصمعي ١٩ .

إذا غَرَّدَ المُكّاءُ في غَيْرِ رَوْضَةٍ فَوَيْلٌ لأَهلِ الشّاءِ والحُمُراتِ

والتَّغْريدُ : رَفْعُ الصوتِ من كُلِّ شيءٍ . ويُقالُ : غَرَّدَ الرجُلُ والحَمامُ : إذا رَفَعَ صَوْتَهُ .

ويُقالُ في المُكّاءِ أيضاً : زَقَا يَزْقُو . قالَ الشاعِرُ :

يُصْبِحُ المُكّاءُ فيه واقِعاً لِشَقِّ الرِّيشِ إذا رَفَّ زَقَا

ويُقالُ في الهامِ والبُومِ والصَّدَى (١٣٢) : قد ضَبَحَ يَضْبَحُ ضُباحاً . قالَ القُطاميّ (١٣٣) :

في بَلْدَةٍ طامِسَةٍ أَعْلامُها يَضْبَحُ فيها بُومُها وهَامُها

ويُقالُ في الرَّخَمَةِ والحَجَلَةِ والدَّجاجةِ واليعقوب من القَبْجِ : قد نَقَّتْ ، وهي تَنِقُّ نَقيقاً .

ويُقالُ في الفَرُّوجِ : قَدْ صاءَ (١٣٤) ، وهو (٢٠ أ) يَصِيءُ صَئِيّاً [وصِئِيّاً] ، بالفتحِ والكَسْرِ .

ويُقالُ في الهُدْهُدِ : قَدْ نَبَحَ .

ويُقالُ : قد قَوْقَأَتِ الدَّجاجةُ ، بالهَمْزِ ، وقَوَّقَتْ .

* * *

ومن أصْواتِ السِّباعِ والوحوشِ والهوامِ

يُقالُ : قد زَأَرَ الأَسَدُ يزأَرُ زَئيراً ، وهو الزَّأْرُ (١٣٥) . قالَ الشّاعرُ ، وهو النابغةُ (١٣٦) :

---

(١٣٢) في الأصل : في الحمام والبوم والصقر . والصواب ما اثبتنا من الأصمعي ١٩ . والصدى : طائر يصيح في هامة المقتول اذا لم يثأر له . (اللسان : صدى) .

(١٣٣) ديوانه ١٦٢ . وفي الأصل : وحمامها . وهو تحريف .

(١٣٤) الأصمعي : صأى الفرخ .

(١٣٥) ينظر : الأصمعي ٢٠ ، المخصص ٨/٦٤ ــ ٩٩ .

(١٣٦) ديوانه ٢٥ .

نُبِّئْتُ أَنَّ أبا قابوسَ أَوْعَدَني

ولا قَرارَ على زَأْرٍ مِن الأَسَدِ

ويُقالُ : وَعْوَعَ الذِّئْبُ وَعْوَعَةً (١٣٧) ، وضَغَا يَضْغُو ضُغاءً .

قالَ الشاعِرُ (١٣٨) :

كأنَّ خَضِيعَةَ بَطْــنِ الجوادِ وَعْوَعَةُ الذِّئبِ في فَدْفَدِ

ويُقالُ : ضَبَحَ الثعلبُ يَضْبَحُ ضُباحاً .

ويُقالُ في الضَّبُعِ : رَغَتْ ترغُو رُغاءً .

ونَبَحَ الكلبُ يَنْبَحُ نُباحاً ونَبْحاً ونَبِيحاً .

وضَغَبَتِ (١٣٩) الأرنبُ تَضْغَبُ ضَغِيباً .

وصَاءَتِ الفأرةُ تَصِيئُ .

وقَبَعَ الخِنْزِيرُ .

والجِنُّ تَعْزِفُ .

والفِيلُ يَنْهَمُ ، وقد نَهَمَ .

ويُقالُ في أصواتِ الحيّاتِ : كَشَّتِ الأَفْعَى : (٢٠ ب) قالَ الراجِزُ (١٤٠) :

كأنَّ صوتَ خِلْفِها والخِلْفِ

كَشَّةُ أَفْعَى في يَبِيسٍ قَفِّ

والأَفْعَى تَفِحُّ ، وهو صَوْتُ جلدِها .

والأَسْوَدُ يَنْبَحُ .

---

(١٣٧) ووعواعا أيضا .

(١٣٨) بلا عزو في الأصمعي ٢٠ .

(١٣٩) في الأصل : ضبفت . وهو تحريف .

(١٤٠) بلا عزو في جمهرة اللغة ١/٩٨ والتاج (كشش) .

والعَتْرَبُ تَصِيءُ . ويُقَالُ في مَثَلٍ : (تَدْغُ العَتْرَبُ وتَصِيءُ) (١٤١) .

* * *

ثُمَّ الزَّجْرُ

يُقَالُ للإنسانِ : مَهْ ، إذا نُهِيَ عن شيءٍ (١٤٢) . ومَهْلاً : وهي (مَهْ) زِيدَتْ عليها (لا) .

ويُقَالُ له : صَهْ ، إذا أُمِرَ بالسُّكوتِ (١٤٣) .

ويُقَالُ للبعيرِ : هَجْ هَجْ ، وهَجٍ هَجٍ ، وهَجاً هَجاً ، وجَاهِ جَاهِ . قالَ هِمْيانُ (١٤٤) بنُ قُحافَةَ :

عاتٍ عن الزَّجرِ وقيلِ جَاهِ جاهِ

ويقالُ : جَاهٍ ، بالتَّنوينِ . وقالَ (١٤٥) :

إذا قُلْتُ جاهٍ لَجَّ حتى تَرُدَّهُ قُوَى أَدَمٍ أَطرافُها في السَّلاسِلِ

(٢١ أ) وقالَ الآخرُ (١٤٦) :

سَمَرَتْ فقُلْتُ لها هَجٍ فتَبَرْقَعَتْ

فَذَكَرْتُ حِينَ تَبَرْقَعَتْ ضَبَّارا

---

(١٤١) مجمع الأمثال ١٢٦/١ .

(١٤٢) ينظر في (مه) : الصاحبي ٢٧٥ ، شرح المفصل ٧١/٤ ، المساعد ٦٤٨/٢ ، اللسان والتاج (مهه) .

(١٤٣) ينظر في (صه) : التبصرة والتذكرة ٢٤٨ ، شرح المفصل ٧١/٤ ، المساعد ٦٤٨/٢ .

(١٤٤) في الأصل : هيمان . وهو تحريف .

(١٤٥) بلا عزو في الصحاح (جوه) وشرح المفصل ٨٥/٤ .

(١٤٦) الحارث بن الخزرج الخفاجي في التكملة والذيل والصلة ٥٠٧/١ .

ويقالُ في زَجْرِ الفَرَسِ : إجِدْ واجْذَمْ . ويُقالُ له : هابِ وهَبْ وهالٍ وهَلْ وهَلاَ وارْحَبْ (١٤٧) . وأشياء كثيرة تركناها .

ويُقالُ للحمارِ : حَرّحَرّ (١٤٨) .

ويقالُ للبَغْلِ : عَدّ وعَدَسْ (١٤٩).قالَ الشاعرُ ابنُ مُفَرّغٍ (١٥٠) :

عَدَسْ مالعَبّادٍ عليكِ إمارةٌ نَجَوْتِ وهذا تحملينَ طَلِيقُ

ويُقال للشاةِ : إسْ إسْ ، وهُسْ (١٥١) .

ويُقالُ للجَمَلِ : حَوْبَ حَوْبَ . وللناقةِ : حَلْ (١٥٢) .

وقالَ : لم يكن دَعْواهُم حَوْبَ وحَلْ ، وقد يُثَقّلُ فيُقالُ : حَلِ .

ويقالُ لها أيضاً : عاجِ وعاجٍ (١٥٣) . قال رُؤْبَةُ (١٥٤) :

وطولُ زَجْرٍ بِحَلٍ وعاجِ

وقالَ الآخرُ :

كأنّيَ لم ازْجُرْ بعاجٍ نَجيبَةً

ويُقالُ للكلبِ : اخْسَأْ (١٥٥) .

* * *

---

(١٤٧) الخيل ٤٦ ، المخصص ٧/١٨٢ – ١٨٣ .
(١٤٨) اللسان (حرر) .
(١٤٩) شرح المفصل ٤/٧٩ ، اللسان (عدس) .
(١٥٠) ديوانه ١٧٠ .
(١٥١) المخصص ٧/٩ – ١٠ .
(١٥٢) المخصص ٧/٨٠ .
(١٥٣) اللسان والتاج (عجج) .
(١٥٤) ديوانه ٣١ .
(١٥٥) اللسان والتاج (خسأ) .

ثُمَّ الذِّراعُ

يُقالُ : ذِراعُ الإنسانِ (١٥٦) .

ومَوْضِعُها من ذواتِ الأخفافِ (٢١ ب) والحوافِرِ : الوَظِيفُ .
والجميعُ : الأَوْظِفَةُ (١٥٧) .

وكذلك في موضع الساقِ من الانسان الوَظِيفُ منها .

ومما كانَ من ذوات الأظلافِ فهو منها : الكُراعُ (١٥٨) .

* * *

ثُمَّ في انتهاء السِّنِّ

يُقالُ : جَمَلٌ بازِلٌ ، إذا فَطَرَ نابُهُ (١٥٩) .

وكذلكَ الناقةُ : نَاقةٌ بازِلٌ .

وفَرَسٌ قارِحٌ (١٦٠) .

وشاةٌ وبَقَرَةٌ صالِغٌ (١٦١) .

وثَوْرٌ شَبَبٌ وشَبُوبٌ ومُشِبٌّ (١٦٢) .

تَمَّ كتابُ الفَرْقِ
بحَمْدِ اللهِ وعَوْنِهِ

---

(١٥٦) خلق الانسان للاصمعي ٢٠٥ ، ولثابت ٢١٦ .
(١٥٧) اللسان والتاج (وظف) .
(١٥٨) ابن فارس ٦١ ، اللسان (كرع) .
(١٥٩) الابل ٧٦ و ١٤٢ ، ابن فارس ٨٩ ، اللسان (بزل) .
(١٦٠) اللسان والتاج (قرح) .
(١٦١) الشاء ٩ .
(١٦٢) ما خالف فيه الانسان البهيمة ٣٢ .

التحول والثبات في اصوات العربية

الدكتور
حسام سعيد النعيمي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

الدراسة الصوتية :

لقيت اصوات العربية من العلماء قديما وحديثا من العناية في بيان صفاتها ومخارجها وتعاملها ماجعلها واضحة بينة يستطيع الدارس بتأمله أن يحكم بموافقة أي صوت لما نطقت به العرب أو مخالفته ذلك .

وكان من اوائل من عني بالكلام على اصوات العربية علماء اللغة والنحو ، فالخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) ذكر في كتاب العين ، صفات الحروف ومخارجها وعددا من القوانين الصوتية المتعلقة بها (١) ، هذا على أن جمهور الشكّين في نسبته اليه يميلون الى القول بأنه بدأ الكتاب ، واعملت الايدي فيه من بعد (٢) ، ولذا وقفنا عند مقدمته ، ولو ثبت كل مافي « العين» للخليل لافاد الباحث كثيرا مما ورد فيه من المسائل المتعلقة بتعامل الاصوات وتأثير بعضها في بعض (٣) .

على ان فيما كتبه تلميذه سيبويه (١٨٠ هـ) مايغني ، وكتاب سيبويه أجمع العلماء على صحة نسبته اليه وتلقوه بالقبول من غير أن يكترثوا الكلمات

(١) كتاب العين ـ للخليل بن احمد الفراهيدي ، تحقيق د. مهدي المخزومي و د. ابراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، انظر الصفحات ٥٤ ـ ٥٨ .

(٢) المعجم العربي ـ د. حسين نصار ، ط ١ ١٩٧٦م ، ص ٢٦٥ .

(٣) انظر تحقيق ذلك في : « الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني » ـ د. حسام سعيد النعيمي ، دار الرشيد ١٩٨٠م ، ص ٥٢ ـ ٥٤ .

قيلت فيه بسبب الانبهار أو الحسد أو كليهما (٤) ، وقد تكلم سيبويه في باب الادغام (٥) على مخارج الحروف وصفاتها وتعاملها كلاهما فيه من الدقة والاحاطة والشمول مايجعل الدارس يرى اثره واضحا جايا في كل ما كتب بعده في هذا الباب ، ولئن كان الجاحظ قد قال في الكتاب ان كل ما كتب في النحو بعده عايه عيال (٦) . فاننا نستطيع أن نقول باطمئنان ان كل ما كتب في مخارج الحروف العربية وصفاتها وتعاملها بعد كتاب سيبويه عليه عيال . على اننا لانريد أن نبخس العلماء حقهم فلئن كان له فضل السبق لقد كان لهم فضل التفصيل والتطبيق والاكثار من الشواهد وافراد الكتب للدراسة الصوتية كما صنع ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) في كتابه « سر صناعة الاعراب » ، وكما صنع ابن سينا الطبيب (ت ٤٢٨ هـ) في رسالته الصغيرة اسباب حدوث الحروف ، وكما صنع علماء التجويد فيما بعد حيث وقفوا كل جهدهم لضبط اصوات العربية والعناية بنطقها ، وتحقيقها على ما كانت العرب تنطقه حين تنزّل القرآن الكريم ، فكان لهم فضل تثبيت هذه الاصوات ونقلها مشافهة متقنة من عصر في انحاء العالم الاسلامي الى يومنا هذا ، فقد رأوا أن التجويد (من اشرف العلوم لتعلقه بكلام الله تعالى) (٧) وان تعلّمه فرض كفاية ،

---

(٤) انظر ما أثير حول الكتاب ومناقشته في « النواسخ في كتاب سيبويه » ، د. حسام سعيد النعيمي ، دار الرسالة ، بغداد ١٩٧٧م ، ص ١٥٥ – ١٦١ .
وانظر ايضا : « سيبويه امام النحاة » – علي النجدي ناصف – لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٥٣م ، ص ١٣٠ وما بعدها .

(٥) كتاب سيبويه ، نسخة مصورة عن طبعة بولاق ١٣١٧ هـ ، ٢٠٠/٤٠٤ وما بعدها .

(٦) انظر : « انباه الرواة للقفطي » ، ط دار الكتب المصرية ١٩٥٢م ج ٢ ، ص ٣٥١ .

(٧) قواعد التلاوة وعلم التجويد – فرج توفيق الوليد ، دار الرسالة . بغـ ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م ، ص ١٦ .

والعمل به فرض عين على كل مسلم ومسلمة ممن يقرأ القرآن (٨) ، وكان أول من أفرد تأليفا في التجويد على ما ذكره ابن الجزري (٩) ابو مزاحم موسى ابن عبيدالله الخاقاني (ت ٣٢٥ هـ) الذي نظم قصيدة رائية من واحد وخمسين بيتا من البحر الطويل (١٠) ، اكثر من نصفها مقدمة وخاتمة ووصايا ، وابيات قليلة تحدثت في شيء من القواعد الصوتية ، ويبدو أنه نظمها لتشرح ، وهذا ما وقع إذ شرحها ابو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) الذي ألف كتابا في التجويد غير شرح هذه القصيدة هو التحديد في الاتقان والتجويد ، وما زال الكتابان مخطوطين . وكتاب التجويد واحد من (ثلاثة كتب تتنافس على أن تكون أول كتاب ألف بعد القصيدة الخاقانية وهي :

١- كتاب التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي لابي الحسن علي بن جعفر ابن محمد السعيدي الرازي المتوفى في حدود سنة ٤١٠ هـ .

٢- كتاب الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة لابي محمد مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧ هـ .

٣- كتاب التحديد في الاتقان والتجويد لابي عمرو عثمان بن سعيد الداني المتوفى سنة ٤٤٤ هـ (١١) .

وقد طبع من هذه الثلاثة ، كتاب الرعاية بتحقيق د . احمد حسن فرحات . اما الآخران فما زالا مخطوطين (١٢) .

---

(٨) م . ن ، ص ١٠ .

(٩) غاية النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزري ـ نشره برجستراسير ، ط ٢ بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ج٢ ، ص ٣٢١ .

(١٠) نشرها غانم قدوري حمد في مجلة كلية الشريعة ببغداد ، العدد ٦ سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠ م في بحثه الموسوم (علم التجويد نشأته ومعالمه الاولى) .

(١١) علم التجويد نشأته ومعالمه الاولى ، غانم قدوري حمد ، مستل من مجلة كلية الشريعة ، العدد ٦ سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م ، ص ٣٦ .

(١٢) انظر النسخ واماكن وجودها في : م . ن ، ص ٣٧ و ص ٤٢ .

وهكذا نجد الكلام على اصوات العربية مبثوثا في المعجمات ، وكتب النحو واللغة والتصريف ، والقراءات والتجويد . وفي العصر الحديث تناول الصوت العربي بالدرس كثير من الكتاب من العرب وغيرهم ، منهم د . علي عبد الواحد وافي في كتابه « علم اللغة » ، ود . ابراهيم أنيس في (الاصوات اللغوية) ، ود . عبدالرحمن أيوب في « اصوات اللغة » ؛ ود . محمود السعران في « علم اللغة » ، ود . تمام حسان في « مناهج البحث في اللغة » ، ود . كمال بشر في « علم اللغة العام — الاصوات — » ، ود . احمد مختار عمر في «دراسة الصوت اللغوى » ، ود . عبد الصبور شاهين في « القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث » ، وفي « المنهج الصوتي للبنية العربية » ، ود . محمود فهمي حجازي في « علم اللغة العربية » ، ود . رمضان عبدالتواب في « التطور اللغوى » ، ود . احمد علم الدين الجندي في « اللهجات العربية » ، وغيرهم ، ومن غير العرب ماكتبه شادة في « علم الأصوات عند سيبويه وعندنا » ، وبراجستراسير في « التطور النحوي للغة العربية » ، وهنرى فليش في « العربية الفصحى » ، وفي « التفكير الصوتي عند العرب » ، وجان كانتينو في « دروس في علم اصوات العربية » :

النظام الصوتي وتطوره :

وسواء بدأت هذه الاصوات عن طريق الالهام أو التواضع والاصطلاح أو محاكاة الاصوات الطبيعية أو غير ذلك (١٤) . فالذي لاشك فيه انها بدأت بالفاظ قليلة محدودة بالقدر الذي يحتاج اليه الانسان في حياته (ثم احتيج فيما

---

(١٣) الخصائص — لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، ط دار الكتب المصرية ١٣٧١هـ — ١٩٥٢ م ، حـ ١ ، ص ٣٣ .

(١٤) انظر علم اللغة ، د. علي عبدالواحد وافي ، ط ٧ سنة ١٩٧٢ ، ص ٩٦ وما بعدها ودلالة الالفاظ ، د. ابراهيم أنيس ، ط ٢ سنة ١٩٦٣ م ، ص ٢٠ وما بعدها .

بعد الى الزيادة عليه لحضور الداعي اليه فزيد فيها شيئا فشيئا) (١٥) .

ولا شك في أن الاصوات التي عبر بها الانسان عما استجد في حياته قد تألفت تأليفا يميزها عن التأليف الاول ولولا ذلك لالتبست المعاني وتعذر التفريق بينها وفقدت اللغة قيمتها في التعبير عن الاشياء بشكل ميسّر وكانت الاشارة الحسية الى الشيء اسهل في بيان المراد به من الاشارة الصوتية .

وهكذا ولدت الالفاظ الجديدة للتعبير عن المعاني الجديدة ، وهكذا تولد ، كذلك لانشك في أن الانسان قد هجر اصواتا كان ألفها للتعبير عن شيء معيّن وذلك بعد أن انقطعت صلته بذلك الشيء ؛ وهذا أمر مشاهد محسوس فكم من الالفاظ لم يعد لها مكان في استعمالنا اليومي لان ما اشارت اليه لم يبق مستعملا عندنا فمن من اهل بغـداد اليوم يجد حاجة الى استخدام (السماية) أو (البادگير) أو (الگاری) أو (الربل) (١٦) وغير ذلك مما كان جاريا على السنة آبائنا وجرى على السنتنا حينا ثم انقطع بانقطاع الحاجة اليه . وهذا الذي وقع في لهجاتنا وقع في الفصيح أيضا على مر الايام ومن اوائل ماحدث من ذلك ماجاء به الاسلام من الفاظ اصطلاحية تحولت بالالفاظ القديمة عن معانيها وما أماته من الفاظ باماتته ما كانت له ، ومن ذلك مثلا « المرباع » و « الصفايا » و « النشيطة » وهو ما كان يأخذه رئيس القوم في الجاهلية اذا غنموا ، وقد ابطله الاسلام . قال في اللسان (١٧) : « والمرباع

---

(١٥) الخصائص ، حـ ٢ ، ص ٢٨ ، وانظر المزهر للسيوطي تحقيق محمد احمد جاد المولى وصاحبيه ، ط عيسى الحلبي ، حـ ١ ، ص ٥٥ .

(١٦) السماية : طاقة في السقف تجعل للضوء ، البادگير : منفذ هواء في الجدار يرتفع الى السطح ، الگاري : عربة نقل تجرها الخيول على سكة حديد ، الربل : عربة صغيرة يجرها حصانان غالبا او حصان واحد ، تسـمى في مصر (الحنطور) .

(١٧) لسان العرب ، لابن منظور طبعة مصـورة عن ط بولاق ، حـ ٩ ص ٤٥٧ مادة (ربع) .

ما يأخذه الرئيس وهو ربع الغنيمة ، قال :

لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول

الصفايا ما يصطفيه الرئيس ، والنشيطة ما أصاب من الغنيمة قبل أن يصير الى مجتمع الحيّ ، والفضول ماعجز أن يقسم ، لقلته وخص به . . ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لعديّ بن حاتم قبل اسلامه : (انك لتأكل المرباع ، وهو لايحل لك في دينك . . .) (١٨) . وبقيت امثال هذه الالفاظ كلمات معجمية نعود الى المعجمات لنرى معانيها عند عروض النص لنا . ولا ريب في أن الذين لم يكونوا قد دونوا الفاظهم في معجمات قد فقدوا أمثل هذه الالفاظ بفقد مسمياتها ، وهكذا ماتت الفاظ بانعدام الحاجة اليها ، وهكذا تموت ، ذلك أن « النظام الصوتي بعيد كل البعد من أن يكون ثابتا طوال تطور لغة من اللغات » (١٩) ، وتسهم ولادة الالفاظ وعلاقتها ببعضها في النظم واتصال اللغة بغيرها من اللغات في التأثير على بعض الاصوات في الالفاظ وتحويلها الى اصوات أخرى . ألا يرى مثلا أن النون تأتي صافية مظهرة لا يشوبها اخفاء أو ادغام أو قلب (٢٠) في قولهم شنب وأشنب . فاذا قالوا : فعلاء ، قلبوا النون ميما ، وقالوا : شماء في نطق شنباء ، وان القبائل العربية

---

(١٨) الحديث في مسند الامام احمد بلفظ (الست من الركوسية وانت تأكل مرباع قومك ؟ قلت : بلى قال : فان هذا لا يحل لك في دينك) ٢٥٧/٤ ، وفي ص ٣٧٨ : « فانه لا يحل في دينك المرباع » ، وفي ص ٣٧٩ «أو لست تأخذ المرباع ؟ قلت بلى ، قال ذاك لا يحل لك في دينك » .

(١٩) اللغة تأليف ج فندريس ، تعريب عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، ط لجنة البيان العربي ، ١٩٥٠ م ، ص ٦٤ .

(٢٠) انظر أحكام النون الساكنة والتنوين في النشر في القراءات العشر ؛ لابن الجزري تصحيح علي محمد الضباع ـ دار الفكر ٢٢/٢ ـ ٢٧ .

القريبة من سواحل الخليج شاع فيها من الاصوات ما أطلق عليه علماء العربية الحروف غير المستحسنة ، كما ان ذلك ظاهر في لهجاتنا العامية في البلاد العربية حيث تأثرت اللهجات بما جاورها أو خالطها من لغات غير عربية .

واللغة العربية الفصيحة ليست نسيج وحدها بين لغات البشر ؛ بل هي واحدة من هذه اللغات كان يجرى عليها من القوانين اللغوية ما يجرى على أية لغة أخرى ، فيؤدى الى انتقالها وتطورها وتغيرها ، ولا يبعد أن يكون ما اشار اليه غير واحد من المحدثين (٢١) من أصالة لغة عربية قديمة وفرعية غيرها مما أطلق عليه (اللغات السامية) حقيقة تاريخية ، فقد « تطورت لغات الجزيرة العربية ، وتحولت لهجاتها الكلامية الى لغات كتابية ، استقلت كل منها باسم خاص ، كالبابلية والآشورية والمعينية ، والكنعانية ، والارامية ، وأصبحت لكل منها مميزات خاصة في قواعد أصواتها ونحوها وصرفها ، في اطار اللغة المستقلة ، كما شاركت في قواعد عامة أخرى تتفق فيها مع اخواتها في اطار الاسرة اللغوية المعروفة التي تنتمي اليها ، وهي اسرة لغات الجزيرة العربية (٢٢) . يقوّي هذا أن موجات الناطقين بتلك اللغات خرجت على الرأي الراجح من « جزيرة العرب » في ازمنة متباعدة (٢٣) . فكل لغة منها يمكن أن تمثل التطور

---

(٢١) انظر مثلا تاريخ الجنس العربي ، محمد عزة دروزة ، ط بيروت ١٩٦٤ م ١٦/١ ــ ١٧ ، ومن تراثنا اللغوي القديم ــ طه باقر ، ط المجمع العلمي العراقي ١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠م ، ص ١٧ وما بعدها .

(٢٢) العربية أصل والعبرية فرع ، د. باكيزة رفيق حلمي ، فرزة من المجلد السادس والعشرين من مجلة المجمع العلمي العراقي ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، ص ١٨٤ .

(٢٣) انظر تاريخ اللغات السامية ، تأليف ولفنسون ، ط دار القلم ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ٥ ، ودراسات في فقه اللغة ، د. صبحي الصالح ، ط ٣ ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨ ص ٤٩ وما بعدها ، وتاريخ الجنس العربي ، ص ١٧ ، ومن تراثنا اللغوي ، ص ١٧ .

التاريخي لبعض لهجات العربية القديمة ، واستمرار البحث في هذا المجال كفيل بأن يقول الكلمة الاخيرة فيه .

ترى أيمكن أن يتوقف تطور الاصوات في لغة من اللغات ؟

ان الاجابة السريعة عن هذا السؤال ستكون ولاشك بالنفي ، لان اللغة التي تتوقف عن التطور الصوتي لابد أن تكون قد فارقت الحياة ، كما هو الحال في اللغة الاكدية ، أو الأوغاريتية ، فتطور الاصوات اللغوية تحكمه عوامل عدة (٢٤) ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة الانسان والحضارة الانسانية . فالاختلاف الخلقي في اعضاء النطق بين الاجيال المتباعدة ، وأخطاء السمع ، وتعامل الاصوات في الالفاظ المستحدثة بالاشتقاق ، أو فيما تجاور من الالفاظ نتيجة التأليف ، واختلاف العوامل النفسية والبيئية ، كل ذلك يؤثر بفاعلية ذاتية في اصوات اللغة من غير أن يكون أهل تلك اللغة قاصدين تغيير أصواتها .

ولكن كما أن القواعد لاتكاد تخلو من استثناء ، فاننا ينبغي أن نتنبه الى الواقع التاريخي الذي احاط بالعربية الفصيحة ، فجعلها كشجرة عظيمة تضرب بجذورها في اعماق الارض ، وتنمو اغصانها وتمتد في كل اتجاه ، وهي ثابتة في موضعها لاتبرحه ، لست أريد هنا أن أخرج العربية من دائرة الخضوع لعوامل التحول الصوتي ، فنظرة سريعة الى ماآل اليه الكثير من أصواتها في لهجات الناس اليوم يفصح عن ذلك الخضوع بما لايترك متسعا لدعوى أو حجاج ، ولكنني أسعى لتثبيت حقيقة تاريخية ، ومستقبلية في الوقت نفسه ، وان ذكرها ونبّه عليها غير واحد ممن تقدمني في هذا (٢٥) .

---

(٢٤) انظر علم اللغة ، علي عبدالواحد وافي ، ص ٢٨٩ .

(٢٥) انظر مثلا تاريخ الادب العربي ـ العصر الاسلامي : د. شوقي ضيف ، ط٢ ص ٣٢ ، والتطور اللغوي : د. رمضان عبدالتواب ، ط ١ المدني ١٩٨١ م ص ٧ ، ونظرية النحو القرآني ، د. احمد مكي الانصاري ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ /١٩٨٤م ، ص ٢٤ ـ ٢٥ .

لقد قدر لهذه اللغة أن تكون لغة آخر كتاب سماوي يخاطب اهل الارض فتناول علماء العربية لغة العرب بشيء كثير من الحيطة والتثبت ، لصلتها بالقرآن (٢٦) ، وكأن هذه اللغة دين ينبغي أن يعرفوا من أين يأخذونه ، فلقد كان المسموع عن العرب هو الاساس الاول الذي اعتمدوه في جمع اللغة وتدوينها ، فليتحرَّ آخذ اللغة وغيرها من العلوم اهل الامانة والثقة والعدالة . . . » (٢٧) واستطاعوا بتثبتهم هذا وتحرّيهم الدقة والامانة أن يدونوا لغة العرب كما هي الى حد كبير . لقد اتجه العلماء الى دراسة العربية ، وتدوينها ، وحفظ قواعدها ، كي تصان لغة القرآن من اللحن والخطأ والزلل الذي قد يفضي الى اختلاف المعنى . وقد نزل القرآن الكريم باللغة التي كان القرشيون يألفونها في أعلى السنتهم فصاحة وبيانا ، وقد قرأ رجل بين يدي عمر ، رضي الله عنه : (عتى حين) (٢٨) وهي لهجة هذيل في (حتى) ، فسأله : من أقرأك هذا ؟ قال : ابن مسعود . فبعث اليه برسالة جاء فيها : « ان الله عز وجل أنزل هذا القرآن ، فجعله عربيا ، فأنزله بلغة قريش ، فأقرئ الناس بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل ، والسلام » (٢٩) .

لقد تحولت العربية من لغة جنس بعينه الى لغة عقيدة تضم كل الاجناس ،

---

(٢٦) انظر القرآن واللهجات العربية : د. حسام سعيد النعيمي ، مقال في كتاب رحلة في الفكر والتراث ، ط جامعة بغداد ١٩٨٠م ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٩ .

(٢٧) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ــ احمد بن فارس ، تحقيق : مصطفى الشويمي ، ط ١. بدران ١٣٨٣هـ ــ ١٩٦٤م ، ص ٦٣ .

(٢٨) قوله تعالى : (حتى حين) ورد في ست آيات على ما احصاه في المعجم المفهرس : الآية ٣٥ من سورة يوسف ، الآيتان ٢٥ ، ٥٤ من سورة المؤمنون ، الآيتان ١٧٤ ، ١٧٨ من سورة الصافات ، الآية ٤٣ من سورة الذاريات ، وانظر المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، وضعه : محمد فؤاد عبدالباقي ، ط الشعب سنة ١٣٧٨هـ مادة (حين) ، ص ٢٢٢ ــ ٢٢٣ .

(٢٩) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ــ لابن جني ، تحقيق علي النجدي ناصف وصاحبه ، ط القاهرة ١٣٨٦ هـ ، ١/٣٤٣ ، وانظر اعجاز القرآن ــ للرافعي ط ٩ سنة ١٣٩٣هـ ، ص ٣٨ ، ٦٢ ، والعصر الاسلامي د. شوقي ضيف ، ص ٣١ .

فعكف على دراستها والعناية بها علماء المسلمين من غير العرب ومن العرب ، فوصفوها ، واستنبطوا من خلال الدراسة الوصفية قواعدها التركيبية والصرفية والصوتية منذ تنزّل القرآن ، وقبيل ذلك وبعده الى حدود سنة خمسين ومئة للهجرة ، وبينوا أن الذي يريد ان يتكلم العربية ، فهذه أصواتها ، وهذا نظمها وتأليفها .

وهكذا وصل الينا وصف دقيق لاصوات العربية في « العين » و « الكتاب » وهما من اوائل ماوصل الينا في هذا الباب ان لم نقل أول ماوصل الينا فيه . وبهذا سلكت العربية في تطورها سبيلين :

الاولى : على السن الناس في بيوتها وأسواقها ومتاجرها ، وهي الطريق التي كانت ستسلكها مثل اية لغة في العالم ، لو لم تتحول الى لغة عقيدة ، فتطورت اصواتها التطور الطبيعي ، وتداخلت مع غيرها من اصوات اللغات المختلطة بها ، وابتعدت تدريجيا عن اللغة العربية يوم درسها العلماء واستنبطوا قواعدها .

الثانية : ماكان على السن الادباء والشعراء والعلماء حيث تطورت في إطار ثبات اصولها ، فصار العربي وغير العربي يتعلمها ويجتهد في أن يطوع لسانه للنطق الصحيح المتفق مع ما استنبطه العلماء من اصواتها ، وهي اللغة التي حفظت لنا علوم اربعة عشر قرنا وآدابها ، ومشاعر ارباب الاقلام فيها وأفكارهم ، وهي اللغة التي نتحدث بها اليوم في الفصيح ونكتب .

ابعاد المشكل الصوتي المعاصر :

ترى هل سلمت اصوات اللغة الادبية من تأثيرات تلك التي سلكت السبيل الاولى ، وخضعت لعوامل التطور الطبيعي ؟

ان الاجابة عن هذا السؤال تدعونا لحصر الموضوع في ثلاثة أبعاد : البعد العلمي أو الدراسي ، والبعد الواقعي ، والبعد المستقبلي . وسنقف بحثنا

هذا على البعد العلمي . اما البعد الواقعي والمستقبلي فلهما حديث آخر لارتباطهما باللهجات المحلية ، نرجو أن نعرض له مفصلا في دراسة خاصة .

البعد العلمي (الدراسي) :

درس علماء العربية اصواتها ونقلوا لنا وصفها ، وأول ما وصل الينا من ذلك كما تقدم ماجاء في مقدمة « كتاب العين » للخليل ، على خلاف في نسبته كاملا ، وما جاء في كتاب سيبويه ، وبقي هذا الوصف لمخارج الحروف وصفاتها وتعاملها ينتقل في كتب العربية الى أيامنا هذه . ولما بدأت الدراسات الصوتية الحديثة تفيد من الاجهزة وصور الاشعة في تحديد المخارج وبيان الصفات ، رأينا اختلافا ظاهرا في عدد من الحروف بين ماقاله علماء العربية ، وما وصل اليه المحدثون . الا ان هذا الخلاف لايتناول حقيقة الاصوات المختلف فيها ، وان حمله بعضهم على ذلك كما سيأتي ، وانما يتناول الكلام على تعيين مخرج الحرف أو صفته ، فحقيقة الالف مثلا واحدة عند الفريقين ، وهي هذا الصوت الواقع بين القاف واللام في « قال » مثلا ، الا ان سيبويه جعل مخرجه من الحلق ، وقالت الدراسة الحديثة غير ذلك كما سيأتي تفصيلا ، فصوت الالف اليوم هو صوته حين وصفه علماء العربية الا ان الكلام على مخرجه هو الذي تغير ، ولذا جعلنا ذلك في باب البعد العلمي أو الدراسي ، وما قيل عن الالف ، يقال كما ارى عن موقع القاف من الخاء والغين ، ومخرج الواو .

وفي الصفات جعل علماء العربية القاف والطاء في الاصوات المجهورة ، وهما في المهموسة عند المحدثين ، ولاشك في أن الصوت الذي ينتقل مخرجه أو يتغير من المجهور الى المهموس ، يكون قد تحول عن صورته الاولى التي كان عليها الى صورة جديدة ، فلايمكن أن يقال ان الصوت بقي هو هو ، فما معنى جعلنا ذلك من باب الاختلاف العلمي ؟ انني آمل أن تكون الاسطر

التالية موفية في الاجابة عن هذا السؤال .

الالف :

حينما تكلم سيبويه على مخارج الحروف (٣٠) ، لم يبين المراد بالمخرج ، وكأنّه اكتفى بما توحيه اللفظة في معناها اللغوي اذا اضيفت الى الحرف . وقد ذكر ابن جني ، وهو يقرب للقارئ المراد بمخارج الحروف وكيف تختلف أصواتها ، ان بعضهم شبه الحلق والفم بالنّاي (٣١) ، ولم يذكر لنا من هذا الذي شبّه جهاز النطق الانساني بالناي ، وليته فعل ، وقد شبّهه ابن جني بالعود في الموضع نفسه حيث قال : « ونظير ذلك وتر العود ، فان الضارب اذا ضربه ، وهو مرسل سمعت له صوتا ، فان حصر آخر الوتر ببعض اصابع يسراه ، أدى صوتا آخر ، فان ادناها قليلا ، سمعت غير الاثنين . ثم كذلك كلما أدنى اصبعه من اول الوتر تشكلت لك اصداء مختلفة ، الا ان الصوت الذي يؤديه الوتر غفلا غير محصور ، تجده بالاضافة الى ماأداه وهو مضغوط محصور أماس مهتزا ، ويختلف ذلك بقدر قوة الوتر وصلابته ، وضعفه ورخاوته ، فالوتر في هذا التمثيل كالحلق والخفقة بالمضراب عليه كاول الصوت من أقصى الحلق . وجريان الصوت فيه غفلا غير محصور كجريان الصوت في الالف الساكنة ، وما يعترضه من الضغط والحصر بالاصابع كالذي يعرض للصوت في مخارج الحروف من المقاطع ، واختلاف الاصوات هناك كاختلافها هنا » (٣٢) .

فمخرج الحرف على هذا حيث يتم حصر الصوت أو ضغطه . وكان قد بين في موضع سابق ان الصوت عرض ، يصحب النفَس ويجرى معه . فاذا

(٣٠) الكتاب ٢/٤٠٥ .

(٣١) سر صناعة الاعراب ــ لابن جني ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، ط مصطفى الحلبي ، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م ، ١/٩ .

(٣٢) م ٠ن ١ : ٩ ــ ١٠ .

وجد في طريقه عقبة تعوق استمراره كان موضع تلك العقبة مولد الحرف ، قال : « اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النَّفَس مستطيلا متصلا ، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده باستطالته ، فيسمى المقطع اينما عرض له حرفا » (٣٣) .

ويفهم من هذين النصين أن الصوت عنده موجود قبل أن يصل الهواء الى موضع الضغط أو الحصر ، بل انه نص على أن اول الصوت من اقصى الحلق : وفي هذا اشارة واضحة الى احساسه بأثر الوترين الصوتيين ، فالصوت الذي يحس أثره في الوترين الصوتيين وليس له في جهاز النطق مقطع ، هو الالف . وقد اتفق المحدثون على ان اهتزاز الوترين الصوتيين يؤثر في صفة الحرف لافي مخرجه .

وان الالف صائت مجهور يحدث نتيجة اندفاع الهواء في مجراه المستمر خلال الحلق والفم من غير أن يعترضه مقطع يثنيه أو يضيق مجراه » (٣٤) ، وأنه حيث يكون ضيق في مجرى النفس أو انطباق يكون مخرج الحرف (٣٥).

وعلى هذا يمكن أن نقول ان الالف بناء على الدرس الصوتي الحديث هواء مجهور أو نفس مجهور ، ذلك اننا لانستطيع أن نقول : في هذه النقطة من جهاز الصوت يضيق مجرى النفس محدثا صوت الالف ، كما يمكن أن نقول ذلك عن أى حرف آخر من حروف العربية . ومنها الياء والواو اختا الالف في الامتداد واللين . وقد تنبه لهذا الاختلاف علماء العربية ، ومنهم ابن جني حيث قال : « الا ان الصوت الذي يجرى في الالف مخالف للصوت الذي يجرى في الياء والواو . . . أما الالف ، فتجد الحلق والفم معها منفتحين

---

(٣٣) سر صناعة الاعراب ــ لابن جني ١ : ٦ .

(٣٤) انظر علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي ، د . محمود السعران ١٩٦٢ م ، ص ٢٦ .

(٣٥) انظر الاصوات اللغوية ــ د. ابراهيم انيس ، ط ٥ ، ١٩٧٩ م ، ص ٢٣ .

غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر . وأما الياء فتجد معها الاضراس سفلا وعلوا قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته ، وتفاجّ الحنك عن ظهر اللسان فجرى الصوت متصعدا هناك . . وأما الواو ، فتضم لها معظم شفتيك ، وتدع بينهما بعض الانفراج ، ليخرج فيه النفس ، ويتصل . فلمّا اختلفت اشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الاحرف الثلاثة ، اختلف الصدى المنبعث من الصدر ، وذلك قولك في الالف اْ ا ، وفي الياء اى ، وفي الواو اْو (٣٦) .

فالالف لولا مايصحبها من اهتزاز الوترين الصوتيين تكون هواء لاصوتا ، وموضع هذا الاهتزاز هو الذي جعله ابن جني مخرجا للالف ، لان الصوت الخارج من أقصى الحلق (الوترين) لم يجد له مقطعا في الحلق أو الفم أو الشفتين ، فرجع الى مخرج الهمزة لينقطع هناك « . . . استمر الصوت ممتدا حتى ينفد فيفضي حسيرا الى مخرج الهمزة فينقطع بالضرورة عندها اذ لم يجد منقطعا فيما فوقها » (٣٧) .

وهكذا نجد تقاربا كبيرا في ادراك حقيقة الالف بين القدامى والمحدثين ، على مابينهم من اختلاف في المصطلح . وحينما نسعى لتقريب الامر نقول : ان الالف عند المحدثين نفس مجهور ، أو هواء مجهور ، وموضع الجهر هو الوتران الصوتيان ، فالالف تولد بالصفة على هذا لا بالمخرج ، لان الهواء المجهور بعد تجاوزه الوترين اللذين أوجدا فيه صفة الجهر باهتزازهما حين يعوقه طرف اللسان ، وقد اتصل باصول الثنايا ، ثم ينفصل عن ذلك الموضع فجأة يسمعنا صوت الدال ، فها هنا اذن مخرج الدال ، وحين يقترب طرف اللسان من أطراف الثنايا العليا بحيث يسمح للهواء المجهور بالمرور من بينهما محدثا احتكاكا مسموعا يكون صوت الذال ، فاذا انطلق الهواء المجهور من

---

(٣٦) سر الصناعة ١/٨ – ٩ .
(٣٧) م . ن ١/٨ .

غير انطباق في جهاز الصوت أو اقتراب كان صوت الالف .

والقول بولادة الالف بالصفة لا بالمخرج يفسر ماقاله علماء العربية من أن مخرج الالف من اقصى الحلق – حيث الوتران الصوتيان – ذلك أنهم أحسّوا ولادتها في هذا الموضع ، ولم يكونوا على علم بالوترين وأثرهما في صفة الصوت فحسبوه أثرا في المخرج . واذا مضينا أبعد من ذلك ، وقلنا ان مخرج الحرف انما هو حيث يولد ، كان كلامهم في غاية الدقة ، لان ولادة الالف انما تكون في الوترين باهتزازهما .

الالف والفتحة :

يندرج تحت مبحث الالف ايضا الحديث عن كون الالف فتحة مشبعة أو كون الفتحة ألفا مختلسة . قال سيبويه : « وانما الحركات من الالف والياء والواو » (٣٨) ، وقال ابن جني : « ان الالف فتحة مشبعة ، والياء كسرة مشبعة ، والواو ضمّة مشبعة . يؤكد ذلك عندك ايضا أن العرب ربما احتاجت في اقامة الوزن الى حرف مجتلب ليس من لفظ البيت ، فتشبع الفتحة ، فيتولد من بعدها الالف » (٣٩) .

وقال في موضع آخر : « وأنشدنا ابو علي لابن هرمة يرثي ابنه :

وأنت من الغوائل حين ترمى
ومن ذمّ الرجال بمنتزاح

فأشبع فتحة الزاي » (٤٠) .

وهذا الذي أوردناه عن سيبويه وابن جني ، وجرى عليه جمهور الدارسين للاصوات قديما وحديثا ، به حاجة الى وقفة قصيرة ، لبيان العلاقة بين الالف

---

(٣٨) الكتاب ٢/٢٥٢ .
(٣٩) سر الصناعة ١/٢٧ .
(٤٠) م ٠ ن ١/٢٩ .

والفتحة في نطق العرب اليوم ، ونسارع الى القول اننا لاننكر كون الالف فتحة مشبعة ، او كون الفتحة ألفا مختلسة ، ولكن الذي ننكره أن تكون الالف في (كاتب) مثلا هي من اشباع الفتحة في (كتب) كما ننطقها اليوم . وهذا بيان ما أوجزناه :

نلفظ كلمة (قُلْ) مثلا ، وهي مكونة من ق + ـُ + ل ، ثم نشبع الضمة التي بين القاف واللام ، أو قل : نمد الصوت بها فينشأ منها صوت الواو المدّية ، ق ـ و ـ ل ، كما نسمع ذلك في لفظ (نقول) ، أو لفظ (قولا) مثلا ، ومثل ذلك القول في الياء التي تنشأ من اشباع الكسرة ، كقولنا : (سر) ، وهو يكون من س + ـِ + ر . فاذا أشبعنا الكسرة ، أو مددنا الصوت بالكسرة فسوف نسمع صوت س + ى + ر ، في نحو : (نسير) أو (سيرا) مثلا . ولو تأملنا العلاقة بين الكسرة والياء المدية ، أو بين الضمّة والواو المدية ، فسوف نجد بوضوح أن الثانية ناشئة من اطالة الصوت بالاولى . هكذا ننطق هذه الاصوات اليوم .

ومعنى ذلك ان كلام علمائنا على انشاء الياء المدية من الكسرة ، والواو المدية من الضمة مازال قائما في نطقنا اليوم ، مع ملاحظة واحدة، لاأشك في أن القارئ قد تنبه اليها ، هي اننا لانزعم وجود حركة قبل حرف المدّ من جنسه ، آخذين بما عليه الدراسة الصوتية الحديثة في ذلك (٤١) . اما علماؤنا ، فانهم اذا تحدثوا عن الصوت البسيط ، قالوا : ان الالف فتحة مشبعة ، والياء كسرة مشبعة ، والواو ضمة مشبعة .

فاذا جاؤوا الى الصوت في التركيب ، قالوا : فتشبع الفتحة فيتولد (من بعدها) الالف ، كما أوردنا عن ابن جني في النص الذي نقلناه آنفا . وليس هذا موضع مناقشة هذا الامر .

---

(٤١) انظر مثلا الاصوات اللغوية ، ص ٣٩ ، والمنهج الصوتي للبنية العربية ، د. عبدالصبور شاهين ، ط بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ص ١٨ .

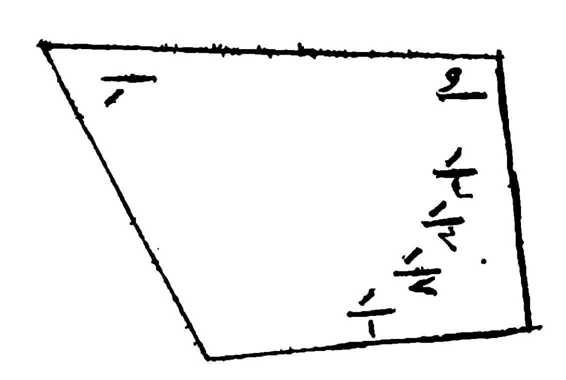
قلنا ان كلام علمائنا على انشاء الياء المدّية من الكسرة ، والواو المدية من الضمة ، مازال قائما في نطقنا اليوم ، بيد أننا لو جرّبنا مدّ الفتحة التي بين الكاف والتاء التي في (كتب) لحصلنا على ألف ، هي على وجه اليقين غير الالف التي نلفظها بين الكاف والتاء في (كاتب) . ويمكن أن يلمس ذلك بوضوح عند نطق صوت ك + ـُـ ، وصوت ك + ـِـ ، وصوت ك + ـَـ ، باختلاس ثم باشباع كُ ، كو ، كِ ، كي ، كَ ، كا. وهذا يعني احدامرين:

الاول : أن تكون الفتحة التي نلفظها اليوم قد تقدمت قليلا الى الامام ، وبقيت الالف اشباعا لفتحة متأخرة .

الثاني : أن تكون الالف قد رجعت الى الوراء ، فصارت اشباعا لفتحة متأخرة لم تكن شائعة يوم وصفت أصوات العربية ، وان الفتحة التي نلفظها اليوم هي الفتحة القديمة ، أى ان موقع الفتحة الحالية هو موقعها القديم .

والذي ترجح عندنا الاحتمال الثاني أى أن صوت الالف قد تغير عمّا كان عليها في لسان جمهور العرب قديما ، الا الحجازيين ، وذلك بان دخله في نطقنا اليوم بعض التفخيم الذي كانت عليه لهجة اهل الحجاز كما سيأتي .

وهذه مصورة موقع الفتحة والالف على مدرج أصوات اللين :



فالحركة الامامية الضيقة هي الكسرة . فاذا مدّ الصوت بها صارت ياء مدّية والحركة الخلفية الضيقة هي الضمة . واذا مدّ الصوت بها صارت واوا مدّية ، والحركة الوسطية المفتوحة هي الفتحة كما نلفظها بعد الكاف والتاء والباء في (كتب) وكلمة وسطية فيها تسامح ، والآ فهي أقرب الى الخلف اى الى جهة الضمة (٤٢) ، وهي التي وضعنا تحتها للتمييز رقم (١) . اما التي وضعنا تحتها رقم (٢) فهي الفتحة المفخمة قليلا والتي ينشأ من مد الصوت بها الالف التي تجرى على السنتنا اليوم ، والتي جعلنا تحتها رقم (٣) هي الفتحة التي تنشأ عنها الالف المفخمة كثيرا وهي الالف التي نسمعها من كثير من العانيين في العراق ، في نحو قولهم : (كَمَاْل ، وعَاْنه) ، والتي جعلنا تحتها رقم (٤) هي التي تنشأ عنها الالف المبالغ في تفخيمها وذلك مانسمعه من بعض الاعاجم في قولهم : « السلام عليكم » و « عليه السلام » .

والذي جعلنا نميل الى القول برجوع الالف ، كلام علمائنا على وصف وضع جهاز النطق عند أصدار الالف من القدامى والمحدثين ، قال ابن جني : « نجد الحلق والفم معها منفتحين غيرمعترضين على الصوت بضغط أو حصر » ويقول بعض المحدثين :

« الالف ليس لها في الحقيقة نقطة انتاج معينة على طول مجرى الهواء ، لان اللسان يكون معها في واقع الامر في وضع اراحة ، أى ممتدا في قاع الفم (٤٤) واللسان عندما يكون في هذا الوضع تنتج الفتحة التي نسمعها في مثل

(٤٢) انظر التصريف العربي من خلال علم الاصوات الحديث ـ الطيب البكوش ، ط تونس ١٩٧٣م ، ص ٤٨ .

(٤٤) دراسة الصوت اللغوي ـ د. احمد مختار عمر ، ط الكويت ، ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦م ، ص ٢٩٧ .

« كتب » ، فاذا ارتفع اقصى اللسان قليلا عند النطق بالفتحة دخلها من التفخيم أو من صوت الواو بمقدار ذلك الارتفاع ، والالف التي في مثل « كاتب » يرتفع معها أقصى اللسان بدرجة قليلة جدا ، ولذا كانت أفخم في السمع من الالف التي تنشأ من اشباع الصوت بفتحة الكاف في « كتب » . وقد ذكر سيبويه ألفا مفخمة نسبها الى اهل الحجاز ، قال : « وتكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف هن فروع . . . يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والاشعار وهي . . وألف التفخيم يعني بلغة اهل الحجاز في قولهم : الصلاة والزكاة والحياة . . » (٤٥) .

وتفخيم الالف عند الحجازيين يعني دخول صوت الواو او الضمة الخلفية في الالف أو الفتحة وقد كان ذلك سببا كما يرى بعض العلماء في كتابة هذه الكلمات بالواو في « المصحف » . قال مكي بن أبي طالب : « الالف المفخمة وهي الف يخالط لفظها تفخيم يقربها من لفظ الواو . . وذلك فاش في لغة أهل الحجاز . . وقال بعض النحويين : ولذلك كتبت الصلوة بالواو على لغة الذين فخموا الالف » (٤٦) ولا نملك دليلا يقطع بان ألفنا اليوم هي الالف الحجازية ذلك أن الانسان يمكن ان ينطق من أصوات اللين مايجاور الخمسين (٤٧) ولكنه الظن الذي يرجحه ما قدمناه .

الواو :

الواو كما ذكر الدكتور السعران حرف شفوي – حنكي قصي (٤٨) ،

---

(٤٥) الكتاب ٢/٤٠٤ .
(٤٦) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ــ مكي بن ابي طالب ــ تحقيق د. احمد حسن فرحات ، ط دمشق ، ١٩٧٣م ، ص ٨٦ ، وانظر تعليلات رسم الالف واواً في «رسم المصحف» ــ غانم قدوري حمد ــ بغداد ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢م ص ٣٣٠ ــ ٣٣٧ .
(٤٧) الاصوات اللغوية ، ص ٣٦ .
(٤٨) علم اللغة ، ص ١٩٨ .

ذلك ان اخراجها يتم بارتفاع أقصى اللسان نحو الحنك الاعلى ، وتسهم الشفتان باستدارتهما في اخراجهما اما القدامى فهي عندهم كما ذكر سيبويه وتابعه علماء العربية من الحروف الشفوية « ومما بين الشفتين مخرج الباء ، والميم والواو » (٤٩) ويبدو ان علماء العربية قد شغلهم وضع الشفتين في النطق بالواو عن تحسس موضع اللسان من الحنك الاعلى « ولعل وضوح استدارة الشفتين مع الواو ، هو الذي جعل القدماء ينسبون مخرج الواو الى الشفتين » (٥٠) واعانهم على ذلك أن اللسان لايقترب بصورة واضحة من الحنك عند النطق بها ، كوضوح استدارة الشفتين (٥١) زد على ذلك أن علماء العربية ألفوا الاشارة الى موضع واحد عند كلامهم على مخارج الحروف هو الموضع الاظهر . فالطاء مثلا من حروف النطع ، مع ان وسط اللسان عند النطق به يرتفع نحو الفاء ، وهو أمر أحسه العلماء ، ولذا قالوا في الطاء انها مطبقة لارتفاع وسط اللسان نحو طبق الفم عند اخراجها ، الا أنهم مع ذلك لم يقولوا ان مخرجها يكون باتصال أول اللسان بأصول الثنايا مع ارتفاع وسطه نحو الطبق فهي طبقية نطعية بل اكتفوا في حديث المخارج بالاشارة الى انها نطعية ، وذكروا انها مطبقة في الصفات (٥٢) ، فوصف الواو بانها شفوية متفق مع منهجهم العام في الكلام على مخارج الحروف . الا أن الذي نميل اليه في هذا وما أشبهه أن يثبت الوصف كاملا ، مختصرا كما قيل في الواو انها شفوية حنكية قصية ، أو مفصلا كما قيل في وصف الواو ايضا ، انها تنتج عن طريق رفع مؤخر اللسان في اتجاه منطقة الطبق اللين ، ولكن مع ترك فراغ يسمح بمرور الهواء دون احتكاك مسموع يصاحب ذلك استدارة الشفتين

---

(٤٩) الكتاب ٢/٤٠٥ .
(٥٠) الاصوات اللغوية ، ص ٤٣ .
(٥١) انظر : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٣١١ .
(٥٢) انظر الرعاية ص ٩٨ ، ١١٤ ، ١٧٢ .

وامتدادهما للامام . . مع اهتزاز الوترين الصوتيين (٥٣) ، المهم أننا لانكتفي في وصف الواو بالقول انها شفوية او بالقول انها حنكية قصية ، وقد ذكر بعض المحدثين أن وصف الواو بانها شفوية ليس خطأ ، لان الشفتين لهم دخل كبير في نطقهما ، ولكن الوصف الدقيق لها أن يقال : انها من أقصى الحنك لأن اللسان يقترب من هذا الوضع عند نطقه بالواو (٥٤) . ونرى انه بما اقترحه من قصور الوصف على أقصى الحنك يقع فيما وقع فيه علماؤنا من افراد الوصف بعد أن أقر ان الشفتين لهما دخل كبير في اخراجهما ، ثم اغفل ذكرهما ، كما أغفل القدامى ذكر الحنك ، والصواب كما قدمنا الجمع بين الوصفين على ماذهب اليه غير واحد من المحدثين (٥٥) .

الغين والخاء :

جعل بعض المحدثين مخارج الحروف في العربية عشرة ، منها :

« ...٧ – طبقي : وهو مانتج عن اتصال مؤخر اللسان بالطبق ، وهو الجزء الرخو الذي في مؤخرة سقف الفم . .

٨– لهوي : وهو مااتصل فيه مؤخر اللسان باللهاة ، وهي آخر جزء في مؤخر الطبق .

٩– حلقي : ونقصد به المخرج الناتج من تضييق الحلق . . . فهو مابين الحنجرة وبين جذر اللسان .

١٠– حنجري:وهو نتيجة الاقفال أوالتضييق فيالاوتارالصوتية ..(٥٦)

---

(٥٣) انظر : دراسة الصوت اللغوي ، ص ٢٧٢ ــ ٦٧٤ .
(٥٤) انظر : علم اللغة العام ــ الاصوات . د. كمال محمد بشر ١٩٧٣م ، ص ٨٩.
(٥٥) انظر مثلا : الاصوات اللغوية ص ٤٣ ، وعلم اللغة للسعران ص ١٩٨ ، مناهج البحث في اللغة ــ د. تمام حسان ، ط الدار البيضاء ١٤٠٠ ــ ١٩٨٠م ص ١٣٥ .
(٥٦) مناهج البحث في اللغة ص ١١٠ ــ ١١١ .

وحين تحدث عن مخرج الغين قال : « وهذا صوت طبقي رخو مجهور . . . » (٥٧) ، اما الخاء فهو النظير المهموس للغين ، أي أنه لايختلف في اخراجه عن الغين ، الا انه لايصحبه اهتزاز الوترين الصوتيين . وحين تحدث عن مخرج القاف قال : « وهذا صوت ، لهوي شديد مهموس . . » (٥٨) ومعنى ذلك ان القاف عنده أقرب الى الحلق من الغين والخاء . ذلك أن اللهوي عنده ، يقع بين الطبقي والحلقي . ولما أراد ان يعتذر لعلماء العربية ، اذ وصفوا الغين والخاء بأنهما حلقيان ، ذكر أنه « اذا كان فهمهم للاصطلاح — يعني اصطلاح الحلق — أوسع من فهمنا له حتى يشمل مابين مؤخر اللسان والطبق فلاداعي للقول بخطئهم » (٥٩) .

وفاته أنه سيشكل عليه حينئذ ان يعلل اخراجهم القاف من حروف الحلق ، وهي بين هذه وتلك ، ذلك انه اذا اتسع المصطلح عندهم للمنطقة الممتدة من الحنجرة الى مؤخر اللسان مع مايليه من سقف الفم ، فلاشك في أن موضع القاف وهو لهوي داخل في ذلك ، ومع هذا لم يقولوا ان القاف حلقي ، ولذا لم يبق الا القول الاول الذي قدمه ، وهو أنه « اذا كان مفهوم هذا الاصطلاح في اذهانهم مطابقا لما نفهمه نحن الان فهم ولا شك مخطئون في القول بأن صوت الغين يخرج من الحلق » (٦٠) .

وذهب آخر من المحدثين الى مثل هذا ايضا (٦١) حيث ذكر ان القاف ادنى الى الحلق من الغين والخاء ، واعتذر لعلماء العربية بأنهم اما ان يكونوا أخطأوا في تعيين موضع القاف ، واما انهم وصفوا صوتا آخر كان شائعا في

---

(٥٧) م٠ ن ص ١٢٩ .
(٥٨) م٠ ن ص ١٢٤ .
(٥٩) م٠ ن ص ١٣٠ .
(٦٠) م٠ ن ص ١٢٩ — ١٣٠ .
(٦١) علم اللغة العام — الاصوات — ص ١٠٩ — ١١٠ .

زمانهم للقاف غير الذي نستعمله الان ، وقد ناقشنا هذين الاحتمالين في غير هذا الموضع (٦٢) ، وانتهينا الى أن « الغين والخاء يمكن ان ينطقا من اللهاة قريبين من موضع القاف ، وهو ماعليه نطقنا اليوم ، ويكونان بعيدها او قبيلها كلاهما ممكن مما يؤدي الى الاشتباه في تعيين المخرج » (٦٣) وهذا الذي جعل اكثر المحدثين يوافقون القدماء على تحديد مخرج الخاء والغين من الحلق والقاف من اللهاة (٦٤) « ويمكن ان يخلص نطقهما من أدنى الحلق في موضع أعمق من موضع القاف ، وحينئذ لامجال للبس في تعيين الموضع ، ويكونان حينئذ أفخم منهما في نطقنا اليوم ، وهو الصوت الذي أرى ان العرب كانوا عليه حين وصفت الحروف ، يقوى ذلك ماذكروه من ان النون لاتنطق نونا خالصة مظهرة لاتشوبها شائبة الاخفاء او الادغام الا مع حروف الحلق الستة الهمزة ، والهاء ، والحاء ، والعين ، والخاء ، والغين . ولو حاولنا اخفاءها مع الهمزة او الهاء او الحاء او العين لما أمكننا ذلك ، بمعنى انه ليس من الاصوات المألوفة في القراءة اليوم ، فلانقرأ : « من أتى » بالاخفاء مثلا ، كما نخفي في :

« من جاء » و « من كان » ولكننا ألفنا الاخفاء مع الخاء والغين كما نلفظهما اليوم فنقول من غادر ، أو من خالف بالاخفاء فيهما . ولو رددناهما الى أدنى الحلق وراء موضع القاف ، ما وجدنا الاخفاء ، معهما سائغا . ولعل هذا الاختلاف

(٦٢) انظر : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٣٠٥ ــ ٣٠٧ .
(٦٣) م. ن ص ٣٠٧ .
(٦٤) انظر مثلا التطور النحوي للغة العربية ــ براجستراسير ، نشرة د.رمضان عبدالتواب الرياض ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م ص ١١ ، ١٢ . والاصوات اللغوية ص ٨٨ ومحاضرات في اللغة ــ د. عبدالرحمن ايوب ط بغداد ١٩٦٦ م ص ٩٨ ودروس في علم أصوات العربية ــ جان كانتينو ــ تعريب صالح القرمادي ــ تونس ١٩٦٦ ، ص ٣٢ .

في موضع اخراج هذين الحرفين هو الذي جعل بعض القراء يخفي معهما وان كان جمهورهم لايرونها من حروف الاخفاء . » (٦٥) .

وقد أشار سيبويه الى شدة القرب بين الخاء والغين والقاف حين قال وهو يتكلم على الخاء والغين : « وهما من حروف الحلق بمنزلة القاف من حروف الفم ، وقربهما من الفم كقرب القاف من الحلق » (٦٦) .

اما ماقيل من تغير صوت القاف ، وأن علماء العربية وصفوا صوتاآخر فلا أرى ابلغ في نقضه من قول سيبويه : (انك لو جافيت بين حنكيك فبالغت ثم قلت : قق قق ، لم تر ذلك مخلا بالقاف ولو فعلته بالكاف وما بعدها من حروف اللسان أخل ذلك بهن » (٦٧) فهذه تجربة يمكن أن يجربها أي انسان ، ويرى أن القاف هي التي وصفها سيبويه وليست كافا مجهورة ، أو غير ذلك .

القاف والطاء :

أول من أثار مشكلة الاختلاف في صفة القاف والطاء بين الجهر والهمس ، على مانعلم المستشرق الالماني براجستراسر ، في محاضراته التي القاها في الجامعة المصرية سنة ١٩٢٩ م ونشرت في السنة نفسها بعنوان « التطور النحوي للغة العربية » . وقد أعاد نشرها الدكتور رمضان عبدالتواب عام ١٩٨٢ في الرياض ، والى هذه النشرة ستكون احالاتنا على الكتاب وقد عمل المؤلف جدولا للاصوات العربية (٦٨) ، على ماوصفه علماء العربية ، وردت فيه القاف والطاء تحت صفة الجهر والشدّة . ثم قال « ونفهم من الجدول والصفات

---

(٦٥) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٣٠٧ .
(٦٦) الكتاب ٢/٤٢٨ .
(٦٧) الكتاب ٢/٤٢٧ .
(٦٨) التطور النحوي ، ص ١٥ .

المذكورة بعده ومن جدول المخارج ، أن بعض الحروف يختلف نطقه الحالي عنه في الزمان القديم ، وهي : ق ، ج ، ط ، ض ، ظ . أما القاف فهي في العادة اليوم مهموسة لكنها في الجدول مجهورة ، كما هي الآن عند بعض البدو . والطاء أيضا مهموسة اليوم ، مجهورة في الجدول ، والفرق بينها وبين القاف أن نطق القاف لايزال باقيا في بعض الجهات ، ونطق الطاء العتيق قد انمحى وتلاشى تماما » (٦٩) . وقد عقب د . رمضان عبدالتواب على العبارة الاخيرة في الحاشية بقوله : « لابل يسمع بوضوح في بعض جهات اليمن » ، واستشهد بما قاله المستشرق أ . شادة في محاضرته : « علم الاصوات عند سيبويه وعندنا « والذي يتجه لي في هذا أن « براجستراسر » أراد بالقاف العتيقة المجهورة والتي سمعها من بعض البدو الكاف المجهورة ، اى صوت (گ) ، اذ لا نشك في انه كان يسمع القاف في قول المصريين : القاهرة ، وكذلك مايلفظه قراء القرآن في مصر ، وهذه هي القاف التي ترجح لدينا انها القاف العربية القديمة ، لأنه لايتصور ان يجمع قراء القرآن في كل بلاد الاسلام على هذا الصوت ، وهم يتلقون القراءة مشافهة من جيل الى جيل ، ثم نزعم أنه ليس الصوت القديم مع ان الكلمات التي بالقاف تلفظ في لهجاتهم المحلية لفظا مختلفا ، فالقاف في أول « قال » مثلا ، تصبح همزة عند المصري وكافا عند الفلسطيني ، وكافا مجهورة عند العراقي ، وهي بالصوت الفصيح عندهم جميعا اذا كانوا يقرؤون القرآن ، أو أي نص فصيح آخر ، كما نذكر هنا بالتجربة التي أوردها سيبويه في نطق القاف ، وذكرناها آنفا ، فانت اذا فتحت فمك بأوسع مايمكن ، ثم حاولت نطق القاف الفصيحة ، أمكنك ذلك فتقول : قَقْ قَقْ ، ولاتجد ذلك مخلاً بالصوت ولكنك لو حاولت ذلك مع الكاف المجهورة ، وهي القاف البدوية التي أشار اليها براجسترسر لم

(٦٩) م . ن ص ١٦ ـ ١٧ .

تسنطع الاتيان بها .

اما الطاء ، فلانشك في ان مشكلتها اعقد من القاف قليلا اذ ليست هناك تجربة لنطقها تجعلها منفردة ، ويصح الاستدلال بها . اما هذه الطاء المجهورة التي اشار الى وجودها « شادة » كما ذكرنا قبل قليل ، وكذلك ماذكره « كانتينو » من وجود الطاء المجهورة في بعض لهجات اليمن ، وكذلك في بعض اللهجات العربية شرقي « بحيرة تشاد » (٧٠) فهي دال مطبقة ، وهي بالضاد المصرية أشبه ، ان لم تكن هي هي ، وقد سمعت بعض أهل « الصومال» ينطق هذا الصوت فطلبت اليه أن يقرأ هذه الكلمات طاهر وظاهر ، وضارب ، فنطق الصوت الاول منها جميعا بالضاد المصرية ! .

وهذا الذي أورده « براجستراسر » وتبعه فيه كل الذين تحدثوا عن الهمس في القاف والطاء ، مبني على مصطلح الجهر والهمس عند المحدثين لاعند القدماء . فالمجهور عند المحدثين (٧١) هو الذي يصحبه صوت خارج من الحنجرة من اهتزاز الوترين الصوتيين ، والمهموس هو الذي ينعدم معه هذا الصوت .

واهتزاز الوترين وعدمه في تحديد الجهر والهمس في الحرف ، غير منظور اليه في هذين المصطلحين ، عند القدماء . وليس صحيحا أن يحاكم القدماء على وفق المعنى الذي وضعناه لمصطلح وافقناهم فيه في لفظه وخالفناهم في معناه . بل الصواب أن ننظر في مرادهم من المصطلح ، ثم نرى أكانوا على صواب فيما وصفوه أم لا .

المجهور عند القدماء على ماذكره سيبويه : « حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النَفَس أن يجرى معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجرى

---

(٧٠) دروس في علم أصوات العربية ، ص ٥٠ ــ ٥١ .
(٧١) التطور النحوي ص ١٣ .

الصوت . . ، وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النَفَس معه . وأنت تعرف ذلك اذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النَفَس ، ولو اردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه » (٧٢) . فضابط الجهر والهمس عند سيبويه جري النفس مع الحرف أو عدمه ، وعلى هذا جمهور علماء العربية . وقد نقل « د . ابراهيم أنيس » من شرح السيرافي مايمكن ان يعين في جمع الجوانب المختلفة لتحديد ضابط الجهر والهمس ، فقد ذكر السيرافي ان الاخفش قال : « سألت سيبويه عن الفصل بين المهموس والمجهور ، فقال : المهموس اذا اخفيته ثم كررته ، أمكنك ذلك ، وأما المجهور ، فلا يمكنك ذلك، ثم كرر سيبويه التاء بلسانه واخفى ، فقال : الاترى كيف يمكن وكرر الطاء والدال ، وهما من مخرج التاء فلم يمكن . . » (٧٣) فاذا ضممنا الى هذا النص ماورد في تفسير المهموس من أنه الذي يجرى به النفس امكن أن نضع الضابط التالي :

لتمييز المهموس من المجهور اتبع الطريقة الاتية :

١ـ اخفض صوتك بالحرف الى ادنى مانستطيع ـ الاخفاء .

٢ـ ردد الصوت بالحرف ـ التكرار ـ

٣ـ أجر النَفَس وأنت تقوم بهذه المحاولة ـ جري النفس .

فاذا سمع الصوت الذي يسمع اذا لفظ وحده بوضوح وبصوت مرتفع ، فالحرف ، مهموس ، اى اذا لم تؤد التجربة الى تحول صـوت الحرف ، فهو مهموس اما اذا قمت بالتجربة لنطق حرف معين ، وأدى خفض الصوت به وتكراره مع جري النفس الى سماع صوت آخر ، فالصوت الذي حاولت

---

(٧٢) الكتاب ٢/٤٠٥ .

(٧٣) الاصوات اللغوية ، ص ١٢٠ .

نطقه قد تحول الى صوت مجهور . ولو جربت ذلك مع الثاء لسمعتها ثاء ، كما هي . ولو جربت ذلك مع الذال فسوف تسمعها ثاء أيضا ، لا ذالا .
وقد جربت ذلك مع الحروف المهموسة جميعا ، فأمكنني ذلك ، وفهمها السامع ، وميز اصواتها . وجربته مع الطاء فسمعت تاء ، ومع القاف فسمعت خاء . اما الهمزة وهي الحرف الثالث الذي وصفه علماؤنا بالجهر ، وهو مهموس بضابط المحدثين لأن الوترين لايهتزان معها ، فلايمكن اجراء النفس معها ابتداء ، لأنها تكون بانطباق الوترين انطباقا تاما . وهذه التجربة تثبت أن الطاء والقاف والهمزة لاينطبق عليها ضابط الهمس فهي اذن مجهورة بضابط القدماء ومعنى ذلك ايضا ان الصوت الشائع الفصيح اليوم للقاف والطاء هو الصوت القديم لهما ، وان اختلفنا مع القدماء في صفتهما بناء على اختلاف المراد بالجهر والهمس . وبهذا نكون قد قدمنا ثبات الصوتين بين يدي دعاوى تحول القاف عن الكاف المجهورة ، والطاء عن الضاد المصرية ، وهو ما سنفصل القول فيه فيما يأتي :

دعاوى التحول :

ذكر « برجستراسر » (٧٤) . كما أشرنا قبل قليل ، ان الطاء العتيقة قد انمحت وتلاشت تماما من اللسان العربي ، اليوم ، وان القاف ماتزال باقية عند بعض البدو ، على ان نطقها عند العرب عموما يختلف عما كان قديماً ، وكذلك اختلف نطق العرب اليوم صوت الجيم ، اذ هي كما وصفها علماء العربية بسيطة مجهورة شـــديدة شجرية ، وهي عند المصريين بهذه الصفات الا ان مخرجها مخرج الكاف عندهم ، والجيم « هي ثالث الحروف التي لفظها العتيق غير لفظها الحاضر . وأما رابعها وهي الضاد . فهي الان شديدة عند

(٧٤) انظر التطور النحوي ، ص ١٦ ــ ٢٠ .

اكثر اهل المدن ، وهي رخوة في الجدول ، كما هي الان عند اكثر البدو ، ومع ذلك فليس لفظها البدوى الحاضر نفس لفظها العتيق لأن مخرج الضاد في جدول المخارج من حافة اللسان الى طرفه ، ونطقها عند اهل المدن نشأ من هذا النطق البدوى باعماد طرف اللسان على الفك الاعلى بدل تقريبه منه فقط ، فصار الحرف بذلك في نطقه شديدا، بعد ان كان رخوا . . آخر الحروف الخمسة . . . الظاء ، وهي الان عند كثير من أهل المدن أحد حروف الصفير وعند سائر العرب مثل ذال مطبقة وهذا هو نفس نطقها العتيق » (٧٥) .

وهذا الذي اورده برجستراسر عام ١٩٢٩ م كان منبها لمن كتب بعده فتكرر الكلام على هذه الحروف ومخالفتها النطق القديم ، ونريد قبل الخوض في الكلام على التحول الصوتي وتعليله وقبوله أو رفضه ، أن نضع ضابطا للقول بالتحول أو الثبات في اى صوت من الاصوات التي نبحثها ، وقد رأينا أن خير مايضبط اعطاء اليد بالتحول او عدمه أن ينظر في الصوت الذي ندرسه كيف ينطقه قراء القرآن المجيدون في قراءتهم ، وكيف ينطقون الصوت ذاته في لهجاتهم المحلية ، فان وجدناهم يتفقون على نطقه في القرآن ، وان اختلفوا فيه في لهجاتهم ، كان ذلك دليلا على ان النطق المجمع عليه نطق موروث بالتلقين والتلقي . وان وجدناهم يختلفون في نطقه في قراءة القرآن ، دل ذلك على تحول الصوت — ، ويكون النظر الى ذلك كله في ضوء ماأورده علماء العربية من وصف لمخارج الحروف وصفاتها .

اما القاف فاختلاف صفتها بين الجهر عند القدامى ، والهمس عند المحدثين جعلهم يذهبون الى انتقال المخرج ، وأنها في الاصل كانت كافا مجهورة (گ) ، أى انها رجعت الى الوراء قليلا من أقصى الحنك الصّلب الى اللهاة ، وقد أورد د . ابراهيم أنيس احتمالين لاصل القاف الفصيحة ، الاول : أن

---

(٧٥) م٠ ن ص ١٨ — ١٩ .

تكون نوعا من الغين، الثاني : أن يكون صوت (گ) قال : « تطورت القاف في اللهجات العربية الحديثة تطورا ذا شأن لانستطيع أن نؤكد كيف كان ينطق بها الفصحاء من عرب الجزيرة في العصور الاسلامية الاولى ، الا أننا نستطيع ان نستنتج من وصف القدماء لهذا الصوت انه ربما كان يشبه تلك القاف المجهورة التي نسمعها الان بين القبائل العربية في « السودان » وبعض القبائل في جنوب « العراق » . اذ نسمعها منهم نوعا من الغين . . ومن الممكن أن نفترض للقاف القديمة فرضا ربما كان اكثر احتمالا ، هو انها كانت تشبه الجيم القاهرية . .

ويستأنس لهذا الرأى بنطق معظم البدو الان للقاف على هذا النحو » (٧٦) .

والذي نراه بناء على الضابط الذي أوردناه قبل قليل ، أن الصوت لم يدخله تغيير في الفصيح . فالقاف حرف لهوي شديد ، وهو مجهور على وفق ضابط الجهر الذي وضعه القدماء وهو عدم جريان النفس عند اخفاء الحرف وترديده ، فقرّاء القرآن اليوم مجمعون على نطق واحد ، على ان الصوت قد تقدم في لهجات بعضهم ، وتأخر في لهجات الاخرين ، وجاء مهموسا عند قوم ، مجهورا عند آخرين . فقد رجع صوت القاف الفصيحة الى الوراء كثيرا عند بعض المصريين حتى جاء مخرجه من الوترين الصوتيين بانطباقهما ، فصار همزة « قرب — أرب ، دقة ، دأة ، يدق — يدأ » ، وتقدم عند بعض المصريين — أهل الصعيد مثلا — قليلا نحو الحنك الصلب ، فآل الى كاف مجهورة « قال — گال ، دقة — دگة ، يدق يدگ » ، وهي كذلك عند اكثر العراقيين ، وأهل الجزيرة والخليج . ومن هذا الموضع نفسه الا انها مهموسة عند اكثر الفلسطينين ، اى أنها صارت كافا فصيحة « قال — كال ، دقّة — دكة ، يدق — يدك » ، وبقيت في موضعها وعلى صفاتها التي ذكرها

(٧٦) الاصوات اللغوية ، ص ٨٤ — ٨٥ .

علماء العربية عند بعض العراقيين مثلا كما في لهجة أهل الموصل حيث بقي لهويا شديدا مجهوراً بضابط القدماء للجهر ، ومع هذا الاختلاف نجد الجميع يتفقون على نطقها في قراءة القــرآن بصورة واحدة ، وهي بالوصف الذي أورده علماء العربية ، فهذا دليل على ثبات الصوت في الفصيح ، وعدم تحوله ، فاذا انضاف الى ذلك التجربة التي ذكرها سيبويه ، وأوردناها قبل قليل في نطق القاف كان ذلك أدعى الى الاطمئنان الى القول بثبات صوت القاف ، وهو ماينبغي ان يحافظ عليه في الفصيح ، سواء في قراءة القرآن الكريم ، أو غيره .

وأما الطاء فاختلاف صفتها أيضا بين الجهر عند القدماء والهمس عند المحدثين أدى الى القول باختلاف الصوت وتحوله . وقد ذهب براجستراسر الى أن نطقها القديم « قد انمحى وتلاشـــى تماما » (٧٧) واعترض د . رمضان عبدالتواب على ذلك في الهامش قائلا : « لابل يسمع بوضوح في بعض جهات اليمن عند قولهم الضبيب والضباخ ، في الطبيب والطباخ ، وقد روى المستشرق « شادة » عنهم مضر وقضع في مطر وقطع « ومثل ذلك ماذكره كانتينو » من وجود الطاء المجهورة في لهجـــات اليمن حيث قال : « ان أ . روسي » أثبت من جديد وجود دال مفخمة في لهجات اليمن تمثل الطاء القديمة . . نتنبه الى ماذكره « كانبمفماير » من أن هناك في اللهجات العربية بالوادي شرقي بحيرة « التشاد » طاء تنطق نطقا مجهورا ، اى كالدال المفخمة » (٧٨) . وهذا الذي اطلق عليه الطاء المجهورة ، هو نطق الطاء كالدال المفخمة ، كما ذكر « كانتينو » . وقدسمعت ذلكمن بعض الطلبة في الدراسات العليا من

---

(٧٧) التطور النحوي ، ص ١٧ .

(٧٨) دروس في علم أصوات العربية ص ٥٠ ــ ٥١ .

الصومال وقد لفت نظرى أنه ينطق الطاء والظاء والضاد بصوت واحد ، هو الدال المفخمة ، أو الضاد المصرية ، فطلبت اليه أن يقرأ هذه الالفاظ « طلب ، ظلم ، ضرب » ، ولم يكن يدرك غرضي ، فقرأها : دلب ، دلم ، درب بالضاد المصرية ، وهذا الخلط في الصوت يجعل الباحث يتردد كثيرا قبل أن يردد عبارة القطع بأن هذه الدال المفخمة ، هي الطاء القديمة . وقد استدل « د . ابراهيم أنيس » على ان الطاء القديمة كانت دالا مفخمة بكلمة أوردها سيبويه ، وبما يسمع من نطق اهل اليمن ، قال :

« وليس من المحتمل ان يكون القدماء قد خلطوا في وصفهم بين صفتي الجهر بالهمس فيما يتعلق بهذا الصوت ، ولكن الذي ارجحه أن صوت الطاء كما وصفها القدماء كان يشبه الضاد الحديثة لدى المصريين . . . ويؤيد هذا مانسمعه الآن من نطق أهل اليمن . . كما يؤيده قول ابن جني في « سر الصناعة » نقلا عن سيبويه في كتابه :

« لولا الاطباق لصارت الطاء دالا » . . (٧٩) . وقد استدل « كانتينو » بكلمة سيبويه ايضا ، قال : « ولما كان معنى كلمة مجهور بالضبط موضعا للخلاف وجب أن نطرح ترتيب النحاة العرب الطاء في الحروف المجهورة جانبا ، الا ان هناك في كتاب سيبويه (٢ / ٥٥) فقرة ترجح فيما يبدو نعت الطاء بكونها مجهورة بالمعنى الحديث ، وذلك قوله :

« ولولا الاطباق لصارت الطاء دالا » (٨٠) .

وعبارة سيبويه اذا أخذت على ظاهرها تقطع بأن صوت الطاء التي وصفها العلماء كان دالا مفخمة ، أى كالضاد المصرية ، الا ان الامر به حاجة الى

---

(٧٩) الاصوات اللغوية ، ص ٦٢ .

(٨٠) دروس في علم أصوات العربية ، ص ٥٠ ، والاحالة على كتاب سيبويه في ط أوربة ، والنص في طبعة بولاق ، ٢/٤٠٦ .

فضل تأمل ، ذلك ان علماء العربية ذكروا ثلاثة أصوات بصفة الجهر ، وهي ليست مما يهتز معه الوتران الصوتيان ، هي الهمزة ، والقاف ، والطاء . ولذلك فهذه الثلاثة الاصوات تمثل مشكلا واحدا ، لاأرى صحة تجزئته . وقد ثبت ان الهمزة والقاف لم يدخلهما تغيير في الصفة أو المخرج عما كانا عليه يوم وصفت اصوات العربية .

اما الهمزة فما وجدنا أحدا أثار شيئا يتعلق بمخرجها ، وانها تكون بانطباق الوترين ثم انفصالهما فجأة ، وانطباق الوترين غير اهتزازهما ، ولذا فهي مهموسة بضابط المحدثين ، ولكنها مجهورة بضابط القدماء ، لان اغلاق الوترين مجرى النَفَس يستحيل معه أن تنطق الهمزة مع جريه . ولم يقل احد على ما نعلم إن همزة اليوم غير همزة العرب يوم وصفت الاصوات . فالهمزة صوت ثابت ، وصفته مختلف فيها بين المحدثين والقدماء . وأما القاف ، فالتجربة التي ذكرها سيبويه في نطقها لا يمكن أن تنطبق على اى صوت من اصوات العربية سواها ، فأنت لو فتحت فمك ، وجافيت بين حنكيك الى اقصى ماتستطيع ، وحاولت نطق القاف الفصيحة ، أمكنك ذلك ، ولو تكلفت نطق اى صوت آخر ، وأنت في هذه الحال ، ما استطعت . والقاف وصفت بأنها مجهورة لانها لايجرى معها النَفَس ، وهي عند المحدثين مهموسة ، لانها لايهتز معها الوتران الصوتيان . فاذا اطمأننا الى ثبات صوتين مع الاختلاف في صفتهما ، كان ذلك مدعاة للقول بثبات الصوت الثالث ، لان المشكلة واحدة في الثلاثة .

واما عبارة سيبويه فالذي يتجه لي في تفسيرها أن التنظير الشكلي فيها قد طغى على التطبيق الصوتي ، قال : « ولولا الاطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا والظاء ذالا ، ولخرجت الضاد من الكلام لانه ليس شيء من موضعها غيرها » (٨١) فالطاء عنده فيها صفتان الجهر والاطباق . فاذا ذهب الاطباق

(٨١) الكتاب ٢/٤٠٦ .

بقي الجهر والحرف المجهور من مخرج الطاء هو الدال ، فلاريب تؤول الطاء الى دال اذا ذهب عنها الاطباق وبقي الجهر ، كما قال ان الصاد اذا ذهب عنها الاطباق ، صارت سينا ، اذ الصاد والسين مهموستان ، والفرق بينهما الاطباق . فاذا ذهب صارت الصاد سينا . وكذلك القول في الظاء والذال ، فهما مشتركتان في صفة الجهر ومختلفتان في الاطباق . فاذا ذهب الاطباق ، صارت الظاء ذالا ، لان الصوت المجهور غير المطبق من مخرج الظاء هو الذال ، ولو ذهب عن الصوت من هذا المخرج الاطباق والجهر ، اذن لصار الصوت ثاء . وهذا ايضاح التقابل أو التنظير الشكلي في هذه الاصوات التي ذكرها سيبويه : ت ، د ، ط ، د .

تولد هذه الاصوات باتصال أول اللسان باصول الثنايا اتصالا تاما لا يسمح للهواء بالمرور ، ثم ينفصل ، فهي أصوات انفجارية (شديدة) ، فاذا لم يكن اطباق بارتفاع وسـط اللسان نحو سقف الفم ؛ ولم يكن جهر باهتزاز الوترين ، سمع الصوت الذي رمز له بـ (ت) فاذا اهتز الوتران ، سمع صوت (د) . فاذا صحب الاهتزاز ارتفاع وسط اللسان نحو طبق الفم ، سمع صوت (دِ) (الضاد المصرية) فاذا لم يهتز الوتران الصوتيان ، وارتفع وسط اللسان نحو طبق الفم ، سمع صوت (ط) ، وهكذا نجد النظير المطبق للتاء هو الطاء ، وللدال هو الضاد المصرية . هذا بناء على مفهوم الجهر والهمس عند المحدثين ، فاذا نظرنا الى الاصوات بناء على معنى الجهر والهمس عند سيبويه ، وأقمنا المقابلة الشكلية كان كما يأتي :

ت = + همس (— جهر) ، — اطباق .

د = (— همس) + جهر ، — اطباق .

ط = (— همس) + جهر + اطباق .

فالطاء التي وصفها سيبويه بالجهر ؛ تقابل من الناحية الشكلية صوت الدال اذا نظرنا اليهما من حيث الاطباق وعدمه ، فكلتاهما مجهورة ، الا ان احداهما

مطبقة والاخرى غير مطبقة ، ولذلك قال : « اذا ذهب الاطباق من الطاء ، صارت دالا » .

وهكذا نفهم كلام سيبويه : « لولا الاطباق ، لصارت الطاء دالا ، والصاد سينا والظاء ذالا » . فالطاء والدال مجهورتان عنده ، وهما من مخرج واحد ، والفرق بينهما الاطباق ، فـاذا ذهب الاطباق عادت الطاء دالا ، والصاد والسين مهموستان وهما من مخرج واحد ، والفرق بينهما الاطباق في الصاد ، فاذا ذهب ، عادت سينا ، والظاء والذال مجهورتان ، وهما من مخرج واحد ، والفرق بينهما الاطباق في الظاء . فاذا فقدت الاطباق عادت ذالا . وبهذا ايضا نفهم قوله : « ولخرجت الضاد من الكلام ، لانها ليس شيء من موضعها غيرها » . فالضاد كما وصفها سيبويه حرف مجهور رخو (احتكاكي) مطبق ، يخرج من بين أول حافة اللسان وما يليه من الاضراس (٨٢) وهو بهذا الوصف ليس من مخرجه حرف مجهور غير مطبق حتى يصير اليه اذا فقد الاطباق كما وقع للظاء والصاد والطاء .

ولاشك في أن التفاتة « د . ابراهيم أنيس » التفاتة لها قيمتها حين مال الى ان الطاء القديمة تشبه الضاد المصرية ، لان هذه الضاد اذا ذهب اطباقها آلت الى دال . ولكن يشكل على رأيه ، اجماع قراء القرآن على نطق الطاء بصوت واحد ، وهو بهذا النطق مجهور على وفق ضابط القدماء للجهر ، لان النَفَس لايجرى معه فاذا ذهب منه الاطباق بقي الجهر . والمجهور غير المطبق من مخرج الطاء هو الدال . فلاجرم كنا اميل الى القول بثبات صوت الطاء ، مع ما قدمناه من ضرورة النظر الى صوت الهمزة والقاف والطاء على انها تمثل مشكلا واحدا لايتجزأ ، زد على ذلك أن الصوت الذي يراه صوت الطاء القديمة ، وهو الضاد المصرية ، يجرى على السنة كثير من العرب اليوم في مصر والمغرب

(٨٢) الكتاب ٢/٤٠٤ ، ٤٠٥ .

تعبيرا عن الضاد القديمة ، وليس من السهل ايجاد مسوغ صوتي ، لتحول هؤلاء عن هذا الصوت حينما كان يعبّر به عن الطاء وعودتهم اليه ليعبّروا به عن صوت الضاد ، واستحداثهم صوتا آخر للطاء ، أي ان المتكلم كان يعبّر عن الحرف الاول في « طالب » بصوت خاص ، هو الضاد المصرية على رأي « د . ابراهيم أنيس » ، ويعبّر عن الحرف الاول في ضرب بصوت لم يبق له وجود في ألسنتنا،فما الذي جعل المتكلم ينقل صوت الطاء ليعبّر به عن الضاد ، ثم يستحدث صوتا جديدا للطاء ؟ لقد كان المعقول أن يقال ان صوت الطاء بقي على حاله ، واستحدث للضاد صوت آخر لصعوبته . وهذا الذي كان على مانراه ، حيث تحول صوت الضاد القديم الى دال مفخمة (الضاد المصرية) عند قوم من العرب ، والى ظاء عند آخرين .

ان التسليم برأي « د . ابراهيم أنيس » يدعو الى القول بأن العرب هجروا هذا الصوت لالعلة ، واستعملوا مكانه التاء المطبقة ، ثم عاد بعضهم الى الصوت نفسه ليعبر به عن صوت آخر ، وهو أمر يخالف سنن اللغات في التحول الصوتي يقول « فندريس » ، وهو يتكلم على تغير الاصوات اللغوية : « ان التغير مطلق .

ومعنى ذلك أنه يتحقق في صورة تامة لامردّ منها ، فليست المسألة خلقا اختياريا يضيف الى النظام عنصرا جديدا ، بل انها مسألة تحوّل في عنصر موجود ، هذا التحول يفترض أن الطفل قد عجز عن تكرار الصوت المسموع تكرارا مضبوطا ، بل انه لمما يلفت النظر أن الصوت الذي استبدل به غيره يصير اشق الاصوات الغريبة على النظام وأعسرها على من يريد النطق به » (٨٣) . وكلام « فندريس » على عسر النطق بالصوت المجهور يجد تصديقه

(٨٣) اللغـة ، ص ٦٥ .

الواضح في محاولة أى عربي نطق الضاد الفصيحة اليوم كما وصفها العلماء في كتب العربية .

قد يحتج لرأى « د . ابراهيم أنيس » بأنه يقويه ان الاصوات التي سميت لثويّة ، وهي : الثاء ، والذال ، والظاء ، قد رجع اللسان في النطق بها الى الوراء ، فصارت نطعية في بعض اللهجات العربية الحديثة . كما نجد ذلك في اكثر مدن المغرب غير الشمالية ، فصارت الثاء تاء ، والذال دالا ، أى ان اللثوى المهموس آل الى نطعي مهموس والمجهور الى مجهور . فالمتوقع أن يؤول المطبق المجهور اللثوي الى مطبق مجهور نطعي ، مثل أخويه . وقد آل صوت الظاء الى دال مفخمة (ضاد مصرية) مما يوحي بأن هذا الصوت هو صوت الطاء القديمة ، لانه الحرف النطعي المطبق الذي وصف بأنه مجهور . الا ان هذا الاحتجاج على قوته يضعفه مابين الضاد والظاء من تعاور قديم وتداخل مما يرجح تحوّل الظاء الى ضاد فصيحة اولا ثم الى دال مفخمة (ضاد مصرية) ، كما تحولت الالفاظ التي بالضاد القديمة الى الضاد المصرية . وكذلك يضعفه ماأوردناه ونورده من ادلة نفي تحوّل صوت الطاء القديمة . فالكلام على حقيقة الطاء مرتبط كما قدمنا بالكلام على حقيقة الهمزة والقاف لان مشكل الثلاثة واحد هو صفة الجهر والهمس بين القدماء والمحدثين فاذا اسعفتنا النصوص بتقرير حقيقة القاف مع ماقدمناه من الاجماع اليوم على حقيقة الهمزة ، كان في ذلك الدليل على حقيقة الطاء . وقد وجدنا من النصوص ما يؤيد ثبات صوت القاف على مانطقه اليوم . فمن ذلك ماأوردناه عن سيبويه من تجربة نطق القاف مع تجافي الحنكين ، ومنه مانجده من اغفال القدماء الكلام على وجود قاف مستحسنة أو غير مستحسنة في لغة العرب . فسيبويه تكلم على هذه الحروف ، ولم يذكر شيئا عن القاف . وكذلك فعل المبرد (٨٤) .

(٨٤) انظر الكتاب ٢/٤٠٤ ، والمقتضب للمبرد ، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة ط المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة ١٣٨٥هـ ، ١/١٩٤ .

وفي كلام نقله ابن فارس عن ابن دريد مايشير الى قاف تميمية حيث قال :

« . . . ابن دريد يقول . . . فأما بنو تميم فانهم يلحقون القاف بالكاف ، (٨٥) حتى تغلظ جـــدا ، فيقولون : القيـــوم ، فتكون بين الـــكاف والقاف ، وهذه لغة تميم ، قال الشاعر :

ولا اگول لگدر الـــگوم گد نضجت

ولا اگول لباب الدار مگفول (٨٦)

ونحن لو نطقنا الثلاثة الاصوات : ق ، گ ، ک ، لوجدنا القاف أعمق الثلاثة ، يليها صوت (گ) ، أو الكاف المجهورة ، فالكاف . وهما وإن كانا من مخرج واحد الا ان صوت الجهر يجعل الناطق يحس أن المجهور أعمق ، لاهتزاز الوترين ، فتكون الكاف المجهورة بين القاف والكاف ، وهي قاف اكثر العراقيين اليوم في لهجتهم العامية ، ويقوى كون القاف التي ننطق بها اليوم هي القاف القديمة ، وليست القديمة كافا مجهورة وصف سيبويه مخارج الحروف ، وذلك أنه جعل الحروف التي من مخرج واحد مضمومة بعضها الى بعض ، والمختلفة المخرج منفردة . وقد أفرد القاف عن الكاف ، فلو كانت القاف كافاً مهجورة ، لا وردهما في موضع واحد ، وهذا تفصيل ذلك ، قال :

« . . . فللحلق منها ثلاثة ، فأقصاها مخرجا الهمزة ؛ والهـــاء ؛ والالف . ومن اوسط الحلق مخرج العين والحاء ، وأدناها مخرجا من الفم الغين والخاء ، ومن اقصى اللسان وما فوقه من الحنك الاعلى مخرج القاف ، ومن اسفل من

---

(٨٥) في المطبوع : باللهاة ، وهو خطأ ، والتصحيح من «جمهرة اللغة» لابن دريد، ط حيدرآباد : الدكن ، ١٣٤٤هـ ، ١/٥ .

(٨٦) الصاحبي ، ص ٥٤ .

موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الاعلى مخرج الكاف ، ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الاعلى مخرج الجيم والشين والياء . . . » (٨٧) . فالهمزة من الوترين بانطباقهما ، والهاء منهما باقترابهما حتى يحدث الهواء المار بينهما خفيفا ، لايهتز له الوتران ، والالف هواء يهتز له الوتران ، ثم الحاء والعين وهما حرف واحد بصفتين . فاذا كان مهموسا فهو الحاء ، واذا اهتز معه الوتران صار عينا ، ومثلهما الخاء والغين ، ومثل ذلك الجيم والياء والشين ، فهي تختلف في الصفات ، فالجيم شديدة مجهورة ، والياء رخوة مهموسة مع مافيها من التفشي ، ومثل ذلك الظاء والذال والثاء . . الخ ، وقد جمع كل ذلك في مواضعه . ويلاحظ انه جعل الكلام على القاف والكاف منفصلا ، مما يدل على أنهما لم تكونا عنده مثل الحاء والعين أو الخاء والغين ، مما يبعد احتمال كون القاف الفصيحة كافا مجهورة ، بل ان ابن الجزرى يحذر من الاتيان بالقاف التي كالكاف الصمّاء ، ويعني الكاف المجهورة ، قال : « والقاف فليتحرز على توفيتها حقها كاملا ، وليحتفظ مما يأتي به بعض الاعراب وبعض المغاربة في اذهاب صفة الاستعلاء منها حتى تصير كالكاف الصمّاء . . . والكاف فليعتن بما فيها من الشدة والهمس ، لئلا يذهب بها الى الكاف الصمّاء الثابتة في بعض لغات العجم ، فان ذلك الكاف غير جائزة في لغة العرب » (٨٨) . وهكذا اذا ثبت أن صوت القاف لم يدخله تغيير مثل الهمزة ، وقد وصف بالجهر ، وهو اليوم مهموس على ما يراه المحدثون ، فلابدّ أن تكون الطاء مثلهما مادام الضابط مختلفا .

وقد اشار « د . تمام حسان » الى طاء اطلق عليها الطاء المهموزة (كالتي تنطق في بعض لهجات « الصعيد » ، ومعنى كون الطاء مهموزة هنا أنها صحبها اقفال الاوتار الصوتية حين النطق ، فأصبح عنصر الهمز جزءا لايتجزأ

(٨٧) الكتاب ٢/٤٠٥ .
(٨٨) النشر في القراءات العشر ١/٢٢١ .

من نطقها ، هذه الطاء مهموسة قطعا . لان اقفال الاوتار الصوتية لايسمح بوجود الجهر ، ويرجح عندى أن الطاء العربية الفصحى القديمة التي وصفها القراء كانت في صوتها وفي نطقها بهذا الوصف . ثم لغرابة صوتها على السمع أخطأ النحاة والقراء فجعلوها مجهورة في دراستهم ، وجعلوا الدال مقابلا مرققا لها » (٨٩) .

وهذا الذي ذكره « د . تمام » اقرب الى القول بأن الطاء كانت دالا مفخمة (ضادا مصرية) ، ثم انتقل الصوت منها الى الضاد الفصيحة . واقفال الوترين الصوتيين يحدث في الهمز ايضا كما ذكر . وقد عد علماء العربية الهمزة من الحروف المجهورة، وذلك بناء على ضابطهم في عدم جرى النَّفَس بالصوت ، ويقوى ذلك أن الطاء من حروف القلقلة وهي (قطب جد) ، وهي جميعا تشترك في صفتي الجهر والشدة . وقد اضاف اليها بعضهم كما نقل « د . تمام » الهمزة ، لما فيها من الجهر والشدة ، وينبغي أن ينظر الى مصطلح الجهر من خلال الضابط الذي وضعه علماء العربية ، وليس من خلال الضابط الذي وضعه المحدثون كي نتمكن من تفهم أحكامهم التي ذكروها .

اما الضاد ، فقد ذكر علماء العربية صفتها وبينوا مخرجها (٩٠) بصورة تؤكد اضمحلالها من اللسان العربي اليوم فمن اول حافة اللسان وما يليها من الاضراس مخرج الضاد ، الا انك ان شئت تكلفتها من الجانب الايمن وان شئت من الجانب الايسر ، وهي حرف رخو مجهور مطبق ، والضاد التي ننطقها في العراق اليوم وفي عدد من البلاد العربية هي ظاء . أما المصريون وبعض اهل البلاد العربية الاخرى ، فالضاد عندهم دال مفخمة أو هي حرف

---

(٨٩) مناهج البحث في اللغة ، ١٢٢ ـ ١٢٣ .
(٩٠) انظر الكتاب ٤٠٥/٢ ، والمقتضب ١٩٣/١ ، وسر الصناعة ٥٢/١ ، ٦٩ ، ٧٠ .

من مخرج الدال مجهور مطبق شديد ، فهو يخالف الضاد القديمة في مخرجها وفي صفة الشدة التي فيها ، ومع ذلك فهي الصوت الذي نرى الاصطلاح عليه لنطق الضاد اليوم مادام الرجوع الى الضاد الفصيحة ليس ممكنا ، اذ نأمن بنطقه دالا مفخمة اللبس الذي نقع فيه عند نطقه ظاء ، كما في نطق : ضنّ وظنّ ، وضلّ وظلّ ، وما اشبه ذلك مما نرجىء البحث فيه الى موضعه من الكلام على البعد الواقعي في دراسة خاصة للتطور الصوتي في اللهجات العربية .

واما الظاء ونطقها زايا مطبقة ، فان ماقاله « برجستراسير » فيها لايتناول النطق الفصيح بل هو خاص باللهجات العامية ، وذلك ان نطقها واحد في الفصيح وعلى ألسنة قراء القرآن في البلاد العربية جميعها ، أما نطقها زايا مطبقة ، فلا نكاد نجد له أي اثر في الفصيح حتى عند اولئك الذين يشيع هذا الصوت على ألسنتهم في لهجاتهم المحلية .

وأما الجيم ، فنطقها الفصيح قائم عندنا في العراق وفي عدد من البلاد العربية ، وهو على ماوصفه علماء العربية حرف شجرى مجهور شديد ، الا ان الصوت بدأ يدخله التغيير في النطق الفصيح عند كثير من ابناء العرب حيث اشرب صوت الشين ، وهما من مخرج واحد ، مما يستدعي التنبه الى نطقه والمران علـى اللفظ الصحيح والتزامـه . وحديث الجيم كحديث الظاء التي تنطق زايا مطبقة يكون الكلام عليه في البعد الواقعي في غير هذا المقام .

والذي نخلص اليه مما تقدم ان الذي دخله التغيير في اصوات العربية في الفصيـح على سبيل القطع هو صوت الضاد القديم . وامـا ما سوى ذلك ، ففيه متّسع للبحث ، والراجح انه غير المتحول ، وان كانت ادلة التحول في بعضه قوية ، الاّ ان الادلة المعارضة أقوى ، ونرجو أن نكون قد أوردنا في تقرير ثبات هذه الاصوات مافيه مقنع ، والله سبحانه أعلم بالصواب .

ظاهرة تخطئة النحويين للفصحاء والقراء

عبد الجبار علوان النايلة

كلية الآداب ـ جامعة الموصل

بسم الله الرحمن الرحيم . وبه نستعين

يلاحظ دارس النحو ظاهرة تتمثل في قيام قسم من النحويين البصريين أو الذين ساروا على مذهبهم وجاءوا بعدهم من نحاة الأقاليم الاخرى ، بتخطئة عرب فصحاء في لغتهم أو قراء مشهود لهم بالفضل والدراية ، قرأوا بقراءات صحيحة سنداً ورواية ، وذلك عن طريق قيامهم باخضاع اقوال اولئك العرب وقراءات اولئك القراء لاصول وضعت في البدء استناداً الى كلام العرب أنفسهم . وقد دعاني هذا الى دراسة هذه الظاهرة وتبيان اسبابها والدوافع التي دفعت النحاة الى سلوك هذه السبيل بهدف تنقيته من الشوائب . والله اسأل ان يوفقنا جميعاً لخدمة لغتنا العربية الشريفة .

من المتفق عليه بين دارسي النحو المحدثين انه لايجوز لأي نحوي يريد أن يضع نحو لغة ما أن يتدخل فيها ، أو يلزم أهلها باستعمال مالم تعتده ألسنتهم من تعبيرات الكلام واساليبه ، وما وظيفة النحوي إلا رصد كلام ابناء تلك اللغة وتسجيل مايدور على السنتهم من كلمات وعبارات ووصفها ، ثم وضع قواعدها بعد استقراء تام للغة واستقصاء عميق لها ، فما القواعد النحوية الا مرآة تعكس خصائص اللغة واساليبها وعباراتها ، وقد وضع النحو العربي في أول الأمر خدمة للغة العربية وحفظاً لها من الاختلال ، بعد ان ظهر اللحن وفشا ووقع الزيغ في كلام العرب ، ثم كثر اللحن حتى قيل إنه وقع

في تلاوة القرآن الكريم ، كتاب العرب الاول ودستورهم ومعتمدهم في امور الدين والدنيا، وذلك بسبب اختلاطهم بالأعاجم بعد الفتوحات العربية الاسلامية في المدن التي انشئت بُعيَيْدَ الفتح كالبصرة – مثلاً – فقد كانت غاية واضعي النحو الأولين حفظ اللغة العربية وصيانتها ، فوضعوا النحو وسيلة لحفظ الكلام العربي من اللحن والخطأ . غير ان هذا العلم الذي كان في البدء وسيلة لخدمة اللغة ، صار بمرور السنين وبتأثر النحاة الذين ظهروا في تاريخه بعلوم غريبة عن طبيعته بعيدة عن غايته عبئاً على اللغة ذلك ان قسماً من النحويين كانوا من المتكلمين الدارسين الفلسفة والمنطق أو من الاصوليين، فأثر ذلك في تفكيرهم وفي ظروف معالجتهم المسائل النحوية ، فابتعد النحو قليلاً عن الغاية التي وضع من أجلها ، اذ أصبح قيداً للغة يتحكم فيها وفي ألسنة متكلميها من العرب الخلص ، فيخطئ النحويون من يأتي بقول مخالفاً فيه أقيستهم وقواعدهم .

بعد ان قطع النحو مرحلة من تاريخه ظهر فيه اتجاهان لعلمائه ، اتجاه يؤثر السماع عن العرب ويكتفي به ويعده اصلاً مهماً من اصول النحو ، ويمثل هذا الاتجاه ابو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) ويونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ) ، فقد رأى أصحاب هذا الاتجاه أن ما وصل الى العلماء من نصوص لم تكن وافرة بحيث يمكنهم الاستناد اليها والحكم بالخطأ على ما جاء مخالفاً ، فلعلّ النص المخالف مما فات العلماء معرفته فجهلوه ، واتجاه آخر يؤثر القياس والتعليل ويتعمق فيها ويخطيء من يخالفها ، ويمثله عبد الله ابن أبي اسحاق الحضرمي (ت ١١٧ هـ) ، وتلميذه عيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩ هـ) . وبمرور الزمن ساد مذهب القياسيين المعالين ؛ وذلك بظهور الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) ، فقد كان الخليل قيّاساً يجيد القياس ويمد اطنابه ، وفيه يقول ابو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) : « كان،

سيد قومه ، وكاشف قناع القياس في علمه » (١) ، فقد استنبط من علم النحو مالم يسبق اليه ، فقد كان غاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس (٢) وهكذا جعل نحاة البصرة ومن تأثّر بمذهبهم النحوي للقياس شأناً كبيراً — مقتدين بالخليل — في الأحكام المتعلقة بأمور اللغة . وها هو ذا ابو علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) يقول : « لأن أخطئ في خمسين مسألة مما بابه الرواية ، أحب إليّ من أن اخطئ في مسألة واحدة قياسية » (٣) ، ووجدنا من النحويين من يقول : (٤) « اذا بطل أن يكون النحو رواية ونقلاً وجب ان يكون قياساً وعقلاً » .

ولست ممن يدعو الى إلغاء القياس جملة ، لأن القياس وسيلة من وسائل نحو اللغة وتطورها اذ كيف يتسنى لنا أن نسمع كل كلمة قالتها العرب ؟ « فما قيس على كلام العرب — كما يقول ابو عثمان المازني (ت ٢٤٩ هـ) — فهو من كلامهم » (٥) ، لأنا لم نسمع — كما يقول أبو القاسم الزجاجي (ت /٣٣٧ هـ) — نحن ولا غيرنا كل كلامها منها لفظاً ، وانما سمعنا بعضاً فقسنا عليه نظيره . مثال ذلك أنّا لما سمعنا قام زيد فهو قائم ، وركب فهو راكب عرفنا اسم الفاعل فقلنا ذهب فهو ذاهب . . . » . لكنّ الإغراق في القياس ، والقياس على ما لم يسمع البتة ، والإفراط في طلب العلّة القياسية (٦) هو المضر باللغة ، وهو الذي قام به النحويون البصريون وبذلك أهملوا

---

(١) ابو الفتح بن جني ، الخصائص ١/٣٦١ .
(٢) ابن النديم ، الفهرست ص ٧٠ .
(٣) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ٧/٢٥٤ .
(٤) هو ابو البركات الانباري في (لمع الادلة) ص ٩٩ .
(٥) جلال الدين السيوطي ، المزهر ١/١١٧ .
(٦) العلة القياسية : أن يقال لمن قال : لم نصبت زيداً بـ (انّ) في قوله : ان زيداً قائمٌ ؟ ولمَ وجب أن تنصب الاسم ؟ فما الجواب في ذلك ان يقول : لأنها واخواتها ضارعت الفعل المتعدي الى مفعول فحملت عليه فعملت

=

أقوالاً فصيحة صدرت عن العرب ، لأنها لم تخضع للقياس ، وخطأوا أصحابها ، وربما حكوا أشياء لم تصدرعن العرب طرداً للقياس . قال سيبويه (ت ١٨٨ هـ) (٧) : « هذا باب استكرهه النحويون وهو قبيح ، فوضعوا الكلام فيه على غير ماوضعت العرب » . وقال مثل ذلك في « باب اضمار المفعولين اللذين تعدّى اليهما فعل الفاعل » (٨) . وقد رفض سيبويه قياس النحويين هذا لأن السماع وهو اصل اهم من القياس لايؤيده ، بدليل قوله : « وأما قول النحويين قد اعطاهوك واعطاهوني فانما هو شيء قاسوه لم تكلم به العرب ، فوضعوا الكلام في غير موضعه ، وقياس هذا لو تكلم به كان هيّناً » (٩) . وقال ابن خالويه (١٠) (ت ٣٧٠ هـ) : « النهار الذي هو ضد الليل العرب لاتجمعه وإنما جمعه النحويون قياساً لا سماعاً » ، وقد أوضح الطبرسي (١١) (ت ٥٤٨) هذا بقوله : « وانما جمعت الليلة ولم يجمع النهار ، لأن النهار بمنزلة المصدر كقوله : الضياء يقع على الكثير والقليل » . ومن ذلك أيضاً ماذكره ابن عقيل (ت ٧٦٩ هـ) بقوله : « ولم يسمع من لسان العرب حذف « كان » وتعويض « ما » عنها وابقاء اسمها وخبرها الا اذا كان اسمها ضمير مخاطب (اما انت برّاً فاقترب) كما مثّل به ابن مالك ، ولم يسمع مع ضمير المتكلّم ولامع الظاهر ، والقياس جوازها كما جاز مع المخاطب »(١٢) . أرأيت كيف اخذوا يقيسون من غير سماع ؟ مع

=

باعماله لما ضارعته ، فالمنصوب بها مشبه بالمفعول لفظاً ، والمرفوع بها مشبه بالفاعل لفظاً فهي تشبه من الأفعال ما قدم مفعوله على فاعله . الزجاجي ، الايضاح في علل النحو ص ٦٤ .

(٧) ١ / ١٦٧ .
(٨) الكتاب ينظر ١/٣٨٣
(٩) الكتاب ١/٣٨٣ .
(١٠) اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص ٩٧ .
(١١) مجمع البيان في تفسير القرآن ٢/٥٧ .
(١٢) شرح ابن عقيل ١/٢٢٨ .

أن اللغة لاتخضع دائماً للقياس ، وقد اقرّ هذا ابن جني اذ قال : « ومعاذ الله أن ندّعي ان جميع اللغة تستدرك بالأدلة قياساً » (١٣) ، غير أن النحويين لم يروا ذلك فقياس العلة كان سبيلهم الى استيعاب مسائل اللغة واستقصائها ، ومن يقرأ « باب في امتناع العرب من الكلام بما يجوز في القياس » (١٤) ، يجد ابن جني قد أتى بأمثلة كثيرة مؤيداً وجهة نظره بأن العرب لاتسير دائماً في كلامها على وفق قياس النحويين الذي وضعوه للغة ، من ذلك مثلاً ماورد مطرداً في الاستعمال شاذاً عن القياس قول العرب : الحَوَكَةُ والخَوَنَةُ ، فهذا — كما يقول ابن جني — « من الشذوذ عن القياس على ماترى ولكنه في الاستعمال جارٍ على ألسنة العرب الفصحاء ، ولكن لايقاس عليه ، فلا يقال على هذا في جمع قائم : قَوَمَة ، ولا في صائم : صَوَمَة » (١٥) . وقال ايضاً : « ومما رفضته العرب استعمالاً — وان كان مسوغاً قياساً — وذر ، وودع ، استغني عنها بـ (ترك) (١٦) ، ومن ذلك امتناعهم من استعمال استحوذ معتلاً وان كان القياس داعياً الى ذلك ومجوزاً له ، لكنّ العرب اجمعوا على التصحيح ، ليكون دليلاً على اصول ماغُيِّر من نحوه ، كاستقام واستعان فلم يقولوا استحاذ (١٧) ، وقال الفارابي اللغوي (١٨) (ت ٣٥٠ هـ) : « يقال : أَحزَنه يَحزُنه ؛ قال تعالى : (ولا يَحزُنك) (١٩) ، وهذا شاذ ، وكان القياس : يُحزِنه ولم يسمع ، ويقال : أحمّه الله من الحمّى فهو محموم والقياس : مُحَمّ » .

---

(١٣) الخصائص ٢/٤٣ .
(١٤) ينظر الخصائص ١/٣٩١ — ٣٩٩ .
(١٥) الخصائص ١/١٢٣ .
(١٦) و (١٧) الخصائص ١/٣٩٢ و ٣٩٤ .
(١٨) المزهر ١/٢٣٠ .
(١٩) سورة ال عمران من الآية ١٧٦ .

ومما خالف القياس وسموه (شواذ الجمع) ماذكره سيبويه (٢٠) : « قالوا : اراهط في رَهـَط ، فجمعوا : فـَعَل على أفاعل ، والقياس يقتضي كونه جمع : أَفْعُل ، نحو : أرهـُط » . ومثل هذا كثير تجده مسطوراً في ثنايا الكتب النحوية واللغوية ، وفيما ذكرناه دليل واضح على ان اللغة لاتخضع دائماً للقياس .

غير أن فريقاً من النحويين كانوا لا يقرّون تطوّر اللغة ونظروا إلى أبنيتها ومفرداتها انها في حالة كمال تام ، فلم يدركوا ان ماخالف القياس وامتنع عن قبول التأويل ودعوه بـ (الشواذ) لم يكن الا أثراً من آثار التطـّور ، أو بقايا من لغة عفا رسمها واندثرت معالمها ، والذي لا يؤمن بتطور اللغة كان طبيعياً أن يقف متصلباً امام أساليب وتعبيرات تخالف قياسه واصوله ويحاول عدم قبولها وتخطئة أصحابها .

تخطىء النحويين طائفة من العرب

من امثلة ذلك مادعوه بـ (الجر على الجوار) . قال سيبويه (٢١) : « مما جرى نعتاً على غير وجه الكلام : هذا جحـُر ضبٍ خـَرِبٍ ، فالوجه الرفع وهو كلام اكثر العرب وأفصحهم في القياس ، قال الخليل : لايقولون إلا : هذان جحرا ضب خربان ، من قبل أن الضبّ واحد والجحر جحران ، وانما يغلطون اذا كان الآخر بعدّة الأولى وكان مذكراً مثله أو مؤنثاً . وقال : هذه جحرةُ ضبابٍ خربةٍ ، لأن الضباب مؤنثة ولأن الجحرة مؤنثة والعدة واحدة فغلطوا ، وتبع النحويون الخليل وسيبويه في تخطىء العرب في تعبيرهم هذا ، قال ابو البركات الانباري (٢٢) (ت ٥٧٥ هـ) : « وقولهم :

(٢٠) الكتاب ٢/١٩٩ .　　(٢١) الكتاب ١/٢١٧ .

(٢٢) الانصاف في مسائل الخلاف ٢/٦٢٥ وانظر قولا مشابهاً لهذا قالـه في اسرار العربيـة ص ١٣٤ .

« جحرُ ضبٍ خربٍ » محمول على الشذوذ الذي يقتصر فيه على السماع لقلّته ، ولايقاس عليه ، لأنّه ليس كل ما حكي عنهم [اي العرب] يقاس عليه » ، على أن ابن جني كان منصفاً فلم يذهب إلى تخطيء العرب ، وانما حاول تأويل النص لكي ينسجم مع القياس النحوي – والتأويل مركب وطيء يذلل النحويون به كل أمر صعب – : إذ قال : « فمما جاز خلاف الاجماع الواقع فيه منذ بديء هذا العلم والى آخر هذا الوقت ، مارأيته أنا في قولهم : هذا حجرُ ضبٍ خرَبٍ . فهذا يتناوله آخر عن تالٍ ، وتالٍ عن ماضٍ على أنه غلط من العرب لايختلفون فيه . . . وأما أنا فعندي أن في القرآن مثل هذا الموضع نيّفاً على ألف موضع . وذلك أنه على حذف المضاف لاغير . فاذا حملته على هذا الذي هو حشو الكلام من القرآن والشعر ساغ وسلس ، وشاع وقبل ، وتلخيص هذا أن أصله :

هذا جحرُ ضبٍ خرَبٍ جُحْرُهُ ؛ فيجري (خرب) وصفاً على (ضب) وان كان في الحقيقة للجحر . . . ثم حذف الجحر المضاف إلى الهاء ، واقيمت الهاء مقامه فارتفعت ؛ لأن المضاف كان مرفوعاً ، فلما ارتفعت استتر الضمير المرفوع في نفس (خرب) فجرى وصفاً على ضب – وان كان الخراب للجحر لا للضب – على تقدير حذف المضاف . . . » (٢٣) .

ونسب سيبويه الغلط إلى العرب في غير موضع من كتابه ، وان ادّعى بعض المحدثين انه أراد بالغلط التوهم (٢٤) ، وهذا لايدفع ان سيبويه خطأهم صراحة . من ذلك مثلاً قوله (٢٥) :

---

(٢٣) الخصائص ١/١٩٢ – ١٩٣ .

(٢٤) هو محمد عبدالخالق عضيمة في فهارس كتاب سيبويه ص ٤٣ .

(٢٥) الكتاب ١/٢٩٠ .

« واعلم أن ناساً من العرب يغلطون فيقولون : إنّهم أجمعونَ ذاهبونَ وانك وزيدٌ ذاهبـان » ، « وهـو بذلك يقرر ان توكيـد اسم إنّ والمعطوف عليه ينبغي أن يكونا جميعاً منصوبين لأنهما يتبعان منصوباً » (٢٦) ، غير ان العرب نطقت بخلاف ذلك . ومن ذلك ايضاً : « قوله ومن العرب من يقول : خمسة عشرك وهي لغة رديئة » (٢٧) ، وكذلك قال : « فأما قولهم (مصائب) فانه غلط منهم ، وذلك انهم توهموا أن مصيبة فعيلة وانما هي مفعلة » (٢٨) ، وقوله : « ومن العرب من يقول في ناب نويب فيجيء بالواو لأن هذه الألف مبدلة من الواو اكثر ، وهو غلط منهم » (٢٩) .

وقال الزمخشري (٣٠) (ت ٥٣٨ هـ) : « وقد حكى سيبويه عن قوم فصحاء : من ابنك بالفتح وحكى في : من الرجل بالكسر وهي قليلة خبيثة » ، ولست ادري كيف تكون لغتهم خبيثة وهم قوم فصحاء ؟ ! أما كان الأجدر أن يجعل كلامهم حجة ؟

ويظهر ان تخطيء العرب في لغتهم صار فيما بعد سهلاً على النحاة فيما اذا سمعوا شيئاً مخالفاً لأقيستهم وقواعدهم ، فقد عقد ابن جني في خصائصه (باباً في اغلاط العرب) (٣١) ، ولولا خوف الإطالة لذكرت امثلة مما أوردها هناك . وقال ابن خالويه في شرح الفصيح :

« إن الفرّاء كان يجيز كسر النون في شتّان تشبيهاً لهـا بسيّان وهو خطأ بالإجماع . فان قيل : الفراء ثقة ولعلّه سمعه . فالجواب : ان كان الفرّاء

---

(٢٦) المدارس النحوية ص ٨١ .

(٢٧) الكتاب ٢/٥١ .

(٢٨) الكتاب ٢/٣٦٧ .

(٢٩) الكتاب ٢/١٢٧ .

(٣٠) الزمخشري ، المفصل في علم العربية ص ٣٥٥ .

(٣١) ينظر الخصائص ٣/٢٧٣ ـ ٢٨٢ .

قاله قياساً فقد اخطأ القياس وان كان سمعه من عربي فان الغلط على ذلك العربي لأنه خالف سائر العرب وأتى بلغة غير مرغوب فيها » (٣٢) .

والحق ان جمهور الكوفيين وان لم يصدر عنهم قول بتخطيء العرب ، وكانوا يحترمون المسموع ويعدّلون أقيستهم وقواعدهم بمقتضاه ، إلا أن أبا زكرياء الفَرّاء (ت ٢٠٧ هـ) قام بتخطيء العرب والقُرّاء لتأثره بالاصول البصرية كثيراً ، ومن اقواله : « وربما غلطت العرب في الحرف اذا ضارعه آخر من الهمز فيهمزون غير المهموز » (٣٣) . وهو يعني قولهم في منارة منائر وفي مصيبة مصائب وسيأتي تخطيئه للقُرّاء .

إن القواعد يجب أن تساير واقع اللغة وتستخرج من كلام أهلها ، لا أن نحاول إخفاء اللغة لقواعد وضعناها بأنفسنا وقياس اخترعناه ، ولكن النحاة حاولوا ذلك بكل طاقتهم فلم يفلحوا إذ اعترض سبيلهم مالم يسمعوه او لم يحسبوا له حساباً في قواعدهم ، قال المبرّد (ت ٢٨٥ هـ) : « واعلم أن من العرب من يقول : اللهِ لأفعلَنَّ ، يريد الواو فيحذفها ، وليس هذا بجيّد في القياس ، ولا معروف باللغة ، ولا جائز عند كثير من النحويين وانما ذكرناه لأنه شيء مسموع » (٣٤) ، ومعنى قوله (مسموع) انه وارد عن العرب ، فعلام يهمل ؟ ألأنّه غير جيد في القياس ، ومتى كان القياس أهم من السماع ؟

إن للغة نظامها الذي تسير عليه ، ومنطقها الخاص بها ، فاللغة ظاهرة اجتماعية شأنها شأن أيّة ظاهرة في الوجود كالمأكل والملبس ونظام الحياة الاجتماعية ، ولهذا تخضع لظروف وعوامل معينة تتأثر بها ، كما أنها تتطو كما تتطور الكائنات الحية ؛ تولد وتنمو ثم تتوسع ، وتنشأ فيها كلمات

---

(٣٢) المزهر ٢/٥٠٤ .
(٣٣) معاني القرآن ١/٤٥٩ .
(٣٤) ابو العباس المبرد ، المقتضب ٢/٣٢٦ .

واستعمالات جديدة ، وتُهْجَر كلمات فتموت وتترك استعمالات واساليب ، كما يحدث في كلماتها تغيير وتحرير بالتدريج لا يفطن اليه الا على المدى الطويل ، وكان الواجب ألا يتسرع النحويون الى تخطئة من خالف القاعدة ، أو أتى بشيء خالف فيه الكثير الشائع ، بل يعللون كلام المخالف تعليلاً تاريخياً وصفياً ، ويقتنعون بوصف الظواهر اللغوية آخذين تطوّر اللغة في تقديراتهم .

تخطىء النحويين للقراء

دفع البصريين ومن سار على مذهبهم من نحاة الاقاليم الاخرى تمسكهم بالقياس النحوي ورغبتهم الشديدة في السير باللغة على وفق قواعد ثابتة وسنن مستقيمة لاتحيد عنها ، الى تَحكيمه في القراءات القرآنية أيضاً ؛ إذ اخضعوها لأقيستهم وقواعدهم ، فأخذوا منها ما يتفق وتلك الاصول والقواعد وجعلوا منها حجة ، ولو كانت معدودة في القراءات الشاذة (٣٥) ونبذوا منها مالا يتفق مع اصولهم ولو كانت قراءة سبعية ، فخطأوا قراءات لايرقى الشك الى صحتها رواية واداء ، قرأ بها قراء كبار ممن اشتهر بالضبط والاتقان والصـــدق والدراية كالقراء السبعة ، فخطأوا عدة قراءات (٣٦) لحمزة الزيات (ت ١٥٦ هـ) ، اذكر منها قراءته : (واتّقوا الله الذي تساءلونَ به والارحامِ) (٣٧) بجر الارحام عطفاً على الضمير المجرور بالباء ، حيث خالف ماقرروه من عدم جواز العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار ، وجوزوه في ضرورة الشعر .

---

(٣٥) ينظر ابو البركات الانباري، الانصاف في مسائل الخلاف ١/١٠٨ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢/٥٦٣ ، ٦٥٣ حيث اعتمد البصريون على القراءات الشاذة في تدعيم اقيستهم ، ورد مذهب الكوفيين .

(٣٦) ينظر علي النوري الصفاقسي ، غيث النفع في القراءات السبع ص ١٨٥ ، والزمخشري ، الكشاف ٢/٣٠٠ .

(٣٧) سورة النساء من الآية ١ .

وهي قراءة لم ينفرد بها حمزة وحده فحسب بل قرأ بها جمع من الصحابة والتابعين كعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس وابراهيم النخعي والأعمش والحسن البصري وقتادة السدوسي ومجاهد (٣٨) . وعلى الرغم من ذلك ضعّفها اكثر النحويين وخطأوا قارئها (٣٩) . اما المبرد فقد حرّم القراءة بها (٤٠) .

وكان الحق يقضي على النحويين بأن لايتزمتوا فيقفوا متصلبين ازاء القراءات محكمين قياسهم فيها ، بل يعدّلوا شيئاً من اصولهم ومن أقيستهم الضيّقة لكي تستوعب تلك القراءات المتصلة اتصالاً وثيقاً بلهجات العرب والمنقولة بسند صحيح عن رسول الله عليه الصلاة والسلام . وبذلك يكون نحوهم اكثر تمثيلاً لواقع اللغة .

وخطأ النحويون نافع بن ابي نعيم (١٩٩ هـ) مقرئ المدينة المنوّرة في قراءته (معايش) بهمز الياء (٤١) ، حيث قرأ قوله تعالى : (ولقد مكنّاكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش) (٤٢) . قال المازني (٤٣) : « فأما قراءة من قرأ من اهل المدينة (معايش) فهمز فانه غلط ، وانما هذه القراءة منسوبة الى نافع ، ولم يكن له علم بالعربية » ، وتبعه المبرد فقال (٤٤) : « من قرأ (معايش) فهمز فانه غلط ، وانما هذه القراءة منسوبة الى نافع ،

---

(٣٨) تفسير الرازي ١٩٣/٣ ، شرح الأشموني ٤٣٠/٢ .
(٣٩) ينظر ابن يعيش ، شرح المفصل ٧٨/٣ ، والحريري ، درة الغواص ص ٣٧ ، وتفسير الطبري ٥١٩/٧ ، وتفسير القرطبي ٧/٥ .
(٤٠) شرح المفصل ٧٨/٣ وينظر المبرد ، الكامل ٣٩/٣ .
(٤١) غيث النفع في القراءات السبع ص ١٣١ .
(٤٢) سورة الأعراف من الآية ١٠ .
(٤٣) المنصف : شرح تصريف المازني ٣٠٧/١ .
(٤٤) المقتضب ١٢٣/١ .

ولم يكن له علم بالعربية » . مع ان نافعاً لم ينفرد بهذه القراءة ، وانما قرأ بها « الأعرج وزيد بن علي والأعمش وخارجة عن نافع ، وابن عامر ، وهؤلاء ثقات لايقرأون الا بما سمعوا » (٤٥) ، وهم من الفصاحة والضبط والثقة والاتقان والحفظ بمكان .

وكذلك لحّن النحويون عبدالله بن عامر اليحصبي (ت ١١٨ هـ) في قراءته : (وكذلك زُيِّنَ لكثير من المشركين قتلُ اولادَهم شركائِهم) (٤٦) بنصب دال (اولادهم) وخفض همزة (شركائهم) واضافة (قتل) وهو فاعل في المعنى (٤٧) . فقد خالف في قراءته المستندة الى السند المتين ، والرواية الصحيحة ماقرره النحويون من عدم جواز الفصل بين المضاف والمضاف اليه إلا في ضرورة الشعر ، حيث جوّزوا الفصل بالظرف وحرف الجر (٤٨) . قال ابو علي الفارسي (٤٩) : « هذا قبيح في الاستعمال ، ولو عدل عنها [يعني ابن عامر] كان اولى ، لأنهم لم يجيزوا الفصلَ بين المضاف والمضاف اليه بالظرف في الكلام مع اتساعهم في الظرف ؛ وانّما أجازوه في الشعر » . وتبعه تلميذه ابن جني حيث جعل الفصل بالظرف وحرف الجر قبيحاً وان كثر في الشعر عند الضرورة (٥٠) .

ومضى النحويون يخطئون هذا القارئ الكبير في قراءته السبعية عبر

---

(٤٥) ابو حيان ، البحر المحيط ٤/٢٧١ .
(٤٦) سورة الانعام من الآية ١٣٧ .
(٤٧) ابو عمرو الداني ، التيسير في القراءات السبع ص ١٠٧ ، ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ص ٢٦٧ .
(٤٨) ينظر الكتاب ١/٨٩ — ٩٢ ، ٢/٣٤٧ ، والمقتضب ٤/٣٨٦ وشرح السيرافي على كتاب سيبويه ١/٣٨٣ .
(٤٩) البحر المحيط ٤/٢٣٠ .
(٥٠) الخصائص ٢/٣٩٠ .

العصور ، فقد حمل الزمخشري على هذه القراءة حملة شديدة ، ثم ادّعى أن الذي حمل ابن عامر على قراءته انه رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء (٥١) . ومعنى قوله انه كان لايرى القراءة سنّة متّبعة يأخذ بها الأول عن الآخر ، وانما هي بالرأي والهوى ، ويظهر ان كلام النحويين يوحي بعدم تسليمهم بتواتر القراءات السبع ، وقد صرح بهذا رضي الدين الاسترابادي (ت ٦٨٦ هـ) حيث قال (٥٢) : « قراءة ابن عامر ليست بذاك ، ولانسلم تواتر القراءات السبع » . وقال احمد بن حمدان النحوي (٥٣) (ت ٧٨٣ هـ) : « قراءة ابن عامر لاتجوز في العربية ، وهي زلّة عالم ، واذا زلّ العالم لم يجز اتباعه » .

اما الفراء الذي قال عنه عبدالقادر البغدادي (٥٤) (ت ١٠٩٢ هـ): « هو الذي فتح ابتداء القدح على قراءة ابن عامر » فقد قال : « وليس قول من قال (مُخْلِفَ وعْدَهُ رُسُلِهِ) ولا (زُيِّن لكثير من المشركين قتلُ اولادَهم شركائهم) بشيء (٥٥) . ورفض قول من جوّز هذه القراءة مستنداً الى شاهد نحوي بقوله : « وليس قول من قال : إنما ارادوا مثل قول الشاعر :

فزججتها متمكّناً زجّ القلوص أبي مزادة

(٥١) ينظر الكشاف ٢/٤٣ .

(٥٢) شرح الرضي على الكافية ١/٢٧١ .

(٥٣) تفسير القرطبي ٧/٩٢ . هو احمد بن حمدان بن احمد الأذرعي ، فقيه شافعي . ولد بأذرعات الشام وتفقه بالقاهرة وتوفي في حلب (الأعلام ١/١١٧) .

(٥٤) خزانة الأدب ٢/٢٥٤ .

(٥٥) معاني القرآن ٢/٨١ .

بشيء وهذا ماكان يقوله نحويو أهل الحجاز ، ولم نجد مثله في العربية (٥٦) . وقد خطأ ذلك وجعل صوابه : زج القلوص ابو مزادة (٥٧)

إن الفراء الكوفي وان كان قد شارك البصريين في تخطيء العرب والقراء لتأثره باصولهم الا أن جمهور الكوفيين لم يردّوا قراءة او يخطئوا قارئاً ، فقد قبلوا جميع القراءات سبعية كانت او غير سبعية واعتدّوا بها واتخذوا منها حجّة في قواعدهم النحوية .

لايحق لأي نحوي تخطيء أية قراءة لم توافق قياسه ، فالقارئ عندما يقرأ بقراءة مخالفة للقياس النحوي لم يأت بها من عند نفسه ، وإنما يتلقّاها تلقّياً وتلقيناً متصلاً سندها برسول الله عليه الصلاة والسلام ، فالقراءة سنّة متّبعة يأخذها الأول عن الآخر « وليس من شك في أن القراءات تمثل منهجاً في النقل لايصل الى وثاقته علم آخر مهما يكن حتى منهج حديث » (٥٨) وذلك لما اشتهر به القُرّاء من ضبط في التلقّي والعرض ، وعناية فائقة في الأداء ، فلم يكتفوا بالسماع طريقاً لأخذ القراءة فحسب وانما اشترطوا تلقّيها عن الشيوخ وعرضها عليهم ، وبذا يتمّ ضبطها على أحسن الوجوه واكملها ، فربّ سامع حرف لا يستطيع تأدية نطقه على الوجه الصحيح ولهذا قالوا : « إنّ التحديث بالقراءة يفيد ثبوتها ولايبيح القراءة بها ، بخلاف القراءة فانه يفيد الثبوت واباحة القراءة بها ، ولهذا نجدهم يجمعون بين التحديث والقراءة ، فيقول من تعرّض منهم لاثبات القراءة : حدّثني فلان بقراءته لفلان ، ثم يقول : وقرأت بها القرآن كلّه على فلان » (٥٩) . وفي

(٥٦) معاني القرآن ٣٥٨/٢ .
(٥٧) معاني القرآن ٨٢/٢ .
(٥٨) د. عبدة الراجحي ، اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ١ .
(٥٩) غيث النفع ص ٣١٥ .

هذا مافيه من حرص زائد على النقل الصحيح واحكام للضبط ما بعده من إحكام ، كما أن القراءات القرآنية مرآة صادقة لما كانت عليه ألسنة العرب قبل الاسلام ، فلا يستطيع اي باحث أن يتعرّض للهجات العربية دون الاستعانة بالقراءات ، يضاف الى ذلك أن أيّة قراءة جعلها النحاة خطأ وجد لها وجه سائغ في العربية ، وليس أدل على ذلك من قراءة نافع (معايش) بهمز الياء ، تلك القراءة التي مرّ بنا تخطيء النحويين من قرأ بها جوّزها آخرون ، فقد حكى ابو عمر الجرمي (ت ٢٢٥ هـ) - من البصريين - جوازها (٦٠) ، وجوّزها الفراء - من الكوفيين - ووجّهها عربيةً « بقوله وربما همزت العرب هذا وشبهه ، يتوهّمون انها فعيلة لشبهها بوزنها في اللفظ وعدد الحروف ، وقد همزت العرب المصائب وواحدتها مصيبة شبهت بفعيلة لكثرتها في الكلام » (٦١) . وقد ذكر ابن خالويه ان « من العرب من يهمز مالا يهمز تشبيهاً بما يهمز » (٦٢)ومما همزته العرب وليس أصله الهمز : قولهـم استلأمت الحجر ، وانما هو من السِّلام ، وهي الحجارة ، وكان الاصل : استلمت . وقالوا : حلأت السويق ، وانما هو من الحلاوة ، وقالوا : لبأت بالحجّ وأصله : لبّيت (٦٣) . وقد فصّل ابن جني القول في هذا اذ قال : « من الهمز ماجاء من غير أصل له ولا ابدال دعا قياس اليه وهو كثير . منه قولهم : مصائب ، وهذا ممالا ينبغي همزه في وجه من القياس ، وذلك أن مصيبة مفعلة ، واصلها مصوبة ، فعينها كما ترى متحركة في الأصل فاذا احتيج الى حركتها في الجمع حصلت الحركة ، وقياسه مصاوب . . . ومثله قراءة اهل

---

(٦٠) ينظر ابو العلاء المعري ، رسالة الملائكة ص ١٧٥ .

(٦١) معاني القرآن ٣٧٣/١ - ٣٧٤ .

(٦٢) اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص ٨٥ .

(٦٣) ابن السكيت ، اصلاح المنطق ص ١٥٧ - ١٥٨ .

المدينة : « معائش » بالهمز» (٦٣) .

وهكذا شأن القراءات الاخرى التي خطأ النحويون قارئيها ، فان نحن أنعمنا نظرنا فيها وجدناها لم تخرج عن كلام العرب في شيء ، لأن القُرّاء كانوا يتوخّون سلامة اللغة ويحرصون عليها كحرص النحاة بل أشدّ حرصاً ، ولهذا جاء القراءات السبع بل العشر – كما قال العلماء – ثابتة وموافقة قواعد العربية» (٦٤) . (وأدل دليل على صحة قولنا هو ما صنعه ابن خالويه إذ صنّف كتابه (الحجّة في القراءات السبع) وبيّن فيه حجّة قراءة كلّ قارئ خالف القياس في قراءته ، كما أظهر وجهها الصحيح في العربية ، ولهذا لانقرّ تخطئة النحويين للقُرّاء أولاً ، ثم ندعو الى اتخاذ القراءات الصحيحة مقياساً تقاس به قواعد النحو « فانّ صحة القياس على ماترد به القراءات الصحيحة مخالفاً لما اشتهر في كلام العرب زيادة في أساليب القول ، وفتحاً لطرق يزداد بها بيان اللغة سعة على سعته » (٦٥) .

تخطىء النحويين للشعراء

إذا كان النحويون قد خطأوا طائفة من العرب في كلامهم ، كما خطأوا القُرّاء في قراءاتهم المستندة الى السند المتين الصحيح والمشافهة والتلقين حين لم تتفق وتلك القواعد ، فمن الطبيعي ان تكون حملتهم على الشعراء أشدّ وأعتى ، ذلك أن الشاعر مقيّد بالوزن ومراعاة شروط القافية ، وهو في سبيل ذلك قد يأتي بما يخالف الكلام المألوف ، وقد بدت بوادر تلك الحملة على الشعراء بصورة مبكرة في تاريخ النحو . وربّما كان عبدالله بن أبي اسحاق الحضرمي أول نحوي فتح باب تخطىء العرب في لغتهم ، فسار على نهجه من جاء بعده من النحويين ، فقد كان من تصديه الكثير للفرزدق وملاحاته له ماجعل الشاعر

(٦٤) حمزة فتح‌الله ، المواهب الفتحية ٨٧/٢ .

(٦٥) عبدالوهاب حمودة ، القراءات واللهجات ص ١٤٩ .

يعاكسه ويأتي بأساليب مخالفة للشائع المألوف على طرفي نقيض ، من ذلك مثلاً قوله :

وعضُّ زمانٍ ياابن مروانَ لم يدع
من القوم إلا مسحتاً او مجلّفُ

فقد عطف مرفوعاً على منصوب ، وحينما سأله ابن ابي إسحاق : علام رفعت مجلّف ؟

قال الفرزدق : على مايسوؤك وينوؤك (٦٦) .

ولما اكثر الحضرمي من الرد على الفرزدق والتعنت له قال : « والله لأهجوّنك ببيت يكون (شاهداً) على ألسنة النحويين أبداً ، فهجاه الفرزدق بهذا البيت :

فلو كان عبدالله مولىً هجوتُهُ
ولكنَّ عبدَ اللهِ مولى مواليا (٦٧)

فلم يلتفت ابن ابي اسحاق لهذا الهجاء المشين،وانما رمى الشاعر بمـــا كان قبيحاً عند العرب وهو اللحن،حيث كان عندهم من العيوب، بل من الذنوب ، فقد ردّ على هجائه قائلاً : ولقد لحنت أيضاً في قولك : (مولى مواليا) وكان ينبغي أن تقول :

---

(٦٦) أبو البركات الانباري ، نزهة الألباء ص ١١ ـ ١٢ .

(٦٧) ابو الطيب اللغوي ، مراتب النحويين ص ١٢ ، أبو سعيد السيرافي ، اخبار النحويين البصريين ص ٢١ . وكان ابن ابي اسحاق مولى آل الحضرمي ، وهم حلفاء بني عبد شمس بن عبد مناف ، والحليف عند العرب مولى .

مولى موالٍ (٦٨) ولقد أصبح بيت الفرزدق – كما أراد – شاهداً نحوياً ، وهو من شواهد أقدم كتاب نحو وصل إلينا واعني به كتاب سيبويه ، حيث استشهد به سيبويه على اجراء (موالي) على الأصل ضرورة (٦٩) . كذلك استشهد به المبرّد على الغرض نفسه (٧٠) .
ثم تداوله النحويون بعد ذلك في كتبهم النحوية في باب الممنوع من الصرف .

وهكذا فتح الحضرمي باب تخطىء الشعراء والعرب في لغتهم ، وقد تأثر به تلميذه عيسى بن عمر الثقفي الى درجة انه تناول بعض الشعراء الجاهليين بالخطأ كالنابغة الذبياني ، وهو في الطبقة الاولى من فحول الشعراء الجاهليين إذ عدّه ابن سلاّم ثاني الفحول (٧١) ، وكان عيسى يقول : « أساء النابغة في قوله حيث يقول :

فَبِتُّ كأني ساورَتْني ضئيلةٌ
من الرُقشِ في انيابِها السُمُّ ناقعُ

ويقول : إن الصحيح أن يكون موضعها (ناقعاً) (٧٢) .
وهكذا صار تلحين الشعراء حتى الجاهليين منهم شيئاً يسيراً لكل نحوي يريد أن يبرز مهارته في صناعة الإعراب « فيتتبع مافي اشعار الجاهليين الأوائل من لحن وغلط وإحالة وفساد معنى ، حتى قال البردخت (٧٣) لبعض النحويين :

---

(٦٨) نزهة الألباء ص ١١ .
(٦٩) ينظر الكتاب ٥٨/٢ .
(٧٠) المقتضب ١٤٣/١ .
(٧١) ينظر ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ص ٤٣ .
(٧٢) طبقات فحول الشعراء ص ١٢ – ١٣ .
(٧٣) البردخت : معناه الفارغ بالفارسية ، وهو الشاعر علي بن خالد الضبي ، احد بني السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة (الشعر والشعراء ٧١٦/٢) .

لقد كانَ في عينيكَ ياحفصُ شاغلُ
وأنفٌ كمثلِ العُودِ مما تتبّعُ
تتبّعُ لحناً في كـلامٍ مُرقّشٍ
وخلقك مبنيٌ على اللحن أجمعُ
فعيـناكَ اقواءٌ وأنفكَ مكفـأ
ووجهُك إيطاء فأنتَ المرقعُ (٧٤)

ولم يكن لعيسى الحق في تلحين النابغة ، لأن الشاعر كان دقيق الحسِّ بلغته ، كما كان يدرك أن (الإعراب) بهذه اللغة قد أعطى المتكلّم بها حقَّ التقديم والتأخير ، فقوله (ناقع) صفة لضئيلة ، وقد اراد (ضئيلة ناقع في انيابها السم) ، ثم أخّر الصفة الى مكان القافية ، لأنها — وهي مرفوعة — لاتكون الا صفة موافقة لموصوفها اينما انتقل بها ترتيب الكلم المنظوم (٧٥) .

تمسك النحويون بصواب ماذهبوا اليه ، وتخطئة ماعداه ، ولو ورد له من الشواهدِ العربية ، بل لو كان المتكلّم عربياً يحتج بكلامه ، وقد خطّأ الاصمعي (ت ٢١٦ هـ) ابن قيس الرقّيات في ابيات من شعره منها : انه لم يصرف (مصعباً) في قوله :

ومصعبُ حيـن جـدّ الأ مـرُ اكثرُها وأطيبها (٧٦)

ومنها قوله في الندبة :

تبكيـهمُ اسماءُ مُعْـولةً وتقول ايلى : وارزيته (٧٧)

وكان يرى ان يقول : وارزيتاه ، كما تقول : واعمّاه وا أخاه كما خطّأ الـكميت الاسدي بقوله :

---

(٧٤) القاضي علي الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ٩ .
(٧٥) عباس العقاد ، اللغة الشاعرة ص ٢١ .
(٧٦) المرزباني ، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ص ١٨٦ .
(٧٧) ابو المحاسن اليغموري ، نور القبس ص ٣٤ .

أرعِـــدْ وأبـرقْ يـــايز يدُ فمـــا وعيدُك لي بضائرْ

وزعم ان البيت الذي يروى للمهلهل مصنوع محدث وذلك قوله :

أنبضوا معجسَ القسي وأرعد
نا كما تُبرق الفحولُ الفحولا

وبقي الأصمعي مصرّاً على رأيه ، على الرغم من ادعاء أبي زيد الانصاري (ت ٢١٥ ﻫ) انه سمعه من العرب الفصحاء ، وتأييد اعرابي بدوي فصيح من ابي بكر بن كلاب لأبي زيد فيما ذهب اليه ، وبيت آخر لرجل من بني كنانة :

إذا جاوزت من ذات عرق ثنيّة
فقل لأبي قابوس ماشئت فارعِدِ (٧٨)

اشتدت الخصومة بين علماء العربية من جهة وبين الشعراء من الجهة الآخرى ، فكان هؤلاء يستخدمون الهجاء وسيلة للدفاع والرد على تخطئ العلماء لهم ، والنحاة مستمرون بتخطيء الشعراء يصلحون الهجاء ويلحنونهم فيه ، كما مرّ بنا من تصحيح ابن ابي اسحاق هجاء الفرزدق له . وقد وقع ما يشبه هذا بعد حين بين الشاعر عبدالصمد بن المعذّل وبين المازني ، وكانَ ابن المعذل قد وجد من شيء كان أنكره المازني ،أو كلام تكلّم به فيه ، فقال يهجوه وأفحش في الهجاء ، وآخر الشعر قوله :

فاطوِ حَدِيثي دونهُ أن يبلُغَهْ
هممتُ أعـــلو رأســه فأدمغَهْ

فبلغ ذلك المازني فلم يلتفت لهجائه وانما قال : « قولوا لهذا الجاهل : بمَ

(٧٨) ابو القاسم الزجاجي ، مجالس العلماء ص ١٤١ ــ ١٤٢ .

نصبت (فأدمغَه) ؟ لو لزمت مجالسه اهل العلم كان أعود عليك » . (٧٩)
وقد هجا عمّار الكلبي النحويين ، لأنهم عابوا عليه بيتاً من شعره ، فامتعض لذلك وقال :

ماذا لقينا من المستعربين ومن
قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
إن قلتُ قافية بكراً يكون بها
بيت خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا
قالوا لحنتَ ، وهذا ليس منتصباً
وذاك خفضٌ وهذا ليسَ يرتفعُ
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم
وبين قوم على إعرابهم طُبِعوا
ماكان قولي مشروحاً لكم فخذوا
ماتعرفون ، ومالم تعرفوا فدعوا (٨٠)

إن المتتبع لتاريخ النحو في القرن الثاني وما بعده يلاحظ أن الشعراء الإسلاميين امثال الفرزدق وذي الرمة والكميت والطرماح بن حكيم وابن قيس الرقيّات تعرّضوا الى نقد قسم من اللغويين والنحويين ، إذ لحنوهم ودعوا الى ترك الاستشهاد بشعرهم وعدم جعله حجة في النحو ، ولكن لو انصف النحويون لرأوا أن أدب هؤلاء الشعراء أدب عربي خالص يجري على ماجرى عليه الأدب العربي القديم في اغراضه وصوره واوزانه ، مع تطورات اقتضتها طبيعة الظروف ، وهم شعراء ، وما يقولونه شعراً يخضع لقيود الوزن وشروط

---

(٧٩) ينظر اخبار النحويين البصريين ص ٦٣ ـ ٦٥ والقفطي ، انباه الرواة ص ٣٢٩ .

(٨٠) الخصائص ٢٣٩/١ ـ ٢٤٠ ، انباه الرواة ٤٢/٢ ـ ٤٣ .

القافية ، ولهذا ابيح لهم انواع من الضرورات الشعرية لم تبح لهم في سعة الكلام ، والنحويون الكبار يعرفون هذا ، قال سيبويه : « يجوز في الشعرما لايجوز في الكلام » (٨١) ، فعندما يعترضهم الوزن تراهم يأتون — احياناً — بغير المألوف من الكلام في سبيل المحافظة على الوزن ومراعاة شروط القافية ، فليس لنحوي أو لغوي أن يخطئهم ويعدّهم جاهلين بأمور اللغة ، فقد عاشوا في زمن الفصاحة وهم فصحاء ، وشعرهم حجة في النحو واللغة ، فماذا يبتغي بعض النحويين من الشعراء اكثر من ذلك ، والشعر موطن الضرورات كما قلت آنفاً ؟ .

اسباب ظاهرة تخطيء العرب :

ان تخطئة النحويين للعرب في لغتهم ظاهرة واضحة في النحو وقد أدّت الى التضييق على اللغة والإخلال بقواعدها ، فما هي أسبابها وجذورها ؟

من هذه الأسباب ماذكرناه عن إفراط قسم كبير من النحويين في القياس والتعليل ، مما جعلهم لايهتمون بكل مايسمعونه الا اذا اتفق مع قواعدهم واصولهم ، ولهذا لجأوا الى التقدير والتأويل ليستقيم النص مع القاعدة ، واللغة — كما رأينا — لا تخضع دائماً للقياس ، لأن لها منطقها الخاص ، فلذا بقيت كثرة كاثرة من النصوص لم تخضع للقاعدة ولاتقبل تأويلا ولا تقديراً ، فلجأ النحويون الى تخطيء قائلها من العرب كما مرّ بنا ، ولهذا لا اوافق الاستاذ سعيد الافغاني في تحبيذه مافعله البصريون بقوله (٨٢) : « وهم الذين امعنوا في احوال الكلام العربي ، واستنبطوا علله ، وحكّموا فيها المنطق والعقل حتى جاءت قواعدهم في القياس والنحو الذي بني عليه متماسكة ومتناسقة في الجملة ، ولابد في كل تنسيق من تشذيب يخرج بعض النتوء من

(٨١) الكتاب ١/٨ .

(٨٢) من تاريخ النحو ٧٠ — ٧١ .

الهيكل المشذّب » وتابعه الدكتور شوقي ضيف بقوله (٨٣) : « توسعوا في القياس والتعليل ، إذ طلبوا لكل قاعدة علّة . ولم يكتفوا بالعلة التي هي وراء الحكم فقد التمسوا عللاً وراءها . وقانون القياس عام ، وظلاله مهيمنة على كلّ القواعد الى أقصى حد بحيث يصبح مايخرج عليها شاذاً ، وبحيث تفتح الأبواب على مصاريعها ليقاس على القاعدة مالم يسمع عن الغرب ويحمل عليها حملاً ، فهي المعيار المحكم السديد » . أهذه طريقة صحيحة في دراسة النحو ؟ ايجوز لنا ان نضع قولاً لم تقله العرب محكمين القياس ، ونخطىء قولاً قالته العرب أو قراءة مشهوداً بصحتها سنداً وتأدية وندّعي ان هذه هي الدراسة الحقة في النحو ؟ .

ومن اسبابها أن استقراء اللغويين والنحويين للغة كان ناقصاً ، ولاسيما استقراء البصريين إذ حصروا سماعهم في قبائل معينة عدّوها فصيحة ، كقبيلة قيس وتميم واسد وهذيل وقريش . ومن أدلّة نقص استقرائهم – وهي كثيرة – ما روي عن ابي زيد الانصاري انه قال : « سمعت عمرو بن عبيد يقرأ : (فيومئذ لايسأل عن ذنبه إنس ولا جأن) فظننته قد لحن حتى سمعت العرب تقول : شأبة ودأبة» (٨٤) .

ومن ذلك ما نقله ابو اسحـاق الشاطبـي في شرح الخلاصة : أن امام العربية سيبويه يجعل من شواذ التعجب : (ما أمقتـه !) و (ما أفقره !) بناء منه ان العرب لم يستعملوا الفعل الثلاثي من المقت والفقر . ثم ذكر الشاطبي : « أن جماعة من ائمة اللغة أثبتوا استعمال العرب للفعل الثلاثي من المقت والفقر ، وخفي ذلك على سيبويه ، وقال : ولا حجة في قول من خفي

(٨٣) المدارس النحوية ص ٢٠ .

(٨٤) ابن جني ، سر صناعة الاعراب ٨٢/١ .

عليه ماظهر لغيره ، بل الزيادة من الثقة مقبولة » (٨٥) .

ومن ذلك أيضاً ماقاله الكسائي في كتاب (ماتلحن فيه العوام) (٨٦) : « تقول : شكرت لك ، ونصحت لك ، ولايقال : شكرتك ونصحتك ، وقد نصح فلان لفلان وشكر له . هذا كلام العرب – قال الله تعالى : (واشكروا لي ولا تكفرون) (٨٧) (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح الكم) (٨٨) . وقد عجبت كيف فات الكسائي – وهو احد القراء السبعة – قوله تعالى : (قال ربِّ أوزعني ان أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ) (٨٩) . وان الفعل شكر ونصح يتعديان بنفسيهما وبالحرف . جاء في اللسان (٩٠) : « شكره وشكر له يشكر شكراً وشكوراً وشكراناً . قال ابو نخيلة

شكرتك ، إنّ الشكر حبل من التقى

وما كل من أوليته نعمة يقضي

وحكى اللحياني : « شكرت الله وشكرت لله . وجاء فيه : « النصح : نقيض الغش مشتق منه . نصحه وله نصحاً ونصيحة . . . وهو باللام أفصح » (٩١) ومن ذلك ايضاً نص في (الكتاب) (٩٢) اشار اليه الدكتور محمد عبدالخالق عضيمة (٩٣) يمنع الخليل بمقتضاه وقوع (كل) المضافة الى النكرة مفعولاً به . قال : « أكلت شاة كلّ شاة حسن ، وأكلت كل شاة

(٨٥) محمد الخضر حسين ، القياس في اللغة العربية ص ٧٢ – ٧٣ .
(٨٦) ص ٢٥ .
(٨٧) سورة البقرة من الآية ١٢٥ .
(٨٨) سورة هود من الآية ٣٤ .
(٨٩) سورة النحل من الآية ١٩ والاحقاف من الآية ١٥ .
(٩٠) ٤/٤٢٣ (شكر) .
(٩١) لسان العرب ٢/٦١٥ (نصح) .
(٩٢) الكتاب ١/٢٧٤ .
(٩٣) و (٩٤) فهارس كتاب سيبويه ص ١٩ – ٢٠ .

ضعيف ، لأنهم لايعمّون هكذا فيما زعم الخليل »ولست ادري كيف فات على الخليل وسيبويه ذلك ، ألم يطلعا على القرآن الكريم ويستقريا آياته ؟ فان مامنعاه قد جاء كثيراً في كلام العرب وفي القرآن جاء (كل) المضافة للنكرة مفعولاً به في ستة وعشرين موضعاً كما ذكر الدكتور عضيمة (٩٤) وفي سورة الانعام وحدها هذه المواضع : (وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها) (٩٥) و (وسع ربي كلّ شيء علماً) (٩٦) و (حشرنا عليهم كلّ شيء قُبُلاً) (٩٧) و (خلق كلّ شيء) (٩٨) و (على الذين هادوا حرمّنا كل ذي ظفرٍ) (٩٩) .

وكان تشددهم في السماع وتضييقهم من رقعة مناطقه سبب نقص استقرائهم وقد دفعهم الى ذلك غيرتهم على اللغة وحبهم الجم لها ، ورغبتهم في أن تسير على سنن مستقيمة لاتحيد عنها ، فانصبّ (اهتمامهم على الفصيح الذي حددوه بالكثير الشائع على الألسنة ، فكان أن منعوا تعبيرات فصيحة وأساليب صحيحة ظنّوها لحناً أو غير فصيحة فأنكروا صدورها من العرب لأنهم لم يطّلعوا عليها في سماعهم ؛ وكان منهم من ينكر هذا التسرّع الى رمي العربي بالخطأ اذا ورد عنه مخالفاً لما عليه الجمهور ، يقول ابن جني (١٠٠) : « اذا اتفق شيء من ذلك نظر في حال ذلك العربي ، وفيما جاء به ، فان كان فصيحاً في جميع ماعدا ذلك القدر الذي انفرد به وكان ماأورده مما يقبله القياس ، إلا أنه لم يرد به استعمال إلا من جهة ذلك الانسان فان الاولى في ذلك أن يحسن الظن به ولا يحمل على فساده . فان قيل : فمن اين ذلك له وليس مسوغاً أن

(٩٥ ـ ٩٦ ـ ٩٧ ـ ٩٨ ـ ٩٩) سورة الانعام الآيات ٢٥ و ٨٠ و ١١١ و ١٠١ و ١٤٦ . على التوالي .

(١٠٠) الخصائص ٣٨٥/١ ـ ٣٨٦ .

يرتجل لغة لنفسه ؟ قيل : قد يمكن ان يكون ذلك وقع اليه من لغة قديمة قد طال عهدها وعفا رسمها وتأبدت معالمها » .

اما الكوفيون فقد وسّعوا من رقعة سماعهم ولم يضيّقوا على العربية ، فقد سمع أئمتهم من المناطق التي سمع منها البصريون كما سمعوا من مناطق اخرى لم يسمع منها البصريون اذ لم يعدوا أهلها حجة في كلامهم ، ولم يعتدّوا بفصاحة أهلها . فقد اهتم الكوفيون بالسماع كثيراً ، فهم اكثر احتراماً لما ورد عن العرب ، ولذا « كانوا أقرب الى الانصاف العلمي التاريخي ، اذ كانوا يرون ان العرب اولى وأحق بلغتهم ، فلهم أن يسلكوا في التعبير ماتهيأ لهم من وسائل ، وأن يكيّفوا لهجاتهم طبقاً لما تقضي به نواميس الاختلاف القبلي ومايتبعه من عوامل مادية ومعنوية تختلف بسببها ألسنتهم ، وعلى اللغويين ان يسجلوا ذلك ويجمعوه اذا حرصوا على التعرف الى العربية المطلقة ، كما أنّ على النحويين أن يتبعوا ذلك كله ويحصوه بضوابطهم ومقاييسهم (١٠١) ولذلك لم نسمع عنهم تخطيء العرب في لغتهم الا ماكان من الفرّاء فانه شارك البصريين بتخطيء العرب والقراء ، وهذا لايؤثر في الخط العام الذي سار عليه جمهور الكوفيين في دراساتهم النحوية .

ومن اسباب ظاهرة تخطيء العرب أيضاً توخّي بعض العلماء البصريين الأفصح من اللغات والغاء ماسواها كما كان الأصمعي يفعل . من ذلك مثلاً إنكاره ان يقال (زوجتي) وانما يقال (زوجي) مستشهداً بقوله تعالى : (أمسك عليك زوجك) (١٠٢) ، ولم يعتد بقول ذي الرمّة :

(١٠١) في اللهجات العربية واصول اختلافها ، د. عبدالحليم النجار بحث نشر في مجلة كلية الآداب ــ جامعة القاهرة ، المجلد ١٥ ج ١ سنة ١٩٥٣م ص ٤٨ .

(١٠٢) سورة الاحزاب من الآية ٣٧ .

أذو زوجة في المصرِ ام ذو خصومةٍ
أراكَ لها بالبصرة اليوم ثاويا

لأن الأصمعي لايعد ذا الرمّة حجة في اللغة والنحو ، لتحضّره ـ كما يزعم ـ ولما قرىء عليه شعر لعبدة بن الطبيب وهو من الشعراء المحتج بشعرهم :

فبكى بناتي شجوهنّ وزوجتي
والطامعون إليّ ثمّ تصدّعوا

لم ينكره ؛ ولكنه أصرّ على قوله (١٠٣) . وقول الفراء يؤيد ماذهبنا اليه من توخّي بعض العلماء البصريين الأفصح من اللغات وترك ما سواها وتخطىء قائليها ، بقوله : « الزوج يقع على المرأة والرجل ، هذا قول اهل الحجاز . قال الله تعالى : (امسك عليك زوجك) .
واهل نجد يقولون : (زوجة ، وهو اكثر من زوج ، والأول أفصح عند العلماء) (١٠٤) .

وقد ردّ صاحب التنبيهات (١٠٥) على تخطىء الأصمعي قول من قال (زوجة) بأن فصحاء العرب يقولون زوج وزوجة ، فممن قال ذلك : الشمّاخ والعجّاج والفرزدق وذو الرمّة وذكر شاهداً لكل منهم ، وقال : انشد ابو عمرو :

(وزوجة كثيرة السيّات)

قلت : والصحيح انهما لغتان و (زوج) أفصح لأنها لغة القرآن الكريم ، وهذا مادفع الأصمعي الى الأخذ بها وتغليط ماسواها وعدم قبولها حتى لو صدرت من الفصحاء .

---

(١٠٣) ينظر الخصائص ٣/٢٩٥ .
(١٠٤) الفراء ، المذكر والمؤنث ص ٢٦ .
(١٠٥) علي بن حمزة البصري ، كتاب التنبيهات على اغاليط الرواة ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .

وربما كان من أسباب ظاهرة تخطىء العرب نزعة حقد عليهم ، فقد ذكر ابن سلاّم عن يونس ان ابن ابي اسحاق وعيسى بن عمر كانا يطعنان على العرب (١٠٦) . ورائحة الحقد تشمّ مما رواه الأصمعي عن عثمان البتيّ النحوي وكان يسمى عثمان العربي لفصاحته ، فسمعه ابن ابي اسحقا ينشد :

كورهاء مشني اليها حليلها

فقال : اخطأ عربيكم ، وانما هو مشنوء (١٠٧) ، ويظهر انه « كان مولعاً، لكونه من الموالي ، بالعثور على شيء في لغة البدويين يتناوله بالنقد والتصحيح » (١٠٨) ، والا فهي لغتان : « حكى علي بن حازم اللحياني (ت ٢٢٠ هـ) : رجل مشني ومشنو أي مبغض لغة في مشنوء ، وانشد :

ألا ياغرابَ البينِ مم ّ تصيحُ
فصوتُكَ مَشْنُوٌّ اليَّ قبيحُ (١٠٩)

وربّ سائل يسأل : هل كان ائمة العربية الذين خطأوا العرب يراعون القواعد التي وضعوها ولا يلحنون ؟ جوابه فيما روي عن ابن ابي اسحاق انه كان يلحن (١١٠) ، وكان الفرّاء يلحن اذا رجع الى الطبع ولم يتحفظ (١١١) . وان نظرة واحدة الى اساليبهم تلقى الضوء على أنهم خالفوا ماقرروه . من

---

(١٠٦) اخبار النحويين البصريين ص ٢٢ ، نزهة الالباء ص١١ .
(١٠٧) ابو احمد العسكري ، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ١/٩٠ .
(١٠٨) يوهان فك ، العربية ص ٤٧ .
(١٠٩) لسان العرب ١٤/٤٤٤ (شنا) .
(١١٠) ينظر ابو بكر الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ص ٤٢ .
(١١١) ينظر المصدر نفسه ص ١٤٣ .

ذلك مثلاً قول ابن جني (١١٢) : « إن القياس مقتضٍ لصحة لغة الكافة، وقد خالف القاعدة ، وهو من أئمة العربية البارزين . قال عبداللطيف البغدادي (١١٣) (ت ٦٢٩ هـ) : « تقول جاءني غيرك ولا تدخل عليه الألف واللام ، ومنه حضر الناس كافة ولاتقل الكافة » . وقال ابو البركات الانباري (١١٤) : « فأما الخمسة أمثلة فمنهم من ذهب . . . » . وهـذا التعبير غير جائز عند النحويين جميعاً ، والصواب ان يقال : فأما خمسة الأمثلة . ومثل ذلك كثير .

أرأيت كيف خالفوا قواعدهم وأصولهم التي وضعوها هم أنفسهم فيما عابوا به غيرهم من العرب ؟ وربّما يبرّر سلوكهم هذا ما ذكره ابن خلدون (١١٥) من « أنّ ملكة اللسان غير صناعة العربية » ثم بيّن السبب : « بأن صناعة العربية إنمـا هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة ، فهو علم بكيفية ، وانما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علماً ولا يحكمها عملا » ، يؤيد هذا ماروي عن ابن خالويه انه قال له رجل يوماً : « اريد ان أتعلـم من العربية ما أقيم به لساني ، فقال له ابن خالويه : أنا منذ خمسين سنة اعلم النحو ما تعلّمت ما أقيم به لساني » (١١٦) .

وخلاصة القول : إن ائمة العربية لم يلتزموا بالترتيب الطبيعي الذي يقتضيه البحث العلمي من حيث النظر والمشاهدة والملاحظة ، ثم استنتاج القواعد من الأساليب المستعملة فعلاً ، فلم ينظروا الى ان اللغة ظاهرة اجتماعية ، ولكنهم أفرطوا في تطبيق المنهج الفلسفي والمنطقي الذي يهتم بتقسيمات

(١١٢) الخصائص ٢/١٤ .
(١١٣) ذيل فصيح ثعلب ص ١١٤ .
(١١٤) الانصاف ١/٣٩ .
(١١٥) مقدمة ابن خلدون ص ٥٦٠ .
(١١٦) بغية الوعاة ٥/٥٢٩ .

منطقية نظرية لها كثير من الفروع .

ولهذا جاءت قواعدهم ضيّقة لم تستوعب كلام العرب كلّه ، فلجأ النحاة الى شتى الطرق لكي يردّوا ماخرج عن القاعدة اليها كالتأويل والحذف والتقدير والحمل على الشذوذ والحمل على الضرورة ان كان النص شعراً ، وان لم يخضع النص للقاعدة بعد كل هذه المحاولات يرفض ، ويُخَطَّأ قائله ، ولو كان عربياً فصيحاً من عليا تميم وسفلى قيس ، او في الذؤابة من قريش . وهذا ليس من الدراسة الصحيحة للغة في شيء : فالنحو في حاجة الى اصلاح ، وسبيل ذلك ان ننحو به نحو كلام العرب ونحو اساليبهم وخير كلام العرب وأفصحه وأبينه واوضحه كتاب الله الموثوق به كل الثقة (لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفــه) فنتخذه المصدر الاول في دراساتنا النحوية ، ثم قراءاته الصحيحة وحديث رسول الله عليه الصلاة والسلام وكلام العرب النثري وشعرهم القديم الخالي من الضرورة ، فمتى تكون لدينا الجرأة في الاقدام على تحرير النحو من جموده ، فنعيد اليه نضارته ونجعله وسيلة فعالة في خدمة اللغة ومتكلميها ؟ والله يهدي الى أهدى السبل واقومها . وآخر دعواي أنِ الحمدُ لله ربّ العالمين .



الفهرست

الصفحة

مجلـــة
المجمع العلمـي العراقي

انشئت سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م

تصدر اربعة اجزاء في السنة

سعر النسخة دينار ونصف
وتضاف اليها اجرة البريـد



توجه الرسائل والبحوث الى الامين العام للمجمع

- البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .
- البحوث والمقالات التي لا تنشر ، لا ترد الى اصحابها .

(العنوان : بغداد / الوزيرية / ص.ب. ٤٠٢٣)

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغـداد ١٦٧٦ لســنة ١٩٨٦

مطبعة المجمع العلمي العراقي ٣٠٠٠ / ١٩٨٦

JOURNAL
of the
IRAQ ACADEMY

VOLUME 37

Part (1)

PUBLISHED BY

THE IRAQ ACADEMY

BAGHDAD

1 9 8 6